مِنبر الإسلام

العدد ٣ - السنة ٢٠ - ربيع الاول ١٣٨٢ - أغسطس ١٩٦٢

الثمن ٥ قروش

عدد ممتاز

مع العدد هدية

منبر الإسلام

مجلة الثقافة الإسلامية
يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
بوزارة الاوقاف
فى غرة كل شهر عربي

رئيس التحرير محمد توفيق عويضه

ربيع الأول ١٣٨٢
اغسطس ١٩٦٢
العدد ٣ السنة ٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

من محتويات العدد

- معالم الطريق
- زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة
- خطاب من القاهرة
- حديث مع سفير أفغانستان
- الشرف (لأستاذ الجيل أحمد لطفى السيد)
- السليقة العربية (الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد).
- من نفحات الذكرى العاطرة (فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى)
- من رواد الاصلاح فى العالم الاسلامى (الدكتور عثمان أمين)
- وظيفة الدين فى الحياة الاجتماعية (الدكتور على عبد الواحد وافى)
- شهر الذكريات الخالدة (الدكتور محمد محمد أبو شهبه)
- المرأة الحديثة .. هل أنصفت نفسها ؟ (الأستاذ البهى الخولى)
- الرسول سبق الطب الحديث (الأستاذ عبد الرزاق نوفل)
- من وحى الليلة المباركة (الأستاذ سليمان نجا الابيارى)
- مولد محمد بن عبد الله (الدكتور عبد السلام سرحان)
- محمد صلى الله عليه وسلم (الأستاذ ابراهيم أبو الخشب)
- مولد النور « قصيدة » (الدكتور حسن جاد)
- من وحى الميثاق (فلسطين) « قصيدة » (الاستاذ محمد حليم غالى)
- الاسلام والميثاق « قصيدة » (الاستاذ محمد عادل سليمان)
- المفتى (فضيلة الشيخ حسنين مأمون)
- وجعلنا من الماء كل شىء حى (الدكتور عفيفى محمود)

الغلاف

« روى أبو بكر بن أبى شيبة بسنده عن جابر وابن عباس قالا : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الاول فيه بعث ، وفيه عرج به الى السماء ، وفيه هاجر ، وفيه مات » .

الاشتراكات عن سنة

٥٠ قرشا فى الجمهورية العربية المتحدة
٤٠ قرشا للعمال والطلبة

يضاف الى هذا قيمة البريد خارج الجمهورية العربية المتحدة وما يساوى هذه العملة فى البلاد الأخرى

*

الاشتراكات تدفع مقدما

تقبل كوبونات البريد الدولى ذات القرشين

العنوان

٣ شارع الامير قدادار المتفرع من شارع التحرير بالقاهرة

ت ٣٣٩٥٦

معالم الطريق ....

عبد الناصر يتحدث عن استقلال الجزائر .. والتنظيم السياسى
الرئيس يناشد زعماء الجزائر الاحتفاظ بوحدة الثورة
إن شيئا واحدا يجب الحرص عليه هو وحدة الثورة الجزائرية
عيد النصر للجزائر هو عيد للعرب جميعا وللأحرار فى كل مكان

تحدث الرئيس جمال عبد الناصر الى أعضاء المؤتمر الوطنى عن الموقف فى الجزائر . كان من المقرر أن يحضر الرئيس جلسة المؤتمر لاعلان التنظيم الشعبى .. فاجأ الرئيس أعضاء المؤتمر بالحديث عن انتصار شعب الجزائر والخلاف الذى قام بين القادة الجزائريين ، وقد بدأ الرئيس حديثه الى أعضاء المؤتمر قائلا :

أيها المواطنون ..

أيها المواطنون أعضاء المؤتمر ..

بعد اصدار الميثاق ، أرجو الله أن يوفقنا جميعا للعمل لخير الجمهورية العربية المتحدة والأمة العربية ..

قبل أن أبدأ فى تقديم مشروع التنظيم السياسى الديموقراطى المقترح للاتحاد الاشتراكى العربى ، لا بد لى ، أن أتحدث اليكم عن الجزائر ، فى يوم انتصار شعب الجزائر ..

لقد وقعت الجزائر تحت السيطرة الاستعمارية سنة ١٨٣٠ ، لكن شعب الجزائر لم يقبل أن يخضع للاستعمار أو للسيطرة الأجنبية .. فمنذ هذا اليوم كان شعب الجزائر فى ثورة مستمرة دائمة ..

استمرت الثورات .. قدم شعب الجزائر الضحايا ، من أجل أن يرفع علم الجزائر الحرة .. ولم يتوان رغم كثرة الضحايا من أن يستمر فى الكفاح ..

النهارده بعد ١٣٢ سنة من الكفاح والثورات المستمرة ، حصل شعب الجزائر على الاستقلال

وعيد النصر للجزائر ولشعب الجزائر هو عيد كل العرب جميعا ، وللأحرار فى كل مكان .

لقد كسب الشعب الجزائرى البطل معركة الاستقلال .. بعد حرب مريرة قدم فيها مليون شهيد، وأنا على ثقة من أن الشعب البطل الذى كسب المعارك المسلحة .. والذى انتصر فى ميدان القتال سينتصر أيضا فى معارك السلام .. ومعارك السلام هى معارك الجهاد الأكبر ..

الجيش الأول

شعب الجزائر قدم مليون شهيد ولم يسلم .. ولم يستسلم .. ولكنه صمم على أن يرفع علم الجزائر الحرة ..

فيه قرى فى الجزائر مات كل رجالها .. قرى لم يبق فيها الا النساء والأطفال .. فيه قرى فى الجزائر جابهت المجاعات .

حينما اتبع الاستعمار سياسة الأرض المحروقة .. حرق المحاصيل .. وحينما اتبع الاستعمار سياسة المجاعة من أجل أن يسلم الشعب .. ولكن الشعب كان هو الجيش الأول .. هو الجيش الأكبر فى هذه المعركة .. ضحى وقاسى .. ولكنه لم يسلم ولم يستسلم ، حتى رفع اليوم راية الجزائر الحرة فوق أرض الجزائر .

ولا بد لى فى هذه اللحظات التى كنا ننتظرها جميعا ، أن أتحدث اليكم فى مسألة تشغل بالى كما تشغل بالكم جميعا دون شك .. واننى أثق انكم جميعا تشعرون بما أشعر به من سعادة .. لأن يوم الاستقلال فى الجزائر قد أشرق فجره ..

ان علم الاستقلال الجزائرى الذى يرتفع اليوم فوق التراب الجزائرى .. كان من أعز أحلامنا .. أحلام الأمة العربية كلها .. وانه من فخرنا ومن حظنا اننا عشنا جميعا لنرى هذا اليوم .. واذا كنت .. وكنتم تشعرون بالسعادة .. فانى لا أخفى عليكم قلقى للتطورات التى تقع فى الجزائر الآن

خطر على الجزائر

ان الله يريد أن يمتحن صلابتنا .. لسوء حظنا جميعا انه تبدو وسط مهرجانات النصر نذر خطر داهم على المستقبل الجزائرى.. وأن هناك على مايبدو الآن خلافا يهدد الوحدة الوطنية للجزائر .. وهى الوحدة التى يحتاجها نضال الجزائر هذه الساعات ، أكثر مما يحتاج الى أى شىء آخر ..

ان هذا الخلاف أتضح بصورة جلية من قرار الحكومة الجزائرية بعزل قادة جيش التحرير الجزائرى .. واتضح أيضا من البيان الذى أصدره أحمد بن بيللا ، بعد موافقته على هذا القرار

عوامل من القلق

وينبغى أن أقول لكم على الفور ، انه لا ينبغى لنا ولا لغيرنا أن ندخل فى هذا الخلاف الا بالالحاح والرجاء الى جميع الأطراف الجزائرية التى قاتلت معا .. وعاشت للأمل معا .. وواجهت الخطر معا أن يجدوا حلا للمشكلة ..

لا أخفى عليكم اننى ليلة أمس كانت تشوب فرحتى باستقلال الجزائر عوامل كثيرة من القلق ومن الخوف ، وكنت أتابع الموقف حتى ساعة متأخرة من الليل أو حتى الساعات الاولى من صباح اليوم ..

رسائل من بن خدة وبن بيللا

بالأمس تلقيت رسائل من الرئيس بنخده، ومن نائبه احمد بن بيللا ، ومن غيرهما من زعماء الثورة الجزائرية ..

لقد واجهت قرارات كثيرة فى حياتى السياسية .. برغم الأخطار وبرغم المواقف الصعبة التى كانت تستدعى هذه القرارات .

لقد كان من السهل على دائما أن أنزع عواطفى بعيدا ، وأن أتخذ من القرارات ما أؤمن انه الواجب ..

أمس لأول مرة واجهت أزمة الحيرة حينما علمت بهذه الخلافات .. اننى أثق فى وعى الحكومة الجزائرية ، وفى مقدرتها على مواجهة مسئولياتها فى هذه الظروف الخطيرة .. ثم اننى أعرف الرئيس بن يوسف بن خده ، وأعرف

أعضاء حكومته جميعا .. ولطالما اتاحت لنا الظروف فرصا لتبادل الرأى والفكر

وكنت دائما أحفظ لهم أعظم التقدير ..

ومن ناحية أخرى فانى أعرف الزعيم بن بيللا ورفاقه ، وأعرف خدماته للمعركة التى خاضها الشعب الجزائرى .. وأعرف تضحياته وأعرف عزمه وتصميمه .. ولست أتصور بأى حال من الأحوال أن يجىء يوم الاستقلال الذى كافحوا جميعا من أجله وبينهم شائبة خلاف .. ومن ناحية أخرى فلست أتصور مهرجانا للنصر ، لا يتقدمة كل من قاتل فى جيش التحرير وقادة جيش التحرير الوطنى الجزائرى الذين تحملوا عبء الكفاح المسلح ، سنوات طويلة .

لست أريد أن أدخل ولا أريد أن تدخل الجمهورية العربية المتحدة ، فى هذا الخلاف طرفا فيه لكن من هنا ، وأظنكم معى ، نكون داخل حدودنا تماما . اذا توجهنا اليهم كلهم برجاء حار ، وصادق ، وصادر من أعماق القلب ليفعلوا شيئا مهما كلفهم كأشخاص ، حتى يحتفظوا بوحدة الثورة الجزائرية .

ليس من شأننا .. ليس من شأننا أن نشير عليهم بما يجب أن يفعلوه .. نحن نثق فى حكمتهم جميعا ونتجه اليهم جميعا .. ان شيئا واحدا يجب الحرص عليه .. وهى وحدة الثورة الجزائرية .

انهم جميعا موضع تقديرنا واحترامنا لكن الثورة الجزائرية فى يوم انتصارها ، تواجه أكبر خطر عليها .

ان ضياع الوحدة الوطنية فى الجزائر الآن يهدد الأمل ويهدد المستقبل ..

اننا نتوجه اليهم الآن من أجل أرواح شهدائهم .. من أجل الدم الغالى الذى بذل فى سبيل هذا اليوم .. ومن أجل الصبر الطويل الذى صبره الشعب الجزائرى .. من أجل هذا اليوم .. ومن أجل العذاب الذى قاساه آلاف الرجال والنساء والاطفال فى معسكرات الاعتقال الوحشية ، التى أقامتها سلطات الاحتلال .. نتوجه اليهم لكى يحتفظوا بوحدة الثورة الجزائرية ..

باب للاستعمار

ان أى خطر يهدد وحدة الثورة الجزائرية الآن يفتح بابا جديدا للتدخل الاستعمارى ، ويمكن من سلطاته أن تتلاعب بمقدرات الشعب الجزائرى ، وتعصف باستقلاله الذى دفع هذا الشعب البطل ثمنه غاليا .

أننا ونحن نتوجه اليهم بهذا النداء ونحن جميعا فى هذه القاعة ، لا نتدخل فى الخلاف وأسبابه وانما نناشدهم جميعا بحق الدم وحق النضال ، وبحق علم الجزائر الطاهر ، الذى يرتفع اليوم لأول مرة على أرض الجزائر أن يصنعوا المعجزة .. وأن يواجهوا الغد والمستقبل صفا واحدا مهما تكن التضحيات ، نحن نعتقد اننا بهذا النداء نتصرف ضمن حقنا الطبيعى ، ان ثورة الجزائر ملك للأمة العربية كلها .. ان أيام النضال فى الجزائر ترتبط بأغلى الذكريات وأعزها فى قلوبنا .

أول شحنة من الأسلحة

انى أذكر اليوم أول شحنة من الأسلحة وصلت الى الجزائر قبل بدء الثورة فى سنة ٥٤ وصلت هذه الشحنة ، وقامت من الاسكندرية على اليخت (فخر البحار) واتجهت الى الجزائر والتقى رجال فخر البحار برجال الثورة الجزائرية قبل أن تعلن الثورة الجزائرية ، ثم أذكر الشحنات المتتالية حتى قبضت فرنسا فى سنة ٥٦ على السفينة (أنس) وفيها شحنة من السلاح ، وصادرت السفينة وحاكمت طاقم السفينة ، أذكر كل هذا .. أذكر الجهود التى كان قادة الثورة الجزائرية يبذلونها جميعا من أجل أن يتوافر لشعب الجزائر ولجيش الجزائر حاجته لمواصلة القتال .

أذكر كيف قابلت لأول مرة أحمد بن بللا قبل ثورة الجزائر فى سنة ٥٤ وكان لاجئا هنا فى مصر ، وكيف استمعت الى آماله ، وكيف استمعت الى تخيله لجهاده فى المستقبل .

وأذكر أيضا كيف قابلت الرئيس بن خدة وأذكر أيضا كيف استمعت الى آماله ، بل أذكر أيضا فى هذا اليوم كل ماكان يقوله كل فرد من قادة الثورة الجزائرية أملهم فى المستقبل .

وأذكر أيضا ، وأذكرهم ، اننى كنت أقول ان سلاحكم الرئيسى هو الوحدة الوطنية ، وان الاستعمار الذى فشل فى أن يقضى على ثورتكم بطائراته ودباباته وبجيوشه التى بلغ عددها ٨٠٠ ألف جندى سيحاول بالدس والتفرقة أن يفرق بينكم .

أذكر كيف التقيت بكريم بلقاسم وأذكر كل هذه الأحاديث وكل هذه الذكريات ... بالنسبة لنا لم يكن هناك جهد قصرنا فيه .

قلت لهم

حينما التقيت منذ أيام برئيس الحكومة الجزائرية وزملائه أثناء اجتماع مؤتمر دول الدار البيضاء قلت لهم لقد انتهى الجهاد الأصغر . وبدأ الجهاد الأكبر .. جهاد النفس .. الجهاد الأصغر .. الجهاد الذى قمتم به فى السنين السبع الماضية هو الجهاد الأصغر .. الجهاد الذى قمتم به فى معركة القتال هو الجهاد الأصغر

أما الجهاد الذى ينتظركم فى المستقبل .. فهو الجهاد الأكبر .

قلت هذا أيضا لبن بللا .. قلت هذا لكل فرد منهم .. وقلت لهم أن سلاح الاستعمار كان دائما هو أن يفرق ويقسم حتى يضعف وعليكم أن تذكروا الشعب الجزائرى .. الشعب الجزائرى لم يقصر بل كان الشعب البطل الذى ضرب للدنيا كلها المثل الأعلى فى الكفاح .. والتضحية .. والفداء .

واليوم حينما نتوجه بهذا النداء .. اننا نريد من قادة هذا الشعب البطل أن يأخذوا منه المثل فى التضحية والفداء . وكل فردمنه يضحى بنفسه أو يضحى بشخصه أو يضحى بجزء من كرامته فى سبيل مصلحة أمته .. وفى سبيل حماية العلم الذى ارتفع اليوم لأول مرة على أرض الجزائر

لم نقصر فى جهد

أيها الاخوة لم يكن هناك جهد قصرنا فيه . لم تكن هناك نصيحة ترددنا فى تقديمها .. فنحن لم نكن نتكلم فى الماضى أبدا عن مساندتنا لثورة الجزائر .. بل كانت صحف فرنسا ورؤساء وزراء فرنسا هم الذين يتكلمون عن مساندتنا لم نأخذ من هذه المساندة قضية للاستهلاك المحلى ، أو قضية للكسب الرخيص . كنا نقول اننا نؤيد شعب الجزائر .. اننا نؤيد ثورة الجزائر.. ولكننا لم نقل أبدا أننا قدمنا مساعدة على هذا الشكل أو على شكل آخر لأننا كنا نعلم أن أى كلام عن هذه المساعدات قد يكون ضد صالح قضية الجزائر .

وأنا عندما أقول .. نحن .. فلا أعنى نفسى .. حينما أقول .. اننا لم نقصر .. فلا أعنى نفسى .. ولكن أعنى شعب الجمهورية العربية المتحدة .

فلسطين .. والجزائر

وأستطيع أن أقول ان الأمة العربية كلها لم تقصر .. أن النضال العربى كله .. من أجل الحرية خلال السنوات الأخيرة كان يمكن تلخيصه فى كلمتين : فلسطين .. والجزائر .. قضيتين ليستا بعيدتين هما قضية التحرير العربى الواحدة .

حينما بدأنا نساعد الجزائر .. ونساند الجزائر .. بدأت فرنساتساعداسرائيل وتسلح اسرائيل .. كنانؤمن أنالقضاء على كل قواعد الاستعمار هو قضاء على أعوانه .. وقضاء على قواعده ، التى قد تستخدم ضد الحرية .. كنا نؤمن أنعلينا أن نبذل كل جهد للقضاءعلى قواعد الاستعمار فى سنة ١٩٥٦ اشتركت فرنسا فى العدوان على مصر وقال رئيس وزرائها .. ان السبب هو مساندتنا لثورة الجزائر .. ماذا كان بيننا وبين فرنسا ؟! كان الجنرالات الفرنسيون يقولون (اننا نريد أن نخضع الجزائر عن طريق القاهرة) ..

وزير حربية فرنسا فى هذا الوقت فى وزارة جى موليه ، كان بيقول بالحرف الواحد هذا القول (اننا نريد أن نخضع الجزائر عن طريق القاهرة) .. فرقة المظلات الفرنسية اللى نزلت فى بور فؤاد كان يقودها الجنرال ماتوه قائد معسكرات الاعتقال الرهيبة

فى الجزائر • وقائد المظليين الفرنسيين فى الجزائر •

كانت المعركة واحدة • • الاستعمار كان بينظر للمعركة على أنها معركة واحدة .. واحنا كنا ببنظر للمعركة على أنها معركة واحدة ضد العدو •• الجيش السرى فى الجزائر مين اللى كان بيدربه •• كان يدربه أعضاء عصابات الأرجون الاسرائيلية •• اللى راحوا الجزائر • اذن المعركة واحدة ولا يمكن نفصلها حتى اذا حاول الاستعمار أن يفصلها •

نصر عربى

النصر فى الجزائر • حرية الشعب الجزائرى كل هذا لم يكن مجرد انتصار لشعب الجزائر فقط ولكنه كان نصرا عربيا .. لكل الأمة العربية ولكل الشعب العربى • لكل فرد خرج يساند ثورة الجزائر • لكل فرد ساند ثورة الجزائر بأى وسيلة من الوسائل .. لكل فرد فى جميع أنحاء الأمة العربية .. كان نصرا الذى تحقق على قوى الاستعمار خطوة باهرة من أجل أسقاط قاعدة أخرى للاستعمار فى المغرب على أن يكون هذا مقدمة لاساقط قاعدة أخرى من الاستعمار فى الشرق وأعنى بها اسرائيل

الاستعداد سبيل النصر

لقد انتصر نضال الجزائر ضد جيوش فرنسا لأن الثورة الجزائرية استعدت قبل أن تبدأ ولم تتوان عن أن تستمر فى استعدادها طوال السنين السبع التى لاقت فيها القتال المرير ثم لأنها تمسكت بالوحدة الوطنية ثم لأن الله أراد أن يكفيها شر الرجعية والاستغلال والاقطاع •

ففى الجزائر والحمد لله لا يوجد بين الجزائريين اقطاعى أو رأسمالى أو مستغل لأن ملكية الأرض الاقطاعية كانت للمستوطنين الفرنسيين الذين سيطروا على الأرض • وسيطروا على المال •

فالنضال فى الجزائر لايمكن أن يجد عقبات أمام الوحدة الوطنية التى تقابل الشعوب التى تتمسك بالوحدة الوطنية من أجل الاستقلال ثم تتصادم مصالحها بعد هذا من أجل الاقطاع ومن أجل سيطرة رأس المال ومن أجل الاستغلال ومن أجل التصادمات الطبقية لا يوجد والحمد لله فى شعب الجزائر هذه التصادمات •

اذن العملية ميسرة • اذن الوحدة الوطنية ليس لها من بديل ، الوحدة الوطنيةليس أمامها أية عقبات •

انتصرت ثورة الجزائر لأنها استعدت •• انتصرت ثورة الجزائر لأنها تمسكت بالوحدة الوطنية •

معركة فلسطين

أما نضالنا فى فلسطين فى سنة ٤٨ لماذا انتكس ؟ لأننا دخلنا المعركة بدون أن نستعد ، وقال البعض انها نزهة ولم نكن نتصور فى هذه الأيام بأى حال من الاحوال انها نزهة ولأن الرجعية أيضا تواطأت مع الاستعمار •

هذا هو سبب نكستنا سنة ٤٨

ولهذا فأنا حينما تكلمت مع ممثلى شعب فلسطين منذ أيام قلت لهم ان علينا أن نستعد وعلينا ألا نتحرك أى خطوة الا اذا كنا على أتم الاستعداد • وكفانا ما لمسناه فى سنة ٤٨

النضال لتحرير فلسطين

قلت لهم ان النضال العربى لتحرير فلسطين يجب أن تقع مسئوليته الأولى على شعب فلسطين •• يجب أن يكون شعب فلسطين هو الطليعة •• ويجب علينا أن نعزز هذه الطليعة بجميع الامكانيات المادية والعسكرية للجمهورية العربية المتحدة .. ونحن نعرف أيها الاخوة مسئولياتنا ونقبلها برضا وبطيب خاطر .

قلت صراحة لممثلى شعب فلسطين ان المسئولية تقع عليهم أولا كطليعة ولكن لابد لهم من الاستعداد وقلت لهم علينا أن نعزز موقفنا • علينا أن نستعد فى جميع الميادين•• الميادين المادية والميادين الروحية •• والميادين

العسكرية ونحن هنا علينا أن نعزز قدرتهم بحجز كل امكانياتنا المادية والمعنوية والسياسية والعسكرية فى الجمهورية العربية المتحدة ووضعها موضع الاستعداد الكامل حتى نضمن النصر وحتى لا تتكرر مأساة سنة ١٩٤٨ .

راديو سعود

ان أى مغامرة أو أى مقامرة بدون استعداد بناء على علامات وبيانات من أجل الاستهلاك المحلى أو من أجل كسب رضا الشعب تكون ضد مصلحة الأمة العربية .. ونحن أيها الأخوة نتحمل أكبر قسط من هذه المسئولية وهناك من ينادى بفلسطين وبتحرير فلسطين ويملك الأموال ولا نجد فى جيشه طائرة واحدة مستعدة أنها تحارب فى فلسطين.. راديو مكة من كام يوم بعدما اتكلمت مع اخواننا الفلسطينيين كان فى تعليقه بيقول ان جمال عبدالناصر بيقول ان احنا خلاص تركنا قضية فلسطين . أنا مقلتش ان احنا تركنا قضية فلسطين.. أنا قلت ان احنا ميزانيتنا من أجل قواتنا المسلحة ١٣٠ مليون جنيه .. ميزانيتنا ديه ليه ؟ علشان نستعد .. طيراننا بنقويه . جيشنا بتقويه كنا بنقويه .. اللى بيكلم بقى من راديو سعود أو اللى بيعبر عن هذا الكلام وبيقول أن احنا تركنا القضية عنده كام طيارة .. اشترى كام طيارة لجيشه . مفيش طيارة واحدة تستطيع أن تقاتل فى فلسطين .. أذن الكلام اللى للاستهلاك المحلى . والكلام اللى لخداع الناس لابد أن يتضح .. ولابد أن ينكشف .

علينا أن نستعد حتى لاتتكرر مأساة ٤٨ ـ ذلك واحنا فى الطليعة وذلك واحنا كقاعدة للتحرير العربى هذا البلد يتحمل تاريخيا أكبر قسط من المسئولية .. لأننا تحررنا تحررا كاملا ، وليس هناك أى أثر لنفوذ أجنبى علينا

قالوا علينا ..

يعنى أنا بقول من سنة ٥٢ فيه ناس قالوا علينا ان احنا شيوعيين وخضعنا لموسكو وناس قالوا علينا ان احنا امريكان وخضعنا لواشنطن وناس قالوا علينا ان احنا خضعنا للندن . احنا لا نخضع الا لارادة الشعب فى الجمهورية العربية المتحدة .. وهذا ماتبعناه طوال السنين العشر الماضية وهذا هو طريقنا وتلك هى سياستنا . انما تحررنا تحررا كاملا .. ده اللى بيخلينا نتحمل تاريخيا أكبر قسط من المسئولية . ولأننا نملك القوات الضخمة المادية والعسكرية بنملك قوات عسكرية . ميزانيتنا أكثر من ٢٠٠٠ مليون جنيه . جيشنا أقوى جيش .بنستعدمابنكلش كلام للاستهلاك . اللى بيكلموا علينا واللى بتدفعهم قوى معينة أو قوى استعمارية لأنهم يتكلمون عليناببيستعرضوا فى بلادهم .. أيه اللى عندهم . ايه الجيوش الموجودة عندهم علشان تقاتل أو علشان تحارب . اللى بيقولوا أو علشان حتى تكون قاعدة . اللى بيقولوا على هذه السياسة الواضحة . بيقولوا لنا ايه هو الدور اللى ممكن تعملوا الدول العربية بالنسبة لفلسطين بدون هذه الجمهورية العربية المتحدة ؟ مافيش دور أبدا .

الكلاب تعوى

ليه لأن الوحدة هى أساس نصرنا.. الوحدة أساس نجاحنا .. الوحدة هى أساس تحقيق أهدافنا ، وتحقيق أغراضنا وطبعا لايمكن أن نتحد مع الرجعية ، ولا مع أعوان الاستعمار .. لأن الرجعية وأعوان الاستعمار فى سنة ١٩٥٦ حينما كنا نجابه العدوان الثلاثى كانوا يشعرون بسرور.. لأن الجمهورية العربية انتهت .. أو لأن مصر انتهت . هما أعداؤنا زى الاستعمار ماهو عدونا .. نحن نملك القوة .. اللى أنا عايز أقوله .. ان قضية الحرية العربية بالنسبة لينا قضية واحدة .. ونحن نعرف مسئوليتنا .. ونمضى اليها . ستعوى الكلاب من حولنا .. ولكن بيعووا بقى لهم عشر سنين .. والقاطرة استمرت .. واذا كنا مصممين على النصر .. فلابد أن نعرف أن النصر الذى يتعين علينا احرازه ..ليس بالنصر الرخيص ولا يمكن احرازه بالكلام أو بالخطب

أو بالبيانات وانما يمكن احرازه فقط بمتابعة الهدف باستمرار .. بالتـأهب وبالاستعداد وبناء القوة الذاتية العربية .. والسبيل الوحيد اللى يمكننا من أن نحصـل على النصر .. ثم بالاحتفاظ بوحدة القوى التقدمية فى العالم العربى لأن هذه القوى التقدمية هى التى ستجعل من العالم العربى قـوة ذاتيه فعالة .. لان القـوى التقدمية ستستطيع أن تقضى على الاقطاع .. وهى التى ستستطيع أن تقضى على أعـوان الاستعمار .. وهى التى ستسـتطيع أن تقضى على الرأسمالية المستغلة .

مشكلة الجزائر

من هنا أيها الاخوة .. أعود الى مشـكلة الجزائر .. ان وحـدة الثورة الجزائـرية ليســت ضرورية الآن فقط لحـرية شعب الجزائر .. ولكنها أكبر ضرورة للنضال العربى الشامل من أجل الحرية .. ضرورية لقضية العـرب الأولى وهى فلسطين .. ولا أعنى بهذا أن احنا بنطلب جنود من الجزائر عشان تحارب فى فلسطين .. أما الجـزائر الحـرة المستقلة القـوية التى تخلصـت من الاستعمار . .هى قوة .. فى حد ذاتها .. قوة ذاتية للأمة العربية فى سبيل استرداد حقـوق شعب فلسطين .

برقيات من الجزائر

البرقيات التى تلقيتها اليوم من الجزائر .. شغلت بالى كثيرا .. برقيات من سفرائنا فى تونس ، وليبيا أو الرسـائل اللى جاتنى من السيد بن خدة أو السيد بن بيللا وكان لايمكن لى أن أقف موقف المتفرج .

على صبرى يحمل رسالتين

ولهذا قررت ظهر اليوم أن أرسـل رسالة الى السيد بن خدة .. ورسالة الى السيد بـن بيللا .. وأوفدت السيد على صبرى بهـذه الرسائل علنى أستطيع فى هـذه اللحظات الآخيرة أن أبذل جهدا من أجل الجزائر .. أو أنجح فى أن تلتئم وحـدة الثـورة الجزائرية وأنا أدعو الرئيس الحبيب بورقيبه رئيس جمهورية تونس .. وأدعو الملك الحسـن الثانى ملك المغرب أن يقوما أيضا معى بدور ايجابى من أجل وحدة الثورة الجزائرية .. لأن وحدة الثورة الجزائرية قوة للمغرب العربى كله .

صوت الجمهورية العربيـة

أيها الاخوة .. اننى اقترح على مؤتمركم ليعبر هذه اللحظة عن صوت الجمهورية العربية المتحدة عن ضميرها ، عن أحساسها ومسـئولياتها أن تتوجه من هنا جميعا الى الجميع .. الى كل القادة — والى كل الشعب .. الى كل واحد منهم الى كل الذين ناضلوا من أجل الجزائر ووحدة ترابها ومن أجل شرف علمها .. وحدة الثورة الجزائرية قبل كل شىء آخر .

لقد كان يمكن أن نسكت .. وكان يمكن أن نقف موقفا سلبيا . وكان يمكن أن ننتظـر بل ان ما نقوله الآن قد يغضب علينا أحد الأطراف .. قد يثير علينا المتاعب من الذين يتربصون بالثورة الجزائرية .. ولكن كل ذلك لا يهمنا ولا يعنينا فى شىء . المهم أن تنتصر الحـرية فى الجزائر .. المهم أن تتحقق آمال أنصـار الحرية فى كل بقعة من أرض الوطن العـربى لابد أن تبقى وحدة الثورة الجزائرية .

نحن معكم

اننى أعرف أن كثيرا من اخواننا فى الجزائر يستمعون الينا الآن .. نحن نقول لهم من هنا نحن معكم جميعا .. كلكم بالنسبة لنا أبطـال نضال .. كونوا معنا .. مع أمتكم العربية مع حريتها كونوا معنا بشىء واحد لا نطلب غـيره هو وحدتكم الوطنية فى هذه اللحظات الخطيرة العصيبة والله يوفقكم .

أحمد دوموكاو ألنتو زعيم مسلمى الفيليبين

هو ابن سلطان رامين ووريثه فى السلطنة والتالى فى زعامة المسلمين فى الفيلبين .. كان مبتعدا عن شئون المسلمين حتى عام ١٩٥٠ ، لانغماسه فى الحياة الفيلبينية - وبخاصة بعد تخرجه من جامعة الفيلبين - فقد كان هذا النوع من التعليم محددا للغاية بين المسلمين وبدأ سيادته بالاهتمام نحو شئون المسلمين عند زيارة مولانا عبد العليم الصديقى للفيلبين - وهو باكستانى - وقد حدثه عن الاسلام والمسلمين وكان لذلك أثر فعال فى نفس السناتور أحمد دوموكاو ألنتو ..

وعندما رشح نفسه فى الانتخابات فشل ، وكان ذلك دافعا آخر فى اهتمامه بشئون المسلمين ومبادىء الاسلام ، فعمل على أن يكون بحق قائدا وزعيما للمسلمين فى الفيلبين

وقد أثبت جدارة فى ذلك فترجم جزءا من القرآن الى اللغة المارانساوية وكانت هذه أول مرة يترجم فيها القرآن الى لغات محلية ..

ونجح فى انتخابات مجلس الشيوخ عام ١٩٥٥ وتولى منصب زعامة المسلمين وبدأ نشاطه نحو تحسين أحوالهم ورفع مستواهم وازالة الجهل عن عقولهم وتحسين حالاتهم الاجتماعية .

وكان السناتور احمد دوموكاو النتو ضمن أعضاء مؤتمر باندونج وهناك قابل السيد الرئيس جمال عبد الناصر لأول مرة واجتمع به وفى هذه المقابلة تأثر به الى أقصى حد ..

وفى عام ١٩٥٦ دعا السناتور أحمد دوموكاو النتو بصفته رئيس جمعية المسلمين بالفيلبين الى مؤتمر اسلامى قومى حضره مندوبون من العالم الاسلامى ، ومثل مصر سفيرنا فى اندونيسيا ووزير الأوقاف فى ذلك الحين . وفى عام ١٩٥٨ بدأ مجهوده لرفع مركز مسلمى الفيلبين داخليا وخارجيا :

داخليا عن طريق مشروعات ثقافية واجتماعية

وخارجيا عن طريق تعريف العالم الاسلامى بمسلمى الفيلبين وقد زار سيادته فى عام ١٩٥٨ الجمهورية العربية المتحدة وكانت الزيارة الأولى ، وفى عام ١٩٦٠ كانت زيارته الثانية بدعوة من المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، وفى ٦ يونيو ١٩٦٢ كانت زيارته الثالثة بناء على دعوة من المجلس الأعلى للشئون الاسلامية أيضا .

وقد استقبل السيد الرئيس جمال عبد الناصر صباح الثلاثاء ١٩ يونيو السيد أحمد دوموكاو النتو زعيم مسلمى الفيلبين بمناسبة زيارته للجمهورية العربية المتحدة

وكان السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية ووزير الأوقاف قد استقبله صباح الأحد ١٠ يونيو

وقد دار البحث فى الاجتماع حول وسائل تدعيم العلاقات بين المسلمين فى كل من البلدين .

كما تم الاتفاق على الرسوم الخاصة بالمركز الاسلامى الذى ستقيمه وزارة الأوقاف فى الفيلبين ، وعلى ايفاد ثلاثة من علماء الأزهر لتدريس الدين الاسلامى ، وايفاد احد علماء

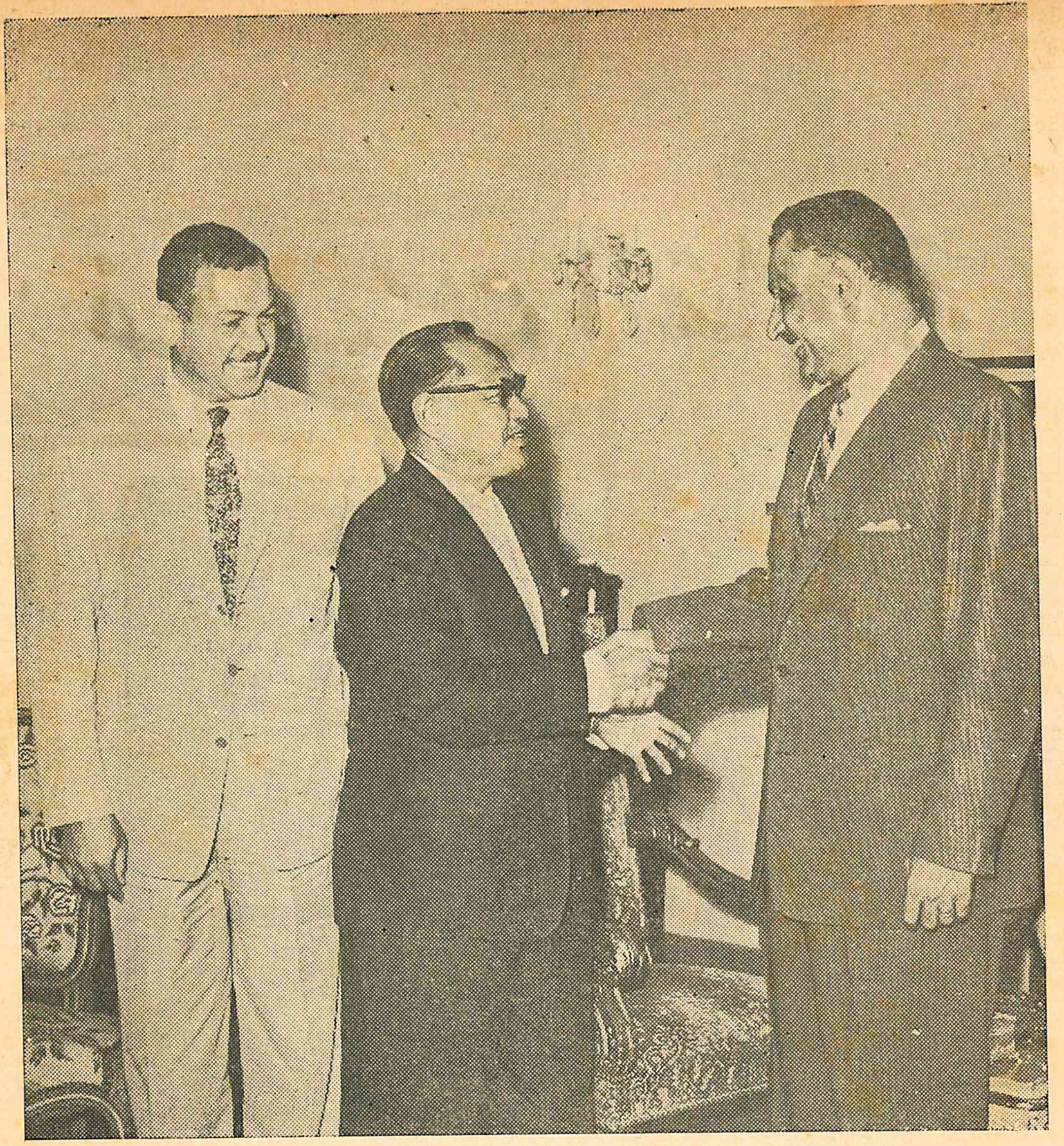

السيد الرئيس جمال عبد الناصر ومعه السيد الاستاذ حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية يستقبلان السيد أحمد دموكاو ألنتو زعيم مسلمى الفيلبين

الأزهر لادارة معهد مندناو العربى وأهدى سيادته الى الضيف الكبير المصحف المرتل .

كما اتفق على ارسال عدد من الطلبة المسلمين الفيلبينيين الى مصر للدراسة الاسلامية تمهيدا لقيامهم بدور القيادة عند عودتهم كما ذهب الى الفيلبين عدد من المدرسين العرب

والسيد احمد دوموكاو النتو شخصية اسلامية طافت كل البلاد الاسلامية ومعظم بلاد العالم . وهو نائب رئيس الحزب الوطنى فى الفيلبين . وبالاضافة الى زعامته الدينية فهو من الزعماء الوطنيين فى الفيلبين وفى الشرق الأقصى .

والفيلبين سلسلة من الجزر يبلغ عددها ٧٠٠٠ جزيرة . تقع فى جنوب شرق آسيا وتمتد حوالى ١٠٠٠ ميل من الشمال الى الجنوب أعلى قليلا من خط الاستواء وتبلغ مساحتها حوالى ١١٤٨٣٠ ميلا مربعا وعاصمتها « مانيلا » ويبلغ عدد سكانها حوالى ٢٤ مليون نسمة يبلغ عدد المسلمين ٤ مليون نسمة يقيمون فى جزيرة مندناو وخليج صولو . والفيلبين تنقسم الى ثلاثة أقسام هى بيسايا ـ لوزون ، مندناو وصولو حيث يعيش بها المسلمون .

خطاب من القاهرة

السيد حسين الشافعى
نائب رئيس الجمهورية
ووزير الشئون الاجتماعية والأوقاف

- الدعوة فى قلوبنا.. لكنها تحتاج الى تقدير التوقيت والحجم والأسلوب
- كل ما نراه انحرافا يجب أن يكون دافعا قويا لدعوتنا
- فى نجاح العروبة نجاح للإسلام وانطلاق لدعوته
- الذى يطلب الحماية من الغير ليس لديه الإيجابية للمقاومة

فى اجتماع بعض رجال الدين مساء الثلاثاء ١٣ يونية سنة ١٩٦٢ لمناقشة الميثاق

لابد لمن يحكم على الميثـــاق أن ينظر اليه ككل ..

فلو أخذنا الميثاق ككل ، وأخذنا رسالة الاسـلام ككل أيضا فاننا نلتقى فى نواح معينــــة ، وهـــذا الالتقاء يجب أن يكون واضــحا ومسجلا ..

فالسيد الرئيس وضع عصارة فكـــرة بالنسبة لمشاكل المجتمع ، والهـــدف الذى نسعى اليه .

ويجب أن نتذكر ونعلم أنه حتى الاســـلام كان يقرر الموقف على طبيعة الحالة التى يعيش فيها ، فلم يكن يحلق فى الخيال ، وانما كانت خطواته مطابقة لما تحتمله الظروف والأحوال ، واذا وجد من يحلق فى الخيـــال ويرغب فى ايجاد تفصيلات لا يحتملها الوقت فـسيكون ذلك معـــوقا .. والا فما المغزى من بـــدء رسالة الاسلام سرا لمدة ثلاث سنوات .

لابد ــ اذن من تحديد الهدف والوسائل الموصلة لهذا الهدف ، وهـــذا انما يحتاج الى تقدير الأسلوب والحجم والامكانيـــات .. فالدعوة من قلوبنا ، وتحتاج الى تقـــدير التوقيت والحجم والأسلوب .

والذين يناقشون المسائل مناقشة جانبية فهم لايرتفعون الى مستوى الميثـــاق ككل .

فبالنسبة للصحافة ، ومن يطلبون تقييـــد حريتها فى الميثاق يجب أن يـــدركوا أن عيب الصحافة انما يعود الينا نحن رجال الدين .. لأن الثقافة الدينية عند بعض الصحفيين لاتصل الى مستوى احساسنا .. فلابد من الاتصال بهم واظهار الحق .. حجـــة بحجة ، ومنطقـــا بمنطق .

وليس من ضير أن نجتمع بالصحفيين فى ندوة مثلا ونتـــدارس معهم أمور ديننا ، فهم اخوتنا ، وعندئذ يكون تقويمهـــم بالمنطق وبأسلوب الاسلام ، بالحكمة والموعظة الحسنة ذلك لأنه عندما يعجز الصـــحفى عن الدخول فى الثقافة الدينية ، فاما أن يتعالى عليهـــا أو يتجاهلـــها أو يعاديها فعليـــنا ــ اذن ــ أن نبصرهم .. والا فنحن المقصرون .

والذى يطلب الدفاع عن نفسه ، ويطلب أن يحميه القانون ، فهذا دليل عليـــه بأن ليس لديه الايجابية الكافية للمقاومة .. فابن رشد والغـــزالى وغيرهمـــا كتبـــوا فى المعـــارك الفلسفية ووقفوا واثقين من دينهم واسلامهم وأنفسهم ، وتمكنوا من الانتصار على التيارات بما لديهم من القوة والمنـــطق وبما طالبهم به الله .

ونحن مسئولون جميعا عما نرى ونسمع ونحس ، وعلينا ألا نتـــوقف ، وكل ما نراه انحرافا يجب أن يكون دافعا قويا لنا فالله جل شأنه يقول « ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » . وعندما نعمل نجد أن القوة الشعبية معنا ، وعندئذ يفرض الوضع القيم والمبادىء التى ننادى بها .

وبالنسبة لما أثير عن الكتابة فى موضوع الزكاة .

فنحن الآن فى مجـــال تريـــد الدولة أن تصل الى مايريد الاسلام أن نصل اليه ، فاذا دعا الاسلام الى تقرير اشتراكية عادلة تؤخذ من روح الاسلام باذابة الفـــوارق وتقريب طبقات الناس بعضهم مع بعض فنحن نسير فى هذا الاتجاه .. وهـــذا الذى نسير فيه لاتقوى عليه حكومة أخرى ، والاسلام بنظرته البعيدة أبقى ذاتية الفرد وعمل على اذابـــة الفوارق بالأخذ من القوى واعطاء الضعيف .

فالذين هاجروا تركوا أموالهم ثم قاسموا الأنصار أموالهم فكانت صورة من صـــورة الاشتراكية القوية جعلتهم يقفـــون فى قوة

بجانب الرسول ، وبجانب الحق ، ضد اثرة وعناد وجبروت أبى لهب وأبى جهل ، وكانت الحرب للقضاء على امتيازات هؤلاء المعاندين ومن أجل الزكاة ٠٠ فالاسلام يريد أن يعطى الجميع عيشة راضية يجد فيها كل فرد لقمة العيش والرخاء والعزة ٠

والميثاق يضع السبيل لتقرير الاشتراكية الحقيقية ، فواجبنا أن نبادر الى مناقشة الميثاق من هذا الجانب ومدى انطباقه على مبادىء الاسلام ،فالقرآن يقول ((فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد)) فيرسم بذلك صورة للتناقض الاجتماعى ، وعندما تقف الرجعية والاستغلال وقفة أنانية وتحد ، فعلينا أن نعلن الحرب عليها ٠

هؤلاء الذين يعيشون من السعودية فى ترف ورخاء مع فقر الملايين ثم يقولون ، اننا بعيدون عن الاسلام ! من منا البعيد عن الاسلام ؟ هل يمكن لأحدهم أن يحيا حياة عمر أو أبى بكر ؟

لا نريد أن نشغل بالمسائل الجانبية بل يجب أن ننظر الى الجوهر الأصيل لمعانى الاسلام ونؤيد هذه المعانى فى ايمان وقوة وعزم ، فايمان الرسول وصحابته حطم كل العقبات ٠٠ فصلح الحديبية كان صورة لايمان الفرد ، عندما رأى الرسول أن عقد هذا الصلح سبيل لانتصار الحق ، وقد ترتب على هذا الصلح أن رد الرسول بعض المسلمين الذين لجأوا اليه فلم يرجعوا ، بل دفعهم ايمانهم الى أن يكونوا قوة تهدد خطوط مواصلات العدو ، والتجأ اليهم كل من فر بدينه من ظلم المشركين ، حتى صرخ الأعداء ، وطلبوا احتفاظ الرسول بمن يهاجر اليه ٠

هذا هو الايمان الذى يحطم الحواجز ويتخطى العقبات ٠

وعن الجانب التاريخى ٠ فيمكن الاستفادة من تاريخ الاسلام فى الأندلس ، ودراسة سبب تفتت المسلمين وضياع دولتهم ، وثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ هل كان لها جذور ؟

لماذا لم نلجأ للعنف ؟ لماذا لم نفعل كما فعلت الثورة الفرنسية من تقتيل وتعذيب ؟ لماذا لم ننحرف عن العهود التى قطعناها ؟ لأن الاسلام قرر أن العهد كان مسئولا لماذا لم ننتقم أثناء القدرة ؟ ٠٠ لأن الاسلام يقول « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس» لاشك أن الثورة تستهدف فى تصرفاتها مبادىء معينة وان لم تكتب هذه المبادىء وتسطرها

وبالنسبة للقومية العربية ٠٠ فان الاسلام بدأ فى دور حضانة لمدة ١٣ سنة لتكوين الفرد ، ثم كان الانطلاق القوى الفعال ٠٠ نحن فى مجال العروبة والمناداة بها ، اذا نجحت العروبة نجح الاسلام ، واذا فشلت فسوف لا يكون انطلاق للاسلام ٠٠ ولا يمكن أن ننطلق الى الاسلام من فراغ .. عندنا قيم واصول ثابتة ... ولابد أن نعود الى الميثاق لتفهم مرامى كلماته٠

لقد نشأ المجتمع الاسلامى فى أسلوبه لتكوين الفرد والمجتمع على المبادىء التى تؤدى الى سلامة البشرية فكان شعاره ((**لا اله الا الله من اعلن – هذا الشعار دخل معسكر الأحرار ، والذى يعلنه يعلن أنه لا معوق له من الانطلاق ، ولا حاجز أمامه فى سبل التحرير ،** فلو كانت فيه بقية من جاهلية أو أنانية أو نحو ذلك فان مثل هذا لا يصلح للحرية والدفاع عنها ٠٠ هذه المعانى يجب أن نضيفها ونضمنها باب الحرية فى الميثاق ٠

المذهب الجبرى الذى نشأ مع الأمويين بعد ماقتلوا عليا والحسين ٠٠ هل كان فى امكانهم مواجهة الرأى العام الا بالأسلوب الجبرى والتسليم بالواقع ؟ .. كثير من المذاهب لم يكن الا تعبيرا سياسيا .. ومع تقديرنا للأئمة العظام أصحاب هذه المبادىء فقد كان ذات تكتل حزبى سياسى وتشيع لخلافة معينة ٠٠ **فكل مايدعو الى فرقة المسلمين وعدم وحدتهم أمر مخالف للاسلام وتعاليمه ٠**

هذه الخواطر لا شك تطالبنا بأن نرتفع الى مستوى الأحداث ومستوى الاسلام فى ظل الحرية ، لا فى ظل التعصب والتفرقة ، فاذا فعلنا ذلك نكون قدأدينا واجبنا ووعينا الأمانة التى حملنا التاريخ حفظها ورعايتها ٠

حديث

مع سفير أفغانستان
سيد قاسم رشتيا
الكاتب والدبلوماسي الأفغاني

ولد في كابل عام ١٩١٣

تلقى علومه في مدرسة « الاستقلال » العليا في كابل ، (١٩٢٠ - ١٩٣١) .

ثم حضر دروسا في الاقتصاد وادارة البنوك (١٩٣٧-١٩٣٨) .

شغل سيادته عدة وظائف ومناصب هامة منها أنه كان عضوا بقسم الصحافة بوزارة الخارجية، وسكرتيرا بقسم العلاقات الخارجية بوزارة المواصلات ثم مترجما بالأكاديمية الأفغانية للآداب ثم عضوا لهذه الأكاديمية .. وفي عام ١٩٣٦ - ١٩٣٨ اشتغل بالتحرير في « تقويم كابل » ومجلة « كابل » .. بعد هذا عمل نائبا لرئيس الأكاديمية الأفغانية ثم مديرا عاما للنشر بوزارة المطبوعات والاستعلامات.. وفي عام ١٩٤٤ - ١٩٤٨ عمل نائبا لرئيس وزارة المطبوعات والاستعلامات ثم شغل منصب رئاسة مجلس التخطيط الاقتصادي الحكومي وكان الممثل الدائم للحكومة لدى بعثة المساعدة الفنية التابعة للامم المتحدة ، بكابل سنة ١٩٥١ الى غير ذلك من المناصب الهامة ، فقد كان سفيرا أفغانستان في براغ سنة ١٩٦٠ - ١٩٦٢ .

وسيادته الآن سفير أفغانستان في القاهرة .. هذا الى جانب الوظائف الشرفية التي اضطلع بها ، وقد أنعم عليه بعدة انعامات مثل .. وسام المعارف من الدرجة الثانية ، وسام ستار من الدرجة الثانية ، وسام رشتين الذهبي .. كل هذا من أفغانستان.. ثم وسام الجمهورية العربية المتحدة من الدرجة الاولى ووسام العلم اليوغوسلافي من جمهورية يوغوسلافيا .. وسيادته له بعض المؤلفات كما أنه أيضا قام بترجمة بعض الكتب وهناك كثير من الرحلات التي مثل فيها بلاده ، فقد كان رئيسا للوفد الصحفي الأفغاني الى الهند ، وفي عام ١٩٥٥ مثل الصحافة الأفغانية في مؤتمر باندونج ، وكان عضو الوفد الأفغاني الى اجتماعات الجمعية العمومية العاشرة للأمم المتحدة عام ١٩٥٥ ثم رئيس الوفد الصحفي الأفغاني الى الاتحاد السوفييتي عام ١٩٥٦ ، وغير هذا كثير من الأعمال الهامة الكبيرة التي تعد صفحة فخار له ولبلاده .

وفي حديثنا مع السيد السفير قال سيادته:

« ان هذه هي المرة الثانية التي أزور فيها الجمهورية العربية المتحدة .. ثم قال : كانت المرة الأولى بصحبة صاحب الجلالة ملك

أفغانستان خلال زيارته الرسمية للجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٦٠ وفى كلتا المرتين وجدت نفسى فى جو ودى محض بين اخوة أعزاء ، لأن عواطف شعب الجمهورية العربية المتحدة تجاه الأفغانيين تمثل صورة طبق الأصل من عواطف الشعب الأفغانى نحوالشعب العربى ولا يستطيع أن يحس تلك العواطف الصادقة الا قلوب الشعبين ٠٠ وقد لفت نظرى - فى الزيارتين - تلك النهضة الكبرى فى جميع مرافق الحياة وقد سررت بهذه النهضة كل السرور ٠٠

ثم تحدث سيادته عن أفغانستان فقال :

« انها بلد اسلامى ، وجميع سكانه تقريبا - والحمد لله - مسلمون وللدين الاسلامى بين الأفغانيين - الذين فطروا على التدين والاعتقاد - شأن كبير ومكانة مرموقة ٠٠ ومما هو جدير بالذكر أن أفغانستان كانت منذ قرون مضت وحتى عهد قريب مركزا للحضارة والعلم والثقافة يدل على ذلك أن كثيرا من المدن الأفغانية أمثال بلخ وغزنة وهرات تعد من المراكز العلمية والثقافية الهامة ٠٠ أما التعليم الحديث فقد بدأ مع حلول القرن العشرين ، ومنذ ذلك الحين أخذت البلاد تخطو خطوات حاسمة رتيبة نحو التقدم العلمى ٠٠ ففى أفغانستان اليوم بالاضافة الى مئات المدارس الابتدائية والقروية والمهنية والفنية جامعة كبرى تضم عشر كليات بأقسامها المختلفة ٠٠

تحدث سيادته بعد ذلك عن المرأة الأفغانية فقال : « انها تحتل دائما ومنذ القدم مركزا ممتازا فى المجتمع ، وتشارك الرجل فى شؤون الحياة وتقف معه جنبا الى جنب لا سيما المرأة فى الريف فانها تشارك الرجل حياته فى الحقل والزرع وتربية الدواجن والحيوانات والصناعات اليدوية والحرف المنزلية بالاضافة الى عملها فى المنزل كربة بيت وأسرة ٠٠ وقد صارت المرأة تشغل عددا كبيرا من الوظائف فى الدوائر والمؤسسات وتشترك فى المسائل الاجتماعية جنبا الى جنب مع الرجل ، وهناك جهود كبيرة تبذل فى سبيل المحافظة على النواحى الدينية والأخلاقية •

تطرق الحديث بعد ذلك الى الروابط التى تربط بين أفغانستان والجمهورية العربية المتحدة فذكر سيادته أن الروابط الثقافية بين البلدين قديمة ترجع الى عدة قرون ٠٠ فبالاضافة الى الدين الاسلامى والثقافة الاسلامية التى تشتركان فيها ، فانه منذ انشاء الأزهر الشريف قامت بين الشعبين علاقات معنوية دائمة ، وكان علماء أفغانستان يقصدون على الدوام هذا المركز الاسلامى العلمى الكبير لاكتساب المعرفة والاستزادة من العلم وقد توثقت هذه العلاقة أكثر من ذى قبل فى السنوات الأخيرة ، فقد انتدب الأساتذة من الجامعة الأزهرية ووزارة التربية والتعليم والمؤسسات العلمية بالجمهورية العربية المتحدة للتدريس فى مدرسة العلوم الشرعية وفى كلية الشريعة « جامعة كابل » ومن جهة أخرى فان العلاقات الثقافية بوجه عام أخذت تتوثق بين البلدين الصديقين بشكل ملحوظ ولا شك فى أن تبادل وفود العلم والفن والثقافة والمدرسين والطلاب من الأسباب القوية لتطور العلاقات بين البلدين ٠٠

واذا كانت أفغانستان قد قدمت كثيرا من العلماء والمثقفين والمفكرين ورجال السيف والقلم والسياسة فمما لا شك فيه أن السيد جمال الدين الأفغانى هوأعظم أفغانى قام مجاهدا فى سبيل يقظة الشعوب الاسلامية فقد كان مناضلا فذا ضد الاستبداد والدكتاتورية والرجعية والاستعمار ، ومن حسن الحظ أن جانبا كبيرا من كفاحه وجهاده كان فى مصر وأن عددا من رواد التقدم وقادة النهضة أمثال الشيخ محمد عبده وسعد زغلول كانوا من تلامذته مما كان وما زال له أكبر الأثر فى توثيق الروابط بين الشعبين الشقيقين ٠٠

ثم قال سيادته ان تقوية الروابط بين الشعوب الاسلامية فى آسيا وافريقيا ليست بالأمنية المفضلة فقط ، بل هى أيضا ضرورة ملحة ، لأن هذه الشعوب على الرغم من رابطة الاخوة الاسلامية المتينة التى تشد بعضهم الى بعض فان هناك نواح كثيرة أخرى يتشابهون ويشتركون فيها ٠٠

وعلى هذا فان أية خطوة تتخذ فى هذا السبيل يعود خيرها على الجميع •

الشرف

لأستاذ الجيل أحمد لطفى السيد

لا يعرف التاريخ أن بنى الانسان كانوا يوما من الأيام على حالة الهمجية أو الوحشية ، بل الذى نعرفه جميعا أن الانسان عاش دائما فى حالة المدنية ، والمقصود بالمدنية أن أفراده كانوا مرتبطين فى كل بقاع وفى كل زمان بأربطة متفق على صحتها ، مثل القيود التى تنتج عن روابط العائلة ، أو روابط المساكنة والاشتراك فى المصالح أو روابط الدين وآدابه، أو روابط الأفكار والمشاعر التى تخلقها فى المرء رؤيته للطبيعة وفكرته فى هذه المسألة الكبرى، مسألة لماذا خلق الانسان والى أين يذهب به ؟

هذه الروابط التى نتج عنها الاحساس بالخير والشر والاحساس بالحق والواجب ، كانت دائما هى قوانين بنى الانسان ، بل حدود ذلك المعنى العام غير المتناهى الذى ، يسمونه الشرف .

اذا قلت فصدقت فى القول ، ووعدت فوفيت بالوعد ، وقبلت مركزا فى الاجتماع فأفرغت جهدك فى الأخذ بحقوقه والقيام بواجبه على أكمل الصور التى تستطيعها ، فأنت شريف .

يبنى الرجل بزوجة فيتعهد لها صراحة او دلالة بدوام الود لها دون غيرها والقيام عليها وحسن معاشرتها ، ثم هو بعد ذلك يتبرم بها ويتغير لها .

يرزق الرجل أولادا فلا يفكر فى أمرهم ولا تأخذه الغيرة على مراقبة سلوكهم ، ويهمل تربيتهم بقدر ما يستطيع .

يتخذ الرجل صاحبا يصفى له المودة ، ثم لا يلبث أن تبرد فى قلبه نار المحبة له ، فلا يصدق معه الصحبة ، ويتجنى عليه اذ كلفته صحبته قليلا من العناء .

يرجو الشاب أن يكون موظفا فى الحكومة قائما بأعمال عامة يترتب عليها صلاح الناس وفسادهم . فيسلم له التصرف على حسب أهمية وظيفته فى مصالحهم ، حتى فى الحكم فى دمائهم وأعراضهم . فلا يلبث أن تقل فى نفسه حدة العمل ويتهاون فى القيام بالواجب، ويفضل راحة بدنه وشهوات نفسه على مواصلة الليل والنهار فى اصلاح حال الذين ولى عليهم . وقد يكون من مسلياته على وخز الضمير ، أن قرينه الموظف الآخر ينقد راتبا أكثر من راتبه وهو كذلك لا يعمل شيئا طول النهار ، بل هو يفكر كل يوم ساعة فى الحيل التى يتخذها لدرء المسئولية عن نفسه، عندما يتهم لدى رؤسائه بالتقصير والاهمال.

ويجتهد فى أن تكون توقيعاته على ما يعرض عليه من الأوراق توقيعات مبهمة تحتمل وجهين ويعمل فكرته اعمالا دائما فى الطريقة التى بها يترقى من درجة الى أعلى منها .

يتفق الرجل مع الرجل على القيام بعمل خاص أو عام ، وبعد ذلك الاتفاق اذ بدا له أن فى نقض قوله ودوس شرفه شيئا من الغنم أو الامل نقض قوله من بعد قوة وايمان، ولعب بالاتفاق مهما كان .

يتصدر الرجل للعمل فى السياسة بالدفاع عن حقوق أمته وهو يعلم أن من وراء هذا الدفاع تضحية الراحة وتضحية المال وتضحية حريته وحياته عند اللزوم ، ولكنه مع ذلك يتخذ العمل هزؤا أو لعبا ، بل يتخذه وسيلة لارضاء شهوة ، كيفما يتفق . الا أن ذلك الزوج وذلك الوالد وذلك الصاحب وذلك الموظف وذلك الشريك وهذا السياسى ، كلهم قد جاوزوا حدود تلك القوانين الطبيعية أو الروابط الأدبية التى لا يعرف لها فى العالم أول ، أو بعبارة أخرى انهم خسروا الشرف .

ضيع ما شئت من المال فما عاقبته الا الفقر . وما شئت من الصحة فما العاقبة الا المرض أو الموت . وما كان الفقر عارا ولا كان المرض خطيئة .. ولكن الخطيئة والعار هما فى خسران الشرف . ولئن خسر المرء كل شىء فحقيق به ألا يخسر الشرف .

السليقة العربية أين ذهبت ملكة الشعر العربي ؟

الأستاذ الكبير
عباس محمود العقاد

سؤال وجهه السيد « أبو يعلى حافظ البطة » من خان يونس بفلسطين الى « منبر الاسلام » وطلب من المجلة أن تعرضه على بعض الكتاب والمشتغلين بالأدب فقال بعد أن ذكر أسماء الشعراء الذين نظموا قصائدهم بالسليقة الى العصر العباسى :

« انه من العجب العاجب أن تغيب ملكة الشعر العربية فلا نجد من يقول الشعر الا بطريق التعلم والدرس ، فأجود من عاصرنا من الشعراء الشاعر العظيم أحمد شوقى ولكن لم يكن شعره شعر سليقة وارتجال بل شعر تعلم ودراسة .

الى أن قال : « وقد قرأنا عن الشيخ عبد المحسن الكاظمى المعاصر - رحمه الله - انه كان يقول الشعر ارتجالا وسمعنا انه كان يرتجل نحو ثلثمائة بيت فى مقام واحد ، فهل ترون أن الكاظمى كان يقول هذا الشعر بفطرته وسليقته أو أن شعره هذا شعر تعلم ودرس ؟ .. كما روى عن أهل شنقيط أنهم يتكلمون العربية فطرة ، ثم قال محدثهم الفاضل الشيخ محمد الخضر انهم يتكلمونها بالتعلم والتلقى .. وانى أرى ان اختفاء ملكة الشعر العربى جدير بالبحث والتفكير .. »

والواضح من سؤال « السيد أبو يعلى » انه يتكلم عن السليقة وعن الارتجال أو سرعة الخاطر كأنهما ملكة واحدة وهما فى الحقيقة ملكتان مختلفتان ، قد تجتمعان للشاعر الواحد وقد يمتاز باحداهما ولا يكون له نصيب من الاخرى كثير أو قليل .

وبيان ذلك ، بالايجاز ، ان الجاهلى الناطق بالكلام العربى الصحيح فى مخاطباته اليومية ربما استطاع ارتجال الخطبة الطويلة فى موقف واحد ، وربما استطاعها بعد روية ومراجعة بينه وبين نفسه قبل الوقوف للخطابة وقد يعجز عنها فلا يستطيعها ارتجالا ولا بعد روية وانعام نظر ، لأن سليقة الكلام العربى غير سليقة الخطابة المرتجلة أو الخطابة بعد الروية والتأمل وتعليق الكلام المحفوظ فى الذاكرة ..

وهكذا السليقة العربية فى الشعر . لا يلزم من الملكة المطبوعة أن يكون صاحبها قادرا على ارتجال القصيدة أو البيت ، ولا تناقض بين

سليقته العربية وبين اعتماده على الروية وقلة استعداده للارتجال عفو الخاطر بغير تحضير سابق لجملة الكلام أو لمفرداته بألفاظه ومعانيه .

وبين الشعراء الجاهليين الذين جعلهم « السيد أبو يعلى » مضرب المثل فى الملكة المطبوعة شاعران من أكبر شعراء المعلقات هما : زهير بن أبى سلمى وعمرو بن كلثوم ، وأولهما قيل عنه انه كان ينظم القصيدة فى حول كامل فسميت قصائده من أجل ذلك بالحوليات ، وثانيهما قيل عنه انه اتكأ على عصاه فلم يرفع يده حتى كان قد فرغ من انشاد قصيدته كلها ، ولا تقل عدة أبياتها فى أشهر الروايات عن الستين .

والمبالغة ظاهرة فى كلتا الروايتين ، ولكن الخبر الذى قد يسلم من المبالغة فيهما ان زهيرا كان يطيل الروية فى نظم شعره ، وان عمرو بن كلثوم كان يعجل بالقول ولا يكثر من اعادة النظر فيه .

ولكنه مع هذه القدرة على الارتجال أو سرعة النظم لم يكن فياضا بالشعر ولم يفهم الرواة من وصفه بالسليقة الحاضرة انه كان يتدفق بالقصائد المنظومة فى كل مقام ، وقد حفظ قومه القليل من مقطوعاته وأفرطوا فى ترديد معلقته حتى عيب ذلك عليهم كما قال الشاعر البكرى وهو ينعى ذلك على بنى تغلب قوم ابن كلثوم :

ألهى بنى تغلب عن كل مكرمة
قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

يروونها أبدا مذ كان أولهم
يا للرجال لشعر غير مسئوم

ولقد عرف فى كل عصر من عصور الأدب العربى شعراء مجيدون من المرتجلين وغير المرتجلين ، فكان أبو تمام مشهورا بالصناعة ولكنه ارتجل هذين البيتين ردا على نقاده وهو يلقى قصيدته التى انتقدوا تشبيهه فيها الخليفة بمشاهير الأعراب فقال :

لا تنكروا ضربى له من دونه
مثلا شرودا فى الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنوره
مثلا من المشكاة والنبراس

وعاش معه البحترى فى عصر واحد ، وانتمى معه الى قبيلة واحدة ، ولم يختلف ناقدان فى سليقته المطبوعة وبلاغته السهلة ، ولكنه كان أكثر الشعراء عناية بتنقيح كلامه واعادة النظر فى نظمه ، حتى قيل أنه كان يسقط الأبيات من القصيدة الواحدة بعد كتابتها مرات .

ويذكر السيد « أبو يعلى » ارتجال الكاظمى وفراغه من املاء القصيدة المطولة فى جلسة واحدة ، ولم يخطىء الرواة الذين نقل عنهم السيد « أبو يعلى » تلك القصة وان كانوا قد بالغوا فى عدد الأبيات ، ولكن المحقق من مراجعة أشعار الكاظمى أنه لم يكن على أحسنه وأجوده فى مرتجلاته ، وأن الشعراء الذين قال عنهم « السيد أبو يعلى » انهم تعلموا الشعر ولم يطبعوا عليه بالسليقة كانوا يرتجلون القصيدة وهى تزيد على الخمسين بيتا فى جلسة واحدة . وقد ألقى لورد كرومر خطاب الوداع الذى حمل فيه على الخديو عباس فظهرت صحيفة المؤيد بعدها وفيها قصيدة أحمد شوقى التى تسايرت بها الركبان فى ذلك الحين ، ومنها يقول ولم يقل غيره بعد الروية ما هو أليق بهذا المقام :

أنذرتنا رقا يدوم وذلة
تبقى وحالا لا ترى تحويلا

أحسبت أن الله دونك قدرة
لا يملك التغيير والتبديلا

الله يحكم فى الملوك ولم تكن
دول تنازعه القوى لتديلا

فرعون قبلك كان أعظم صولة
وأعز بين العالمين قبيلا

واليوم أخلفت الوعود حكومة
كنا نظن عهودها الانجيلا

دخلت على حكم الوداد وشرعه
مصرا فكانت كالسلال دخـــولا
هدمت معالمها وهدت ركنهـــا
وأضاعت استقلالها المـــأمولا

الى آخر القصيدة التى كانت منظومة مصفوفة بعد فراغ كرومر من القاء خطابه بســاعات ، ولم يكن تعلم شوقى لصناعة الشعر مخالفا لتعلم هذه الصناعة بين أصحاب المعلقــات ، لأنه عرف الأوزان بالبداهــة ولم يتعلم تلك الأوزان من قواعد العروض ٠

والمعروف من تاريخ الشعر المحقق أن سليقة النظم بدأت فى العصر الجاهلى وتمت ولا تزال ماضية فى أدوار التمام بعد تلف البداءة بأكثر من ألف وخمسمائة سنة ٠

فكل ما وعيناه من قصائد الجاهلية لا تزيد أوزانه على ستة بحور، وانما زيدت بحور الشعر بعد ذلك حتى قاربت العشرين وتفرعت عليها أوزان التوشيح والتسميط التى تقبل المزيد بعد اليوم الى غير نهاية ، فلم تكن طلائــع الجاهلية خاتمة المطاف فى سليقة الشــعر العربى ، بل كانت على التحقيق تجربة ناجحة فتحت الباب بعدها لكثير من التجــارب التى تضارعها وتفوقها بمقياس الجودة ومقيــاس الكثرة العددية على السواء ، فلو أننا حصرنا الشعر الجاهلى فى مائة سـنة واخترنا مائة سنة بعد الاسلام لنوازن بين الحقبتين لثبت لنا بغير مراء أن الحقبة المتأخرة تجمــع من القصائد ، عددا وجودة ، ما لا يقل عن قصائد الحقبة المتقدمة ٠٠ وثبت لنــا مع ذلك أن المتأخرين يمتازون بالتنويع حيث يضيق مجال النظم عند المتقدمين فيغلب فيه التكرار علــى تنويع المقاصد والأغراض ، الا ما كان من قبيل التنويع بين « شخصيات » الشعراء لاختلافهم بالسن وأطوار العيش وظروفهم الخاصــة أو القبلية عند نظم المعلقات ٠

كتب الاستاذ أحمد أمين ـ رحمــه الله ـ يقول فى بعض موازناته بين المعاصريــــن والأقدمين ان العصر الحاضر لم ينجب أناســا من أمثال هؤلاء الشعراء والأدباء ، ومضى يسرد أسماء أولئك الأعلام ومنهم أناس ينتمون الى أزمنة متعددة تبلغ فى مجموعها ألف سنة أو تزيد ٠

وكان من رأينا على الدوام أن المقارنة عـلى هذا النحو بين الماضى والحاضر اجحاف لا يؤدى الى تقدير صحيح للحــاضرين ولا للذاهبين ، فان الحاضر منسوب الى زمان لا يزيد على جيل الأحياء من أبنائه ، ولا يجاوز متوسطه خمسين سنة يتلاقى فيها أدب الجيل السابق والجيل اللاحق من المعاصرين ، وأين هذا من المــاضى الذى يشمل مئات السنين ويجاوزها الى الألوف ولا يحسب فيه الا تلك القمم التى برزت على غمار الزمن ورسخت فى قراره باتفاق الأولين والآخرين ؟

انما القياس الصحيح أن نختار حقبة أمام حقبة تماثلها فى عدد السنين ونطاق المكان ٠

وانما القياس الصحيح ـ غير هـذا ـ أن نختار موضوعا محدودا يصلح للمقــارنة ولا تختلف فيه أحوال البيئة ولا أحوال الحياة ٠

وانما القياس الصحيح ـ غير هذا وذاك ـ أن نختار القصائد والمقطوعات ونتحدى بهــا المشابهة والمساواة بين ما قيل وما يقال ٠

ونحن على يقين ـ أيا كان المقياس الذى نختاره من هذه المقاييس ـ أن سليقة الشعر العربى لا تخرج خاسرة فى كفة المتــأخرين ، اذا استثنينا سنوات الجمود فى تلــك الحقب المهملة التى لا يقدمها أحد للمقارنة فى معرض من معارضها العامة ، واذا شاء السيد « أبو يعلى » أن يجرب ذلك لنفسه فليذكر عشر قصائد من شعر الجاهلية وليسأل بعد ذلك : هل تخلـو عهود الأدب العربى من أمثالها فى العدد والقيمة وطبقة اللفظ والمعنى ؟

اذا حاول هذه التجربة فلا نخال انه يحتاج الى معونة منا أو من الأدباء الذين وجه اليهم سؤاله من طريق منبر الاسلام ، ولكننا عـلى استعداد ـ اذا شاء ـ أن نعطيه خمس قصائد فى مقابل القصيدة الواحدة يحسبها نمطــا من سليقة الشعر عجزت عنه أجيال المتخلفين بعد الجاهليين ، أو تابعيهم باحسان ٠

من نفحات الذكرى العطرة

لماذا تزوج الرسول أكثر من واحدة ؟ ولماذا لم يكتف بالحد الأعلى ، وهو أربع زوجات ؟!

فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى

مما يرجف به أعداء الاسلام على رسول الاسلام – صلوات الله وسلامه عليه – أمران يتصلان بالحياة الزوجية :

أحدهما : أنه عليه الصلاة والسلام قد تزوج عددا من النساء وجمع بينهن، حتى كان له تسع نساء مات عنهن ، وأمر التعدد فى نظر الأوربيين خاصة ، ومن سار على نهجهم فى التفكير عامة ، أمر خطير ، ينظرون اليه نظرة تعجب ، بل نظرة استهجان ، وقد يعتبرونه دليلا على فراغ رجل ما ، من فلسفة عقلية تشغل فكره ، فهو لذلك حريص على أن يملأ فراغه بالنساء .

والأمر الثانى : أن الشريعة الاسلامية التى جاء بها هذا الرسول نفسه ، قد شرعت حكما ألزمت به جميع المؤمنين هو أنه لا تجوز الزيادة على أربع زوجات فى عصمة رجل واحد كما أجمع على ذلك جمهور المسلمين فى تفسير قوله تعالى : ((**فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع**)) وأن من المروى عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه حين نزلت هذه الآية كان يأمر من عنده أكثر من أربع زوجات ، أن يقتصر على أربع يختارهن ويفارق الباقيات ، وكان ممن طبق عليه ذلك رجل اسمه ((غيلان)) فكيف طبق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هذا الحكم على المؤمنين ولم يطبقه على نفسه ، وكان عنده حينئذ تسع نساء ؟ أفما كان عموم التشريع يقضى بأن يختار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أربعا من زوجاته ويفارق باقيهن ؟ ام هو امتياز ؟ وهل فى التشريع الاسلامى امتياز يختص به القائد والزعيم دون سائر الناس ؟ .

هذان هما الأمران اللذان يرجف بهما أعداء الاسلام على رسول الاسلام فيما يرجفون

ونحن نبين حقيقة الأمر فى كل منهما ، لا طمعا فى أن يرجع هؤلاء عن غيهم وارجافهم ، ولكن ليعلم المؤمنون أسرار التشريع الاسلامى وحقيقة الموقف النبوى ، فتطمئن قلوبهم . ولا يساورهم أدنى شك فى دينهم ورسولهم .

لماذا تزوج النبى أكثر من زوجة ؟

١ – ففيما يتعلق بالأمر الأول : لو تأملنا سيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – والظروف والأحوال التى تزوج فيها نساءه ، لتجلت لنا الحقائق الآتية :

١ – أن العرب قبل الاسلام كان يباح لهم أن يتزوجوا من النساء بما شاءوا . وأن هذا لم يكن شأن العرب وحدهم ، بل كان هو الشأن الغالب على جميع المجتمعات قبل الاسلام من عرب وغير عرب ، ولذلك لم يكن التعدد أمرا مستفظعا فى هذه البيئات كما يحاولون استفظاعه الآن بحسب مقاييسنا الحاضرة التى اتبعنا فيها المدنية الغربية .

٢ – وأن الاسلام قد نظر فى هذا الأمر نظرة تجمع بين تلبية دواعى الفكرة والطبيعة وتحقيق المصلحة فى الحد من الانسياق وراء العواطف والشهوات ، فأباح التعدد اذا كان له مبرر شريف يقتضيه ، وجعله فى حدود

أربع . وكان تشريعه فى هذا محققا لمبدأ الوسطية والعدل ، فلا هو بالذى تناسى ما يعترى الأزواج من ضرورات تقتضى أن يعددوا الزوجات ، كمرض الزوجة أو عقمها أو نحو ذلك ، أو كانقاذ امرأة ليست بزوجة من ضرورة أو شدة أو موقف حرج ، بالتزوج منها أو نحو ذلك ، ولا هو بالذى ترك الأمر مطلقا يسير فيه الرجل على هواه دون ضابط ولا حد يقف عنده ، مغفلا طاقته البشرية وما تحتمله من أعباء مادية وأدبية .

٣ ـ وأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد تزوج من النساء من تزوجهن قبل نزول آية التعدد فى السنة السادسة من الهجرة ولم يزد عليهن امرأة واحدة بعد نزول هذه الآية

٤ ـ وأن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عاش فى أصلح فترات عمره للحياة الزوجية وليس معه الا زوجة واحدة هى أم المؤمنين « خديجة » رضى الله عنها ، فقد تزوجها وهو فى سن الخامسة والعشرين أى قبل بعثته بخمسة عشر عاما ، وكانت يومئذ فى سن الأربعين ، وقد تزوجت قبله برجلين ، ولدت لكل منهما ، واستمرت معه الى أن ماتت ، فلم يعرف غيرها من النساء الا فى السنة الثانية من الهجرة ، أى أنه عاش مع خديجة وبعدها بدون زوجة غيرها قرابة ثلاثين عاما ، ثم تزوج على نحو طبيعى ـ اذا تجاوزنا عن زواجه بسودة ـ بأم المؤمنين « عائشة » وكانت يومئذ ما تزال فى أول الصبا ، ولم تتفتح أنوثتها بعد لتناسب رجلا فى سن الخامسة والخمسين ، ولذلك لا نستطيع أن نعتبر بناءه بها الذى تحدد له الروايات السنة الثانية من الهجرة ، بناء حقيقيا بالمعنى المعروف للدخول على الزوجة وانما هو مجرد انتقالها الى بيته ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودخولها فى كنفه وتحت رعايته الى أن حان الوقت المناسب لتمتعه بها التمتع المعروف .

ولا يمكن لمنصف أن يقرر معهذا أن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان رجلا مشغولا بالنساء الى الحد الذى ذكره أعداؤه ، والا فكيف عاش السنين الثلاثين التى هى صفوة عمره وأفضل سنى حياته شبابا وصحة وقوة وليس معه الا امرأة بدأت حياتها الزوجية الثالثة معه بسن الأربعين وماتت فى سن أربت على الستين ؟

٥ ـ ان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يتزوج بعد خديجة امرأة قط الا كان له من هذا الزواج هدف ، اما راجع الى مصلحة الاسلام وتركيز دعوته ، واما راجع الى غرض انسانى نبيل ، واما الى غرض تشريعى بأمر الله .

● **فعائشة** : تزوجها بعد أن خطبها رجل مشرك . وكان ذلك قبل تحريم الزواج من المشركين . ولا شك أن هذا كان يوقع الدعوة الاسلامية فى أشد الحرج لو تم ، فان مركز أبى بكر من الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومن الدعوة الاسلامية مركز جد خطير . فزواج ابنته من مشرك يوقعه ويوقع النبى والمسلمين فى أشد الحرج ، هذا الى أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد أراد بهذا الزواج أن يكرم صديقه وصاحبه الوفى له : أبا بكر ، فيعقد بينه وبينه أواصر الصهر والنسب الى جانب ما ربط الله بينهما من أخوة الايمان وبذلك يصبحان أسرة واحدة يداخل أحدهما الآخر فى شئونها كما يتداخل الأنسباء والأصهار .

ولقد كانت هذه الزوجية خيرا وبركة على المسلمين اذ هيأ الله بها فتاة ناشئة فى بيت رجل مؤمن بل هو أول من آمن ، لأن تعيش فى كنف النبوة ، تتأدب بأدبها وتتلقن مبادىء الاسلام وتشريعاته من منبعها فى صورة عملية ولاسيما فى شئون النساء والزوجات ، فكانت عائشة رضى الله عنها بما وعته من علم وفقه ، وبما عاصرته من حوادث عملية ، وبما شهدته من نزول القرآن فى بيتها، بل ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى حجرها ـ كانت عائشة بهذا كله كأنها شرح مفصل لكثير من حقائق الاسلام وتشريعاته .

● **وصفية بنت عمر** : تزوجها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تكريما لأبيها واحتفاظا بعزته وكرامته ومقامه فى المجتمع اذ كانت ابنته هذه امرأة مطلقة ، وكان فى أخلاقها شىء من الشدة ، فتهيبها كثير من أصحاب

رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يخطبوها ، وبدأ عمر يحس بقلق شديد لمصير ابنته ، فكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – موفقا أعظم التوفيق حين خطبها لنفسه ، فأصاب بذلك عدة أهداف شريفة ، حيث أنقذ عمر من قلقه ، وأنقذ ابنته من المصير الغامض الذى كان يقلق أباها ، وسوى بينه – وهو صاحبه الثانى الذى أعز الله به الاسلام وبين أبى بكر صاحبه الأول الذى فداه بنفسه وماله – فى شرف الصهر فكانا بذلك قرينين متساويين لا يستطيع الشيطان أن يصل الى أحدهما بلون من ألوان الوسوسة عن هذا الطريق .

● **وأم سلمة :** كانت زوجة لأبى سلمة الذى استشهد مع الرسول فى احدى الغزوات وكانت امرأة مسنة ولها أطفال من زوجها الشهيد وكانت تحترم زوجها وتحبه ولا ترى أحدا من الرجال يصلح لها من بعده ، وكم خطبها رجال ليحتفظوا بأولادها ، وليكرموا ذكرى زوجها فى شخصها فأبت ، فتزوجها الرسول – صلى الله عليه وسلم – لهذه المعانى الانسانية ، لا لمعنى ينشده الرجل من المرأة ، وعرفت هى ذلك وصارحت الرسول بحقيقة أمرها حين خطبها فقالت له : يا رسول الله انى امرأة مسنة ولى أطفال وقد كان لزوجى من الشأن فى نفسى ما تعرف وما يعرف الناس ، فقال لها : **اما أطفالك فلهم الله ولن يضيعهم ، وانهم لفى رعايته وفى كنف رسوله ، وأما أنت فسيبدلك الله زوجا خيرا من أبى سلمة !** وهكذا برزت المعانى الانسانية الرائعة فى هذه الزوجية التى تمثل فيها الوفاء لذكرى شهيد عزيز والصدق والحفظ لنسل كريم مجيد ، والاجلال والاكرام لعقيلة من أشرف العقائل

● **وزينب** تزوجها بأمر الله من فوق سبع سموات تنفيذا لخطة تشريعية وضعها الله تعالى كما يعرف من تفصيل تاريخ هذه الزوجية .

● **وجويرية بنت الحارث :** تزوجها اعتبارا لمعنى مصلحى عظيم الأثر والجدوى ، ذلك أنها كانت بنت سيد قومها الحارث زعيم بنى المصطلق ، وكان بينهم وبين الرسول موقعة حربية انهزموا فيها وانتصر الرسول والمسلمون عليهم وأسروا منهم العشرات والمئات ، فكان العدد الكبير منهم رقيقا مقسما فى جند المسلمين . وكانت جويرية احدى هؤلاء الأسيرات المملوكات ، فأعتقها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وتزوجها اعتبارا لمعنى شريف ، لا يلاحظه الا أرباب الهمم العالية ، وهو رفع هذه المرأة عن مستوى الابتذال بالرق والعبودية بعد أن كانت فى بيت الرياسة والملك ، فنظر المسلمون فاذا هم فى موقف عجيب : يملكون أعناق فريق من الناس صاهرهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، وحينئذ أحسوا بأن عليهم واجبا أدبيا للرسول وأصهار الرسول ، فأعتق كل منهم من ملكه من هؤلاء الأسرى تكريما للنبى وأصهاره ، وقالوا : لا ينبغى لنا بعد اليوم أن نستعبد أصهار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – . وبذلك أنعم الله بالحرية على العشرات بل المئات من هؤلاء الأسارى ، فلما أحسوا فضل الله فى هذه النعمة وفضل رسوله – صلى الله عليه وسلم – آمنوا ، فكان ذلك نعم المصير لهم ونعم العاقبة للمؤمنين ، وكان ذلك عملا مبارك الآثار من الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، بما أثمر من هذه الثمرات الطيبة .

وهكذا القول فى كل زوجية عقدها الرسول لنفسه لم يكن هدفه منها أن يطلب ما يطلبه الرجل من المرأة فيكون هذا غاية قصده ومنتهى ما ينظر اليه ، كلا ، ولكنه كان قبل ذلك انسانا ، نبيل الغاية . شريف القصد كأنبل ما تكون الغايات ، وأشرف ما تكون المقاصد .

لماذا أبقى الرسول على جميع نسائه :

هذا هو الأمر الثانى من الأمرين اللذين عقدنا لهما هذا البحث :

والعلماء يسلكون فى الرد على هذا السؤال مسلكا معروفا بأن يقولوا : هذه خصوصية من خصوصيات رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – ، ولكن الاكتفاء بكون هذا خصوصية لا يكفى فى الرد على السائلين ، لأن هذا هو نفس السؤال : لم خص بذلك ؟ هل هى محاباة له من ربه ؟ وأعداء الاسلام يقولون : ان محمدا هو الذى احتفظ لنفسه

بهذه الخصوصية - يرمون بذلك لعنهم الله - الى أنه ليس رسولا وانما هو مدع .

فعلينا اذن الا نكتفى بهذا الاجمال ، وان ندرس الأمر فى صميمه ، وأن نتابع الظروف التى جاء فيها هذا التشريع العام للمؤمنين ، والأسباب التى أبيح معها للرسول أن يحتفظ بنسائه هو خاصة من دون المؤمنين ، أى اننا سنجيب عن السؤال الذى جاء أخيرا ، وهو : لم كانت هذه الخصوصية ؟

لقد نزلت سورة الأحزاب باجماع آراء أهل العلم فى كل عصر قبل سورة النساء ، وسورة النساء هى السورة التى جاء فيها حكم التعدد والقصر على أربع فانظروا ماذا فعلت سورة الأحزاب التى نزلت قبل سورة النساء :

أحكام انتقالية :

علم الله سبحانه وتعالى أنه سيشرع للمسلمين حكما يحد به من تعدد الزوجات على ما كانوا يفعلونه فى الجاهلية ، أى انه سيقصر العدد على أربع ، فلا يجوز لمسلم أن يزيد عليهن ، فمهد لذلك بأحكام فى شأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كلها جاءت فى سورة الأحزاب التى نزلت بالاجماع قبل سورة النساء

زوجات الرسول أمهات للمؤمنين ولا يجوز نكاحهن من بعده :

ولكى ندرك الجو الذى جاءت فيه هذه الأحكام وطبقت على الرسول يجب أن نستحضر ما يأتى :

ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - له فى الأمة منزلة التقديس والاجلال ، ولا يتناسب وهذه المنزلة أن ينكح المسلمون أزواجه من بعده أبدا ، ولذلك اعتبرت سورة الأحزاب أزواجه - صلى الله عليه وآله وسلم - أمهات للمؤمنين ، وذلك حيث يقول جل شأنه : « **النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم** » **قال صاحب الكشاف : هذا تشبيه لهن بالأمهات فى بعض الأحكام ، وهو وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن ، قال الله تعالى : « وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما »**

وهذا لون من التكريم معهود فى الناس قديما وحديثا فنساء العظماء عادة لا يتزوجن بعدهن ، ومن كانت عند عظيم من الناس ثم انفصلت عنه ، لا تقر عينا ، و لاتستريح بالا اذا تزوجت من هو أدنى منه ، فاما أن تتزوج بمساو له ، واما أن تعيش بقية حياتها دون زواج تعففا عن زوجية تنزل بها عن مكانتها التى تبوأتها بزوجيتها الأولى ، ومن هو أعظم من رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ؟ ومن تلك التى ترضى بأن تكون زوجة لغيره بعد أن كانت زوجة له ؟ ان هذا لا يناسب كرامتها ولا كرامة زوجها ، ولذلك يقول الله عز وجل : « **وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ، ان ذلكم كان عند الله عظيما** » .

موقف الرسول وزوجاته بعد قصر التعدد على أربع :

فى ضوء هذا برزت مشكلة أمام التشريع الذى تأذن الله أن يكون وهو تشريع قصر التعدد على أربع الذى جاءت به سورة النساء فيما بعد :

تلك المشكلة هى : اذا كان التشريع العام هو قصر التعدد على أربع ، وكان الرسول سيأمر من عنده أكثر من أربع ، ومن أسلم وعنده أكثر من أربع ، أن يمسك أربعا ويفارق الباقيات .

فماذا يكون شأنه هو ؟

انه قد تزوج عددا من النساء فوق الأربع فى ظل الاباحة الأصلية قبل التحريم ، وتزوج كل واحدة منهن لغرض معين ، وغاية تبرر هذا الزواج .

أفيؤمر هو أيضا بأن يقتصر على أربع يختارهن ويطلق الباقيات ؟ وهل تؤمن مغبة ذلك على الاسلام والمسلمين ، وعلى المصالح العليا التى ابتغاها حين تزوج كل واحدة من نسائه ؟

اذا كان غيلان وأمثاله ممن أسلموا وتحتهم أكثر من أربع قد أمروا بمفارقة ما زاد عن الأربع اللواتى يقع عليهن الاختيار ، فان هذا لا يحدث فى المجتمع مشكلة ، فسيجد النساء المتروكات من يتزوجهن غير غيلان من أمثال

غيلان ، ولا مانع يمنعهن من ذلك ، أما زوجات الرسول — على فرض أنه طلق بعضهن — فماذا يفعلن ؟ هل يمكن ان يتزوجن غيره ، وهن قد صرن أمهات المؤمنين ، وما كان للمؤمنين أن يؤذوا رسول الله ولا أن ينكحوا ازواجه من بعده أبدا ؟

اذن ماذا يكون مصيرهن ؟

وماذا نتصور أن يكون عليه مصير زوجة كريمة هى فى المجتمع أم مصون ، وقد اتصلت حياتها حينا من الزمان بأقدس شخصية فى هذا المجتمع ؟

أتظل بقية حياتها فى هذا الوضع القاسى ؟ واذن فلا يمكن أن يكون الفراق — فراق ما زاد على الأربع — هو الحل الطبيعى العادل فى حق الرسول وزوجاته وان كان هو الحل فى حق غيلان وأمثال غيلان .

لكن اذا بقى للرسول نساؤه جميعا فلم يجز له أن يفارق واحدة منهن ، وان يختار كما أبيح لغيره أن يختار ، فان هناك مشكلة اخرى ستبرز .

أليس من حق النساء أيضا أن يخيرن فلعل فيهن من تراودها نفسها الى حياة اخرى تختارها ، وحينئذ تكون غير صالحة للبقاء فى هذا الكنف النبوى ، وغير صالحة لأن تستمر فى هذا الشرف .

ثم الرسول نفسه : ماذا يكون شعوره حين يعلم أن هؤلاء النساء باقيات فى عصمته جميعا دون أن يباح له فراق أحداهن .

هذه المعانى كلها جعلت التشريع يأتى بأحكام خاصة فى شأن **الرسول وزوجاته ، وكلها تمهيد** لما سيأتى من الحكم العام :

تخيير أزواج الرسول بين ابقائهن وتطليقهن :

١ — فأول ذلك — بحسب ترتيب السورة :

« يأيها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن واسرحكن سراحا جميلا ، وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن اجرا عظيما »

والمفسرون يروون سبب نزول هذه الآية ، وانها نزلت حين طلب أزواج الرسول — صلى الله عليه وآله وسلم — منه الزينة والنفقة والحوا عليه فى ذلك ، وأن رسول الله اعتزلهن شهرا لهذا السبب وأن أبا بكر كان له موقف مع عائشة ، وعمر كان له موقف مع حفصة : كل منهما يعنف ابنته ويهم بتأديبها على سؤالها النفقة والزينة من رسول الله وهو لا يجدها .

المفسرون يروون ذلك سببا للنزول ، وقد يكون هذا هو السبب المباشر أو الظرف الذى نزلت فيه هذه الآية المخيرة لنساء النبى ، ولكن هذا لا يمنع من أن نفهم أن هذا التخيير كان لأمر آخر مع هذا ، هو اتاحة الفرصة لمن لعلها تريدها بعد أن تبين أن حياة الرسول ليست هى الحياة اللينة الرغدة التى تلابسها زينة الحياة الدنيا ، وأيا ما كان فقد نفذ رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — هذا ، وخير نساءه كما أمره الله فكلهن اخترنه ، وقد بدا من أسلوب التخيير ما يشجع على هذا الاختيار فانه عرض عليهن فيه : الحياة الدنيا وزينتها فى جانب ، ثم أيد الجانب الآخر بتقرير أن الله « **أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما** » ولاشك أن هذا كله يوحى لهن بالخصلة التى ينبغى أن يخترنها ، وهى التى تحقق كرامتهن وكرامة الرسول وكرامة المؤمنين فى شأن أمهات المؤمنين ، وفى الوقت نفسه روعى حق هؤلاء الزوجات فأخذ رأيهن فى أنفسهن حتى يستأنفن الحياة المقبلة على بصيرة من أمرهن .

تخيير الرسول فى الارجاء والايواء وبيان الحكمة فى هذا التخيير :

٢ — جاء بعد ذلك ، وبعد بيان ما أحله الله تعالى لرسوله من الأزواج وأصناف النساء ، قوله عز وجل : « ترجى من تشاء منهن ، وتؤوى اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك »

وهذه الآية تعطى النبى — صلى الله عليه وآله وسلم — حقا مقابلا لما سيلزم به من الابقاء على جميع الزوجات فى عصمته ، ومن تحريم النساء بعد ذلك عليه .

جعل الله له أن يرجى من نسائه من يشاء أى يؤخرها ويعتزلها ، وحسبها أنها بقيت فى بيت النبوة زوجة للرسول محفوظة الكرامة

مصونة ، وجعل له أن يؤوى اليه من نسائه من يشاء ، وجعل له حق اعادة من يعتزلها حينا ثم يشاء أن يؤويها .

وبذلك تحقق لأزواج الرسول بقاؤهن فى عصمته مكرمات مصونات ، وتحقق للرسول حقه الطبيعى فى أن يتخلى عمن شاء من نسائه بالارجاء تخليا لا يترتب عليه ضرر لها ، ولا ضياع هيبة وكرامة ، وان يحتفظ بمن شاء منهن بالايواء .

وبينت الآية الكريمة حكمة تشريع هذا الحكم ، فقالت : ((**ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن ، والله يعلم ما فى قلوبكم ، وكان الله عليما حليما**))

ففهمنا من ذلك أن حكمة التشريع هى أن هذا الحكم هو أقرب الأحكام الى تحقيق الأمور الآتية :

١ — قرار أعين أمهات المؤمنين
٢ — عدم حزنهن
٣ — رضاهن كلهن بما آتاهن الرسول
٤ — مراعاة شأن القلوب وميولها الطبيعية .

أما قرار أعينهن رضى الله عنهن ، فبأنهن قد سكن الى جناح الزوجية الأعظم ، وأعطين ما به يكون القرار والطمأنينة .

وأما عدم حزنهن — عليهن رضوان الله — فهو بالنسبة لمن يؤويها الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — ، واضح ، وبالنسبة لغيرها ممن ترجى وتؤخر انها حين توازن بين حالها لو بقيت فى كنفه ، وحالها لو فارقها ، فانها لا تحزن ، أو تكون أقرب الى الا تحزن ، وهذا مفهوم من قوله : ((**ذلك أدنى**)) يعنى ليس هو بناف للحزن كله ، وفى كل حال بل هو أدنى الأحكام وأقربها الى ابعاد الحزن أو تقليله ، وذلك قصد فى التعبير .

وأما رضاهن كلهن بما آتاهن فان كل واحدة حين تعلم أن ذلك من حق الرسول ينحسم الأمر بالنسبة لها . فالمرجاة لا تتطلع الى غير الارجاء أو ذلك أقرب الى ألا تتطلع ، فان المؤمن يرضى بحكم الله ولا تنازعه نفسه الى انكاره والسخط عليه .

وأما أن هذا قد روعى فيه شأن القلوب وميولها الطبيعية ، فهو اشارة الى أنه حكم قد تقرر بناء على ما يعلمه الله من قلوب عباده ، وكما نقول نحن : انه حكم مبنى على دراسة نفسية ، وله هدف اجتماعى وليس سطحيا ولا تحكميا .

وقد روى أنه — صلى الله عليه وآله وسلم — آوى اليه من نسائه أربعا وارجأ خمسا : فآوى عائشة وحفصة ، وأم سلمة ، وزينب ، وأرجأ سودة ، وجويرية ، وصفية وميمونة وأم حبيبة .

٣ — بعد هذا كله جاء قوله تعالى : ((**لايحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شىء رقيبا**)) .

وبهذا منع الرسول من أن يتزوج غير نسائه ، ومن أن يتبدل بأيتهن زوجة أخرى ، ولو أعجبه حسنها ، الا ما كان من النساء عن ملك اليمين وبذلك وقف التعدد فى شأنه — صلى الله عليه وآله وسلم — عند حد كسائر المؤمنين .

النتيجة العلمية لهذا البحث .

ويتبين من هذا البحث :

١ — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان طبيعيا فى زواجه ، وانه لم يتزوج فوق الواحدة الا لمبرر قضى بهذا الزواج ، وكان ذلك فى ظل الاباحة الأصلية العامة للناس ، كلهم قبل نزول آية التحديد

٢ — وان ما شرع من وجوب اقتصار من عنده أكثر من أربع على أربع وتسريح الباقيات انما يصلح ويطابق العدل والمصلحة فى غير الرسول ، أما الرسول فظروفه الخاصة وظروف زوجاته تحتم الابقاء عليهن جميعا فى عصمته ، مع تشريع جزئية خاصة علاجا لذلك ، والهدف هو المصلحة العامة ، لا مصلحة الرسول خاصة .

٣ — وان الرسول حرم عليه أن يزيد على نسائه فى المستقبل ، فتساوى بذلك مع كل من استوفى الأربع من الأمة .

٤ — وأخيرا : ان تشريع الاسلام فى هذا الشأن هو التشريع العادل المحكم ، وأن أمر الرسول فيه ليس خارجا عن دائرة العدل ، ولا مرادا به منحه اختصاصات دون أمته ، فيها متاع لنفسه ، ومجاراة لشهوته — حاش لله — .

من روّاد الإصلاح في العالم الإسلامي

قاسم أمين

« ١٨٦٣ - ١٩٠٨ »

الدكتور عثمان أمين

١ ـ تمهيد :

يسعدني أن أتحدث عن رائد ، من رواد الوعي الاسلامي ، في مصر الحديثة ، كان له أثر كبير في التطور الروحي ، الذي حققته هذه الأمة العريقة في الوعي ، والحضارة .

ومن دواعي اغتباطي ، أن يجيء هذا الحديث ، بعد أن سمعنا وقرأنا الشهادة المنصفة الجميلة ، التي سجلها الميثاق الوطني المصري ، حين عرض ـ لتاريخ بلادنا في الفترة التالية للاحتلال الانجليزي ، فقال ما نصه :

« ومن عجب أن هذه الفترة ، التي ظن فيها الاستعمار ، والمتعاونون معه أنها فترة الخمود ، كانت من أخصب الفترات في تاريخ مصر بحثا في أعماق النفس ، وتجميعا لطاقات الانطلاق من جديد : لقد ارتفع صوت محمد عبده في هذه الفترة ، ينادي بالاصلاح الديني ، وارتفع صوت لطفي السيد ، بأن تكون مصر للمصريين ، وارتفع صوت قاسم أمين ، ينادي بتحرير المرأة .. وركب سعد زغلول قمة الموجة الثورية الجديدة ، يقود النضال الشعبي العنيد »

وأود أن أقرر أن هذه العبارات ، جاءت في أوانها حقا ، فكانت انصافا لتاريخ أمتنا ، وتسجيلا لمآثر رجالنا ، ويدا أخرى جديدة ، يسديها صاحب الميثاق بالاضافة الى أياديه السابقة العديدة .

وأحب أن يقف المتدبرون في معاني الميثاق وقفة خاصة في هذه المسألة بالذات ، نظرا الى أهمية الموضوع ، وصلته بالتربية الوطنية الواعية ، التي نريدها للاجيال الصاعدة .

وهذه الوقفة لازمة جدا في هذه الآونة ، ايضاحا للحقيقة ، ودفعا للشبهات عن تقييمنا لجهاد قادة الفكر عندنا .

فان من الأخطاء الفادحة ، ذات العواقب الوخيمة ، أن يتوهم متوهم أنه يخدم قضية الوطن بمحاولات الهدم ، والتشنيع على الرواد ، الذين حملوا عبء بنائه . ان جميع القرون في تاريخ الأمة انما هي صحائف كتاب

واحد ، وان كل فكرنا ، وكل كياننا ، هما النتيجة التى انتهى اليها عمل القرون .

وان مما يؤسف له أن بعض المشتغلين بالبحوث النظرية ، عندنا قد وقفوا من قادتنا الروحيين موقفا سلبيا ، أو هداما فى بعض الأحيان ، فخدموا بذلك مآرب الاستعمار ، وكانوا أعوانا له ، من حيث يشعرون ، أو لا يشعرون .

وان الشبيبة الاسلامية الواعية لتدرك فى وضوح أن أهم رسالة ينبغى أن نقوم بها ، فى فترة تجميع طاقات الانطلاق ، التى نشهدها اليوم ، هى العودة الى تراثنا الروحى ، نتعمقه ونستلهمه ، والاصغاء الى رواد الوعى عندنا نتلقى عنهم ، ونهتدى بهديهم .

٢ ــ محمد عبده وقاسم أمين :

وليس من قبيل المصادفة ، أن يذكر الميثاق اسم قاسم أمين الى جانب اسم محمد عبده ، ولطفى السيد ، وسعد زغلول . فالواقع أنه فى مستهل هذا القرن كانت الشبيبة المصرية فى حيرة من أمرها . فأخذت تقلب البصر فى الظلام الكثيف ، تتلمس بصيصا من نور ، وتتطلع الى رائد يرشدها ، ويهديها سواء السبيل . وسرعان ما وجدت رائدها فى شخص الأستاذ الامام ، فى شخص رجل قد زانته الحكمة ، وصقلته الثقافة ، وحنكته التجارب ، دون أن تفقده حدة الذهن ، وتأجج العاطفة ، وعزمة الشباب ، رجل عرف كيف يجمع بين القديم والحديث ، ويؤلف بين العلم والدين ، ويعيش لأمته قبل أن يعيش لنفسه وأسرته ، **وبالاجمال رجل يحافظ على زى الشيوخ ، ولكنه يحمل قلبا ورأسا لم يعهد الناس لهما نظيرا ، بين أصحاب الطرابيش ، ولابسى العمائم ، والقفاطين .**

وحاول الأستاذ الامام أن يوفق بين منهج التعليم الاسلامى التقليدى ، وبين المناهج الجديدة المقتبسة من الغرب . فقامت بين المدرستين المتعارضتين : مدرسة المجددين ، ومدرسة المحافظين ، مدرسة ثالثة قوامها صفوة تلاميذ الامام . وبفضل ما كان للاستاذ الامام من مكانة سامية ، تهيأ لهؤلاء أن يقربوا المبادىء الجديدة من أذهان الشعب . .

ومن حق الأستاذ الامام علينا أن نقول انه هو الذى أمد التفكير المصرى ، بالوحدة ــ والانسجام ، وطبعه بطابع الدقة والتحديد ، وانه هو الذى استطاع بقوة شخصيته ، وكتاباته أن يكون مصدر وحى لرجال السياسة ، والاجتماع ، والدين ، والفلسفة فى مصر . فنشأت بفضله أربع مدارس مهمة : اجتماعية وعلى رأسها قاسم أمين ، وسياسية وعلى رأسها احمد لطفى السيد ، وسعد زغلول ، ودينية وعلى رأسها رشيد رضا ، وفلسفية وعلى رأسها مصطفى عبد الرازق .

٣ ــ قاسم أمين وتحرير المرأة :

وحديثنا هذا يتناول المدرسة الاجتماعية وعلى رأسها قاسم أمين ، الذى اشتهر عنه دعوته الى تحرير المرأة ونحب أن نلاحظ أن الأستاذ الامام ، كان من أشد الناس حرصا على تثقيف الفتيات المسلمات ، تثقيفا يعينهن على أداء رسالتهن ، فى نهضة البلاد الاسلامية وكان يرى أن الاسلام فى حقيقته يؤيد مساواة المرأة بالرجل فى الحقوق . وأنه اذا كان بعض المسلمين يسيئون الى المرأة ، أو يهملون شأنها فما ذلك الا نتيجة جهل بأهداف الشريعة السمحاء .

اننا اذا نظرنا مثلا فى تعدد الزوجات، الذى أباحه القرآن ، تبينا أنه أجيز لبعض ضرورات تاريخية ، لم يعد لها مبرر الآن . والواقع أن هذه الاباحة تكاد تكون فى حكم التحريم ، لما تطلبه من شروط يتعذر الوفاء بها من الناحية العملية ، ولو تعمقنا دراسة الأصول الدينية، ونفذنا الى مقاصد الشريعة الكريمة ، اتضح لنا أن الاسلام يؤيد مبدأ الزوجة الواحدة . ويعده المثل الأكمل للحياة الزوجية .

وجملة ما دعا اليه الأستاذ الامام بهذا الصدد ، أن نتناول تطبيق الشريعة الاسلامية ببعض التعديل ، الذى يلائم روح العصر ، حتى نتيح للمرأة المسلمة فرصا طيبة، للثقافة والتعليم : فان من الجرم الصارخ أن ندع

النساء المسلمات حبيسات ذلك السجن الضيق ، سجن الجهل ، والجور ، والجمود ، وهن اللائى يأخذن على عواتقهن أشق تبعات الحياة القومية ، أعنى تربية الأبناء ،واعدادهم لكى يكونوا مواطنين صالحين

واذا كان محمد عبده لم يستطع أن يحقق ذلك الاصلاح الاجتماعى ، الذى كان يصبو اليه ، فقد تعهده أحد أصدقائه ، ومريديه الأخيار قاسم أمين . ونهض بالدعوة اليه فى حماسة لا تفتر ، حتى أصبح اسمه علما على حركة تحرير المرأة فى مصر ، وفى العالم الاسلامى

وقد لقى قاسم أمين ، كما لقى محمد عبده ، أشد المعارضة من المحافظين المتزمتين الذين يعتقدون أن كل تجديد ضرب من الالحاد ، والمروق من الدين .

ونظر قاسم أمين فى العيوب ، والآفات ، التى يرزح المجتمع المصرى تحت عبئها،فوجد أن مرجع ذلك الى أن نصف الأمة قد انتابه الشلل التام فى الحياة الاجتماعية ، شلل سببه الجهل ، والتأخر ، اللذان قيدت بهما المرأة عندنا . وحرص قاسم أمين على أن يبين أن الاسلام ـ خلافا للوهم الشائع ـ لم ينظر الى المرأة نظرة مهانة ،أو احتقار ، بل رفع من قدرها ، وأعلى من شأنها . واذا كانت المرأة قد عانت شيئا من المظالم فى المجتمع الاسلامى ، فليس الاسلام فى بساطته الأولى بمسئول عن ذلك وانما المسلمون فى العهود الأخيرة هم وحدهم المسئولون

وخلاصة الاصلاح ، الذىأراده قاسم أمين للمرأة المسلمة أمران : يتصل الأول بالعادات ، أو العرف ، الذى تعامل المرأة بمقتضاه ، وينظر به الى تعليمها ، وتربيتها ، والثانى نداء الى رجال الدين أن يرعوا مقتضيات العصر الحديث ، ومطالبه ، وأن يتحرروا فى تطبيقهم لقوانين الشريعة من فهم النصوص على ظواهرها

على أن تربية المرأة تربية سليمة ، تهيئها لأن تشغل مكانا لائقا فى المجتمع المصرى يراها قاسم أمين واجبا وطنيا ، فضلا عن كونها فرضا شرعيا : فقد ذهب استقلال مصر ، وطمع فيها الغربيون ، ولم يكن أمام المصريين من سبيل لمقاومة الغاصبين ، الا اذا استمسكوا من الداخل بتربية قومية جديدة وليس من سبيل الى تربية الأمة ، حتى تربى المرأة ، كما يربى الرجل ، لتخلق الجيل الجديد .

لم يكن لصوت قاسم أمين صدى عال فى حياته . ولكن هذا الصوت، سرعان ما جلجل فى الحياة الاجتماعية المصرية ، وأخذت الدعوة الى نهضة المرأة ، تشغل مكانها البارز على صفحات المجلات ، والجرائد ، والكتب ، فجاهرت ((**باحثة البادية**)) بالدعوة الى ذلك وشرعت فى تأليف كتاب عن ((**حقوق النساء**)) وآمن رجال الفكر أن نهضة البلاد ، مرهونة بتقدم المرأة ، وتمكينها من المشاركة فى شئون المجتمع بأوفر نصيب . وظهرت جريدة ((السفور)) ، التى الحت على ضرورة تثقيف النساء ، وتحريرهن .

وهكذا شاهدنا المرأة المصرية سنة ١٩١٩ فى طليعة الثوار ، تنادى بأعلى صوتها بحق وطنها فى الحرية ، والاستقلال .

٤ ـ خاتمة :

واليوم يسعدنا أن ((الميثاق)) الوطنى ، قد أعلن اصرار الأمة على انصاف المرأة ، ورد اعتبارها ، بمساواتها بالرجل فى الحقوق ، والواجبات ، وفك الأغلال التى قيدتها فى عصور الظلم ، والتخلف ، واصدار قوانين جديدة ، تكفل لها وضعا كريما ، فى المجتمع الاشتراكى الجديد .

رحم الله صاحب ((تحرير المرأة)) ، وبارك الله فى حياة صاحب ((الميثاق)) .

وظيفة الدين في الحياة الاجتماعية

الدكتور علي عبد الواحد وافي

لا بد لكل اجتماع انسانى من نظم وقواعد يتخذها المجتمع أساسا لتنظيم الحياة الجمعية ، وتنسيق العلاقات التى تربط أفراده بعضهم ببعض وتربطهم بغيرهم .

وهذه النظم والقواعد أنواع مختلفات . فمنها ما يتعلق بشئون السياسة ونظم الحكم، ووظائف السلطات المشرعة والمنفذة ، وعلاقاتها بعضها ببعض وعلاقاتها بالأفراد ، وصلة الدولة بما عداها من الدول .. وما الى ذلك من الأمور التى تدخل تحت كلمة السياسة فى مدلولها الحديث. ومنها ما يتعلق بشئون الاقتصاد، ونظم انتاج الثروة وتداولها وتوزيعها واستهلاكها ، وأوضاع الملكية الفردية والجماعية وحقوقهما وواجباتهما ، ومناهج التجارة الداخلية والخارجية ، والروابط الاقتصادية التى تربط الحكومة والشعب بما عداهما من الحكومات والشعوب . ومنها ما يتعلق بشئون الأسرة ، ونظم الزواج والطلاق والقرابة والميراث ، وحقوق أفراد الأسرة وواجباتهم بعضهم حيال بعض . ومنها ما يتعلق بشئون القضاء ونظم المسئولية والجزاء ، ومقاومة المجتمع للجريمة ، ورد الحقوق الى أهلها ، وطرق التقاضى واجراءاته. ومنها ما يتعلق بشئون الأخلاق والآداب والمثل العليا ، وقواعد التمييز بين الفضيلة والرذيلة والخير والشر وما يليق وما لا يليق. ومنها ما يتعلق بشئون التربية والتعليم والتثقيف واعداد النشء للحياة المستقبلة . ومنها أنواع أخرى كثيرة من هذا القبيل .

هذا ، ولا تستقيم حياة المجتمع ، ولا يكتب له الاستقرار ، الا اذا توافر فى هذه النظم شرطان :

(أحدهما) أن تكون موائمة لطبيعة المجتمع، متفقة مع درجته فى سلم التطور والرقى ، متسقة مع ظروفه وأوضاعه ، محققة لصالحه، مواتية لأنطلاقه . فان لم يتوافر فيها هذا الشرط فانها تكون عناصر غريبة عن واقع حياته ، متنافرة مع طبيعة بيئته ، يتجرعها أفراده تجرعا ولا يكادون يسيغونها ، ويلاقون العنت فى تطبيقها ، فيقوى لديهم الاتجاه الى مخالفتها وتعدى حدودها ، وتصبح أغلالا فى أعناقهم ، تعوق سيرهم وانطلاقهم ، وتعوق سير المجتمع نفسه وانطلاقه ، فتشمله الفوضى ، ويضطرب أمره، ويختل نظامه .

(والشرط الثانى) أن يكون لها فى نفوس الأفراد قدسية وحرمة وجلال ، حتى ينضم الى الوازع الخارجى ، الذى يحملهم حملا على اتباعها ، وازع داخلى ينبعث من نفوسهم ، فيحبب اليهم السير عليها ، ويبغضهم فى الاتجاه الى انتهاك حرماتها ، وذلك أنه اذا فقد الوازع الداخلى ، واقتصر الأمر على الوازع الخارجى الذى يتمثل فيما يقرره القانون والعرف من عقوبة ومقاومة لمن يتعدى حدود النظام الاجتماعى ، فانه يسهل حينئذ على الفرد الخروج على هذا النظام كلما تمكن من اتخاذ وسائل الحيطة والحذر والحيلة كيلا يقع تحت طائلة العقاب القانونى أو العرفى ، فاختلال هذا الشرط يؤدى الى الصراع بين النزعات الفردية والصالح العام ، والى توهين العلاقات التى تربط بين الفرد والمجتمع . ومن ثم يؤدى الى اشاعة الفوضى واضطراب الأمور .

ويختلف مبلغ توافر هذين الشرطين فى النظم الاجتماعية تبعا لاختلاف المصدر الذى تستمد منه هذه النظم ، فهى اما أن تكون غير مستمدة من دين ما ، واما أن تكون مستمدة من دين غير سماوى ، واما أن تكون مستمدة من تشريع سماوى ودين صحيح .

فاذا كانت هذه النظم غير مستمدة من دين ما ، ومعروفا انها من وضع البشر ، اختل فيها الشرط الثانى ، فلا يكون لها فى نفوس الأفراد قدسية ولا حرمة ولا جلال ، لأن هذه الصفات تختص بها أمور الدين والعقيدة ، وقد يختل فيها كذلك الشرط الأول نفسه وهو اتفاقها مع طبيعة المجتمع وتحقيقها لصالحه، لأن واضعى القوانين كثيرا ما يتأثرون بنظرياتهم وآرائهم الخاصة فيبعدون بها أو أو ببعضها عن واقع المجتمع ، ويأتون فيها بما لا يتفق مع طبيعته ، ولا يحقق صالحه ، أو بما لا يلائمه الا فى مرحلة خاصة من مراحل حياته ولا يلائمه فيما عداها من المراحل .

واذا كانت هذه النظم مستمدة من دين غير سماوى كقوانين الديانة البوذية وقوانين « الفيدا » وقوانين « مانو » فى الديانة البرهمية ، وقوانين « الأبستاق » فى الديانة الزرادشتية ، توافر فيها الشرط الثانى ، فتحظى لدى الأفراد بالقداسة ، لأنها ترتبط بايمانهم وعقائدهم ، ولكن قد يختل فيها الشرط الأول ، وهو اتفاقها مع طبيعة المجتمع وتحقيقها لصالحه ، لأنها ، على الرغم من الثوب الدينى الذى ترتديه فى ظاهر الأمر ، قد وضعها فى الأصل أناس من البشر ، وعقليات البشر كما قلنا عرضة للزلل والانحراف عن جادة الصواب ، والاتيان بما لا يتفق مع طبيعة المجتمع ولا يحقق صالحه .

ولا يتوافر فى هذه النظم الشرطان السابق ذكرهما تمام التوافر الا اذا كانت مستمدة من تشريع سماوى ودين صحيح . لأن الشارع ـ جل وعز ـ عليم بطبيعة كل مجتمع انسانى، ولا يفرض عليه من الشريعة والدين الا ما يوائمه ويتسق مع أوضاعه ويحقق صالحه ، وبذلك يتوافر فيها الشرط الأول . والنظم السماوية من جهة أخرى ترتبط بالايمان والعقيدة ، فيكون لها فى نفوس الأفراد قدسية وحرمة وجلال ، فيتبعونها عن رغبة ووازع داخلى ، وابتغاء لمرضات الله ، ومحافظة على تقواه ، وخوفا من سخطه وعقابه الأخروى ، وبذلك يتوافر فيها الشرط الثانى أيضا على أكمل ما يكون .

ومن هنا تظهر الوظيفة الهامة للدين الصحيح فى شئون الاجتماع الانسانى ، ويتبين أنه ضرورة لا تستقيم الحياة الاجتماعية بدونها .

ومن هنا يظهر لنا كذلك السبب الذى من أجله تختلق بعض المجتمعات لها دينا حينما لا يكون لها دين سماوى حتى تكتسب نظمها بذلك شيئا من القوة وتتوافر لها مقومات الاستقرار .

ومن هنا يظهر كذلك وضعنا الشاذ العجيب . فقد أتم الله علينا نعمته ، وأكمل لنا ديننا الاسلامى الذى لم يغادر أى فرع من فروع الحياة الا وضع له أمثل النظم وأيسرها وأكثرها تحقيقا لصالح الفرد والجماعة ، ولكننا تعمدنا اهمال كثير من نظمه وقوانينه ، واستبدلنا بها نظما وقوانين أخرى وضعية ، وياليتنا استبدلنا بها نظما وقوانين من وضعنا نحن ، ومما قد نزعم ان حياتنا تقتضيه ، اذن لهان الخطب نوعا ما ، ولكان لنا فى نظر السطحيين والملاحدة بعض العذر . ولكننا استبدلنا بها نظما وقوانين قد استوردناها استيرادا من مجتمعات تختلف عنا كل الاختلاف فى أوضاعها وبيئاتها وحضارتها وتاريخها وتقاليدها وعرفها الخلقى ومقاييسها للفضيلة والرذيلة . فاختل فى هذه القوانين الشرطان كلاهما السابق بيانهما ، وهما شرط القداسة وشرط الاتساق مع طبيعة المجتمع وحاجاته .

وهذا فى نظرى هو السبب الرئيسى الذى يرجع اليه جميع ما نعانيه فى حياتنا الاجتماعية والقضائية وشئون العقود والالتزامات والمسئولية والجزاء من خلل واضطراب .

ولنضرب لذلك مثلا واحدا من مئات الأمثلة التى يمكن أن تضرب فى هذا الموضوع :

يقرر قانون العقوبات المصرى فى مواده الخاصة بالزنا وهتك العرض ، (وهى المادة ٢٦٧ والمواد العشر التالية لها) أن الزانية لا توقع عليها عقوبة ما اذا حدثت الجريمة برضاها وكانت غير متزوجة وسنها أكثر من ١٨ سنة ، أو كانت متزوجة ولم يرفع زوجها الدعوى عليها ، أو رفعها ولم تسمع منه لسبب ما ، أو رفعها وسمعت منه ولكنه أوقف الاجراءات أو أوقف تنفيذ الحكم برضائه بمعاشرتها كما كانت .

ويقرر كذلك أنه لا توقع عقوبة على الزانى اذا زنى بامرأة غير متزوجة برضاها ، أو زنى بامرأة متزوجة برضاها ولم يرفع زوجها الدعوى عليها أو رفعها ولم تسمع منه لسبب ما وهذا اذا كان الزانى غير متزوج . وكذلك لا توقع عقوبة على الزانى المتزوج فى هذه الحالات نفسها اذا ارتكب جريمته فى غير منزل الزوجية ، أو ارتكبها فى منزل الزوجية ولم ترفع زوجته الدعوى عليه .

ويقرر كذلك أنه لا توقع عقوبة على هاتك العرض اذا كان من هتك عرضه ذكرا كان أو أنثى قد بلغ ثمان عشرة سنة كاملة ووقعت الجريمة برضاه . ويقصد بهتك العرض مايقع بين الذكر والذكر من أعمال الشذوذ الجنسى وما دون المواقعة من الأعمال الجنسية التى تقع بين الذكر والأنثى .

ويلاحظ أن الحالات التى يعفى فيها الزانى والزانية وهاتك العرض من العقوبة بحسب قانون العقوبات المصرى تشمل فى الواقع معظم الحالات التى تحدث فيها هذه الجرائم . لأنه من النادر أن تحدث هذه الجرائم بغير رضا الطرفين ، كما أنه من النادر كذلك أن يرتكب زوج جريمة الزنا فى المنزل الذى يقيم فيه مع زوجته . فقانون العقوبات المصرى قد أعفى اذن من العقوبة معظم جرائم الزنا وهتك الأعراض .

وهذه المواد مقتبسة بنصها مع تغيير يسير من قانون العقوبات الفرنسى . وعن هذا القانون نفسه استمدت معظم القوانين الأوروبية والأمريكية موادها الخاصة بهذه الجرائم ، أو جاءت موادها متفقة مع مواده فى كثير من الوجوه .

وقد جاءت هذه المواد معبرة عن تقاليد الغربيين ، وعرفهم الخلقى ، ومقاييسهم للفضيلة والرذيلة ، ونظرتهم الى هذه الأمور . وذلك أنهم ينظرون الى مسائل العرض

والعفاف ومايتصل بهما نظرة تتسم بعدم المبالاة ، ويعدون تجاوز الحدود فى هذه النواحى من الهنات الهينات . وتسير مناهج حياتهم الاجتماعية والعائلية وعلاقات الجنسين أحدهما بالآخر على أساس هذه النظرة وهذا التقدير . فالمواد السابق ذكرها تستمد أحكامها ، اذن ، من نظام أخلاقهم وواقعهم العملى ، وتقتبس نصوصها من فهمهم للأشياء وتقديرهم للأفعال ومناهجهم فى الحياة .

أما نحن فان مسألة العفاف لا تزال من أهم المسائل التى تستأثر بعنايتنا ، ولا تزال شئون العرض وما يتصل به من أهم الأمور التى نحافظ عليها ونذود عنها ، ولا يزال الناس عندنا يتقاتلون ويقتلون ويقتلون فى سبيل المحافظة على العرض والذود عنه ، ولا نزال ننظر الى الزنا على أنه من أكبر الفواحش وأعظم الآثام ، ولا يستسيغ فهمنا أن تواطؤ المجرمين واشتراكهما فى الجرم برضاهما يعفيهما من العقوبة ، ولا يرتضى عرفنا الخلقى أن تعفى الزوجة الزانية من العقوبة لأن جرمها قد حدث برضا الزوج ، أو لأن الزوج قد علم به فسكت عنه ، أو لأنه بعد أن رفع الدعوى صفح عن زوجته ، لا يستسيغ عرفنا الخلقى هذه الأمور ولا يرتضيها ، بل ان عرفنا الخلقى ليقضى فى مثل هذه الأحوال ألا تقتصر العقوبة على الزوجة وأن يضم اليها هذا الزوج المستهتر ، وتوقع عليه عقوبة شديدة لانحطاطه وتجرده من الغيرة والشرف وتفريطه فى أعز شىء أؤتمن عليه . فاذا جاءت قوانيننا مع ذلك وقررت أن الزنا وهتك العرض اللذين يقعان برضا الطرفين لا عقوبة فيهما ، أو قررت أن زنا الزوجة نفسه لا عقوبة فيه ما دام قد وقع برضا الزوج أو ما دام الزوج قد علم به فسكت عنه ، اذا جاءت قوانيننا فقررت هذه الأمور وما اليها فانها بذلك لا تنحرف عن ديننا الاسلامى فحسب ، بل تنحرف كذلك عن تقاليدنا وعرفنا الخلقى ومقاييسنا للفضيلة والرذيلة ونظرنا الى هذه الأمور . وغنى عن البيان أن قوانين تتنافى مع دين الشعب وتقاليده وعرفه الخلقى تكون عنصرا غريبا فى نظامه ، ولا تستقيم له حياة اجتماعية ولا يتحقق له استقرار حضارى مع وجودها .

أسأل الله عز وجل أن يهدينا الصراط المستقيم ، ويلهمنا الفهم الصحيح لشريعة الاسلام وتعاليمه ، ويشفينا من مرض الاعجاب بالغرب ونظمه وقوانينه .

الصلاة والمصلون

فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى

١ ـ « ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » .

١ ـ تخالجنى حيرة فى الحديث عن الصلاة ! اهو كلام معاد فى شىء قديم مفهوم ، أم هو كلام جديد يحتاجه كثيرون لايصلون ؟؟

وهذه حيرة تذكرنى بكلام قاله الامام على فى بعض مواقفه ـ رضى الله عنه ـ « **مارأيت حقا أشبه بالباطل من الموت ! وما رأيت باطلا أشبه بالحق من الدنيا** » أما الموت فما ينكره أحد : غير أن الناس فى لهو عنه ، فلا يذكرونه ، ولا يعملون لما بعده ، فهو حق فيما يشهدونه ، وكأنه باطل لايصدقونه .

وأما الدنيا فما يجهل انسان تقلبها ، ولا يحسبها أحد منا باقية على وضع ، أو قائمة على عهد .

ولكنا مع هذا نفتتن بها ، ونسرف فى طلابها ، ونحرص على السير فى ركابها .. حتى كأنها خير لا يمازجه شر ونعيم لا يشوبه كدر .. فهى باطل أشبه عندنا بالحق !

٢ ـ وفى ضوء هذا الذى نقلناه ، وشرحناه ننظر الى الصلاة فى وضعها بين الدين والناس فنراها فى الجانب الدينى حقا لا ريبة فيه ، وفى الجانب العملى كأنها باطل لا نثق به !

فان الحديث عن الصلاة فى كتاب الله وسنة رسوله صار واسع الجنبات ، فياضا بالتوجيهات والتوصيات ، حتى بلغت الصلاة فى تشريع الله مبلغها من الوضوح .

وعرفها المسلمون ـ فيما نفرضه ـ معرفة المؤمنين بها ، فقدروهاقدرها ، وحرصوا عليها حرصهم على متع الحياة ، أو زيادة ، بعد أن قرأوا عنها فى الكتاب والسنة مئات من الحديث والآيات .

ولكنها فى الجانب العملى ـ لدى الكثرة منا ـ دون مقامها هذا ، ودونه بكثير .. حتى كأنها تكليف بما لايطاق ، أو هى شىء بغيض لايحبونه ، أو شر يحذرونه ، فأكثرنا لايقر بها أو يتثاقل فى الاتجاه نحوها الا مرائيا بها حتى أصبحت دعوة الله الى الصلاة فى جانب ، وصار أكثرنا وراء دعوة الشيطان فى جانب .

٣ ـ بين الدين أن الصلاة فرض يحتم على المؤمنين ، ومؤقت بأوقاته .. وشأن المؤمن

أن يستجيب ، وان لم يستجب فأين يكون الايمان ؟ وكيف يكون ؟

وبين الدين ـ أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وهى كذلك عند من يفقهها ويقيمها مخلصا لله فى دينه .

فان هجر الصلاة وقاطع ربه هانت عليه كل فاحشة وحسن لديه كل منكر ، وضاعت ثمرات الصلاة لفقدان الصلاة .

وهل يتأتى ثمر دون شجر ؟.. وبين الدين غاية الغايات للصلاة والمصلين فى قوله سبحانه « **قد أفلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون** » .

فما هو الفلاح ؟ ومن هم المفلحون ؟

أما الفلاح فأوسع من أن نحيط به ، لأنه الفوز بما عند الله من خير ، وخير الله كثير لايعلمه غير الله !

ففى الدنيا : هداية ، وتوفيق ، وعون وتيسير ، ونصر وتأييد ، وترضية بما يجرى به القدر ، حتى تكون النعمة لدى العبد مشكورة ومباركة مصونة .

ويكون البلاء بالمكروه محتملا ، والصبر عليه مقدورا وتخفيفا من وقعه ، والشكر أو الصبر عبادة منشودة وقربة مستجابة .

والفلاح فى الآخرة مغفرة ورضوان ، ودرجات فى نعيم مقيم ، وخلود هنىء فى مقام عند الله أمين .

ومهما نذكر فما يمكن لنا ولا لعبد سوانا أن يقف عند تحديد شىء من هذا كله فان فضل الله واسع ، وعطاءه غير مجذوذ .

ثم من هم المؤمنون الموعودون بالفلاح هذا ؟

هم المهديون بهدى الدين ما استطاعوا ، والمتحرجون من غضب الله ما استطاعوا وأوضح ما ينشده فيهم الدين : هو أن يقيموا الصلاة فى أوقاتها ، وعلى ما ذكر الله من صفاتها .

فما كانت الصلاة فى هيئتها الا اقبالا على الله بالتعظيم والوقوف بين يديه .

وماكانت فى اقوالها غير تمجيد وتسبيح ، وضراعة بالتوسلات والدعوات .

وما يليق فى مقام الاجلال والرجاء الا خشوع ناجم عن رهبة ، وادب يدل على اليقين فذلك هو الفلاح .. وهؤلاء هم المؤمنون المفلحون .

وبين الدين أن الصلاة ركن فى الاسلام بعد الشهادتين ، وأن من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين ، لأنها أخف الأركان مئونة ، وأظهرها اعلانا لشعائر الله ، ولذلك كانت اقامتها فرق ما بين المؤمن والكافر ، ومن دونها تنعدم فى الانسان ظاهرة الاعلام .

وبين الدين أن الصلاة فى أى مكان ، وأنها ميسرة فى ملابسها ، وطهارتها ، وفى الصحة والمرض ، وفى الحضر والسفر ، وكل ذلك لتمكين العبد من الصلة بربه فى كل حال .

وبين الدين كثيرا وكثيرا من فضائل الصلاة منذ شرعها الله ليلة الاسراء بعد بعثة النبى بخمس سنوات ، أو نحو ذلك وجعلها خمسا وجعل أجرها أجر خمسين ، والله يعطى دون حساب ولا رقيب ..

الله غنى عن عبادتنا ، ولا حاجة له فى صلاتنا ، ولكنه يحب أن يرى عباده راكعين بين يديه وساجدين ، ويحب أن يسمعهم ذاكرين ومستغفرين ، ويحب أن يمنحهم من عطائه الفياض ، ولهذا يفرح بعبده المقبل عليه بالرجاء والمتودد اليه بالطاعة وهو بعد ذلك صاحب فضل غير ممنوع ولا محدود .

هذا جانب من حديث الدين عن الصلاة والمصلين فى جنوحهم الى الله .

ب ـ فماذا تحدث عن احجامهم عن دعوة الله

قال : « **فويل للمصلين ، الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ، ويمنعون الماعون** » .

١ ـ هنا تهديد بالويل لمن سها عن صلاته .. والويل عذاب شديد ، والسهو عن الصلاة

هو تركها والتخلف عنها أو عن بعضها ، فما يكون اغفال الصلاة الا من المستخف بشأنها ، وغير المقتنع بها ، فهو غير معترف بمشروعيتها، أو هى شىء لا قيمة له فى حسابه .

وليس هذا كالسهو فى أثنائها عن شىء منها ، أو عن مراعاة نظامها ، فان ذلك مغتفر، ويجبر بالسجود على ماهو مذكور فى موضعه ..

وحينما سمع أحد السلف قول الله تعالى: **« الذين هم عن صلاتهم ساهون »** قال الحمد الله الذى قال عن صلاتهم ساهون ولم يقل فى صلاتهم ساهون .

والسهو فيها من العوارض القهرية ، ولا ذنب فيه .

٢ ـ ان عقيدة التوحيد مستورة فى دخيلة القلب ، وكلمة التوحيد ترجمة واعلان لتلك العقيدة ، والصلاة ومامعها من زكاة وصوم وحج ، وماتوحى به من معروف وماتنهى عنه من منكر : كل ذلك تطبيق عملى لكلمة التوحيد التى هى مناط الايمان الحق ولأن الصلاة مظهر يتكرر ، وشعيرة جامعة لكثير من معالم الدين كانت ذات أهمية خاصة فى العبادات وفى كيان المجتمع .

واهمالها يعتبر اهمالا لشعيرة يحب الله كثيرا ان نتمثل فيها بين يديه قائمين وساجدين

ولهذه المعانى كانت الصلاة بهجة لقلب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكانت قرة عينه ، وسلوة روحه ، ليلا أو نهارا ، وفرضا أو نفلا .

وكان من مناورات المنافقين أن يتظاهروا بها ، ولكنهم لا يدأبون عليها ، ولا يحبونها ففضح الله شأنهم وسجل عليهم نفاقهم ، لنحذر تقاليدهم ، ولا نعمل عملهم .

« ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم . واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى ، يراءون الناس ، ولا يذكرون الله الا قليلا » أى بقدر ماينافقون فقط .

فالتكاسل عن الصلاة أو التظاهر بها أمام الناس من النفاق الذى لا يغفره الله ، لأن النفاق شر من الكفر والتقليد فيه تقليد خطير يخشى منه على ايمان المؤمن .

وكل محاولة يتستر بها المرء ليفلت من الصلاة ، أو ليفلت بها من اللوم على ترك الصلاة تعتبر نفاقا ، وخداعا .

وما كان الله ليشرع صلاة أو غيرها ثم يترك الأمر فى تشريعه ألعوبة للمفسدين من جنود الشيطان .

وما كان الله ليدعو الناس الى جانبه ثم يتركهم ينصرفون عنه ، ويحتقرون دعوته ، ويتمدحون بما ليس فيهم من طاعة ، دون أن يحاسبهم على هذا كله ، وأن يثأر منهم لدينه ويقنعهم بما له من عزة وسلطان ، وبماله من هيمنة ، وحساب ، وعذاب « **فلا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا** ـ من عصيان ـ **ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا** ـ من ايمان وعمل خالص ـ **فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ، ولهم عذاب أليم** » .

٣ ـ ومن هدى الله سبحانه « **فاذكرونى أذكركم** » اذكرونى فى قلوبكم ، وبألسنتكم ، وأعمالكم أذكركم برحمتى ، وهدايتى ، وثنائى عليكم ، ورضاى عنكم ، وعطائى لكم.

ومن هدى الله سبحانه « **ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، أولئك هم الفاسقون** » .

نعم ! من نسى الله ، وغفل عن مناجاته فى صلواته ، أعرض الله عنه ، وأنساه نفسه، فلا يتداركها بالانابة الى ربه ، وانساه نفسه حتى يتقلص الزمن ، وتفوت الفرص .

٤ ـ هذا ولو كان الاعراض عن الصلاة قاصرا على أقلية ، أو فى غير المثقفين لهان الخطب، وتعزينا ببقية من الأمل فى أوبة الناس الى ربهم .

ولكن الحسرة التى تذيب النفس أن أكثرية المثقفين ، والمترفين فى ظلال العلم والنعمة لا يعرفون جهة القبلة فى بيوتهم ، ولا ينهض الى الصلاة واحد منهم بين أسرته ، ولا فى خلوته ، وهم فى أوساطهم على غير ما يليق برجل له دين كما يزعمون .

وعجيب أن تجد فيهم شخصيات لها مكانتها فى المجتمع ، وتتجه اليهم الأنظار ، ويعتبرون قدوة فى البيئة ثم لا يخطر ببال الواحد منهم أنه قدوة فى أسرته ، وفى محيطه، ولا يذكر لعلاقته بربه من طريق الصلاة أدنى اعتبار ·

فأنت تجلس اليهم ، أو فى مجتمع كبير منهم ، فلا تجد من يقوم الى صلاة مهما طال الوقت أو فات ··

وكان من أثر الاعراض عن الصلاة فى البيوت جهالة الأسرة بفروض دينها ، وشيوع التحلل فيها ، وحب الغمز فيمن يجنحون الى التدين أو يدعون الى الصلاة ، أو يحتشمون فى حديثهم ، ومن أثر هذا أن يتطبع الأنجال بالسفاسف ، وضاعت ملامح القدوة فى تيار الاستهتار من الأبوين وكبار الاسرة ، والمخالطين ·

وكان من أثر هذا فى ثنايا المجتمع فساد الذمم ، وضعف الضمائر ، وكثرة الهزات بما يتفشى من تلاعب وانهيار ، ويحسه القائمون على الأمر أكثر من سواهم ·

وهذا تذكير بما نحسه جميعا وبما يحاول المصلحون أن يعالجوه فى نفوس تشبعت بالفساد ، ولم تتعود أن تسمع كلمة ناصح ، حتى تضخمت فئة الشيطان ·

والأمر فى ضوء ما نلمسه بحاجة الى تشريع وضعى يؤازر الدعوة الدينية فى تطوير الناس لدينهم ، فان كثيرين منا يزعهم السلطان أكثر مما يزعهم القرآن ·

لا ننشد العنف ، وانما نريد العناية فى الجانب الأدبى ، حتى لاتظل الدعوة الأخلاقية رخوة وخافتة ·

وحتى لا تظل دعوة الله محاربة من أقلام تناوئها بالباطل ، وتنظر اليها بعين الخصومة ، وان البناء المنشود فى مجتمعنا الذى نعيش فيه لا يقام على شفا جرف من الرمال ولا يمكن أن يشاد على غير الأساس الذى وضعه الله ــ الدين ·

ونحن فى غير حاجة الى التجارب ، وفى قصص القرآن عن الأولين كفاية ــ والسعيد من وعظ بغيره ·

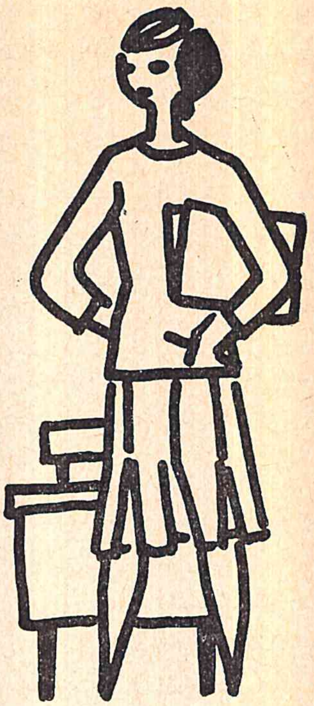

المرأة الحديثة

هل أنصفت نفسها ؟

الأستاذ البهى الخولى

يجتاز العالم الاسلامى الآن - أو هو يستقبل - مرحلة خطيرة متطورة ، بعد جمود طال أمده ٠٠ ولا قبل لأحد يدفع هذا التطور أو التخلف عنه ، فهو من سنن الحياة الطبيعية التى تمضى الى غايتها بأمر الله لتبلغ بالانسانية ماقدر لها من كمال وفضل

وكان لابد فى رجفة النشور والبعث والتجدد أن يلتمس المصلحون أفضل الأوضاع لما يجب أن تكون عليه الحياة الجديدة ، وأن يصفوا أحسن العلاج للتخلص من رواسب التخلف القديم وعلله ٠

ومن القضايا التى لايمارى فيها أحد ، أن المرأة قاست على مدى الأجيال والقرون فى أكثر الأمم القديمة ألوانا من سوء التقدير ظلمت انسانيتها ، وغمطتها الكثير من حقوقها ، وأبعدتها عن مكانها الذى يجب أن تتبوأ فى المجتمع ٠

والمعروف بيننا أن جو هذه القضية تتنازعه تيارات شتى ، فللمرأة المثقفة رغبة فى التخلص من القديم واحتذاء مثال المرأة الغربية وهناك من يتملقها بالتأييد بلا قيد ولا شرط، وهناك من يرى القيود والشروط ، وينعى عليها أنها جاوزت فى بعض الحريات مالا ينبغى أن تجاوزه ، وهناك من تربطه بالماضى نزعة تدعوه الى الجمود والتطير ٠٠ ولا شك أن شيئا من ذلك لايصلح أن يكون علاجا لتلك القضية ،بل لاشك أن ذلك كله هو أول مايجب أن ننحيه عن أذهاننا حين البحث عن الأسس السليمة لتحرر المرأة ورسم خطوط مستقبلها ٠٠ ولا يعارض عاقل فى أنه لن يغنينا فى ذلك الا أن نتجرد من كل الأهواء والنزعات ، ونعتصم بالعقل وحده ، وننظر فى الأمر نظرة فطرية صحيحة نتبين بها سنن الطبيعة وأهدافها التى تحدد للمرأة وضعها ومهمتها فى الحياة ، فان الطبيعة اذ خلقت المرأة لم تخلقها جزافا ، ولم تبتدعها سدى ، بل كان ذلك على قدر عتيد ومقاصد وأهداف مرسومة معلومة

وهناك من يتطير لأن تعالج قضية المرأة على أنها امرأة ، وينقلب شاغبا فى غير منطق الا

منطق التنديد بدعاة الرجعية الذين يقحمون الدين فى مسائل اجتماعية محضة ، ويستغلونه لتأييد رأيهم فى ظلم المرأة ، وتأخير عجلة التقدم ٠٠ الخ ٠٠

ونحن اذ نشير الى الرجوع للعقل وحده لنبين نواميس الطبيعة وأهدافها التى تحدد وضع المرأة ومهمتها فى الحياة ، لانريد اطلاقا أن نقحم أصول الدين ، ولا أن نستعديه بأى حال لنكسب به جولة فى جدل ما ٠٠ فاذا كان ذلك يرضى دعاة التطور المطلق ، فليس لنا بازائهم سوى شرط واحد هو أن نعالج قضية المرأة على أنها أنثى ، لا على أنها رجل ، فذلك هو الوضع الطبيعى للقضية الذى لاوضع لها سواه ، أما أن تعالج على غير هذا الوضع ، فهو نهج الجهل واللجاجة فى الباطل والاصرار على منابذة الحق وتحدى العقل والواقع ، ولغير هؤلاء نكتب ، فاستهداء الفطرة ، واستفتاء طبيعة الاشياء ــ دون نظر الى أى اعتبار آخر هو سبيل النفوذ الى الحقيقة ، وليس وراء ذلك السبيل سبيل ٠٠

ــ ٢ ــ

وحين نستفتى الفطرة فى شأن المرأة ، نرى وضعها فى الحياة واضحا غاية الوضوح ، فهى انسان كالرجل ، اذ تلدهما أم واحدة وينجبهما صلب رجل واحد ٠٠ ذلك منطق الفطرة ، فلا تفاضل بين انسانية فرد وانسانية آخر ، ولا تمايز بين انسانية ذكر وانسانية أنثى ٠٠

فالانسانية « وصف عام » تشترك فيه المرأة والرجل ، فهى انسان وهو انسان ٠٠ ولكنهما اذ يشتركان فى وصف الانسانية يفترقان فى كثير من صفات التكوين الجثمانى بحكم الذكورة والأنوثة ، فينفرد الرجل بوصف خاص ، وتنفرد المرأة بوصف خاص آخر هو « **الأنوثة** »

وبهذين الوصفين ــ العام والخاص ــ يتعين مكان المرأة وتستبين معالم رسالتها ، ويتحدد مالها من حق ، وما عليها من واجب ٠٠

والانسانية فطرة أصيله ، سوى عليها المرء لتنشىء فى نفسه خصائص المثل العليا ، وبهذا تمتاز فطرته من فطرة الحيوان ٠٠ ومن سنن الطبيعة أنها لاتهب خصائص الامتياز عبثا ، بل تهبها لتحقق بها أهدافا معينة فى الحياة ، فما من ميزة الا وهى ترشح صاحبها لمهمة خاصة ، وتحمل له تكليفا فطريا أن يؤدى أمانتها للحياة ٠٠ واذ كانت «الانسانية» محور امتياز الانسان من الحيوان ، فهى ترشيح وتكليف له أن يحقق خصائصها العليا فى عالم الواقع سلوكا كريما يبدع الخير ، ويرعى مثل الحق والفضيلة فى غيرة ايجابية تحمل على المعارضة ، وتدفع الى التوجيه والتقويم .

أى أن على المرأة ــ بحكم انسانيتها ــ واجبا تسهم به مع الرجل فى اصلاح المجتمع على أساس رعاية المثل العليا ٠٠ على قدرمالها من ثقافة ٠٠ وطاقة ٠٠ واستعداد شخصى ٠٠

والقاء هذا الواجب عليها يتضمن تقرير أهليتها للتكليف ، وحمل تبعات المسئولية ، اذ لا تكليف لمن لاأهلية له ٠٠

« والأهلية » على هذا التقرير الفطرى ، ليست حقا تمنحه المرأة أو تمنعه ، انما هى وصف لخصائص قائمة بتكوينها الفكرى ، والنفسى ، ترفعها الى مقام الثقة بتصرفاتها ، والجدارة برعاية الحرمات وحمل التبعات ٠٠

واذ ارتفعت أهلية المرأة الى تلقى التكاليف الروحية ، ومباشرة الاصلاح الاجتماعى على مستوى القيم العليا ، فأولى لتلك الأهلية ثم أولى أن تشمل صلاحيتها لتملك القيم الاقتصادية ، ومباشرة التصرف فيها على ماتراه وافيا بالمصلحة ٠

واذا فأهلية المرأة جزء من كيانها المعنوى ، ولا تعتبر من قبيل الحقوق الا بشىء من التجوز والتساهل فى ظروف المحنة التى تنادى فيها المرأة بالعودة الى وضعها الطبيعى ٠٠

ولها بهذا الاعتبار الانسانى المحض حق كبير ذو ثلاث شعب ، هى فيها صنو الرجل

سواء بسواء اذ تزكى خصائص أهليتهـا ، وتعدها لواجبها الخطير .. وتلك الشعب هى :

ا ـ حق التنشئة الحسية ، أى تربية البدن بتوفير مطالبه من الطعام والشراب واللباس ونحوها ..

ب ـ حق التنشئة العقلية بتربية مداركها وتنمية مواهبها الفكرية على نحو يؤهلها لفهم ماحولها من شئون الحياة ، والتصرف فيهاعلى وجه سليم ..

ج ـ حق التنشئة الروحية ، ببث العقائد السليمة وحياطتها بجو الفضيلة ، والتوجيه الى المثل العليا .

ـ ٣ ـ

ومهمة الأنوثة معروفة اجمالا ، فقد أرادت بها الطبيعة تنظيم بقاء النوع الانسانى ، على نحو يكفل أفضل المزايا للنسل حين الحمل ، وحين الحضانة ..

وعلى المرأة فى ذلك واجبات .. ولهـا حقوق ..

فمن واجبها :

ا ـ أن تراعى المقصد الأصيل الذى أعدتها الطبيعة له حق الرعاية ، فلا تستهين به ولا تتخلف عنه الا لعذر مشروع تقبله نواميس العمران وسنن الطبيعة ..

ب ـ أن تسلك لتحقيق مقاصد الطبيعة أشرف مسلك يتلاءم مع رسالتها فى رعاية الفضيلة والغيرة على حرمة المثل العليا .. فتصون بها انسانيتها من الابتذال ، وترعى **لأبنائها حق النشأة الكريمة .. وذلك يتحقق** بالزواج المشروع ..

ولها بازاء ذلك حقوق كثيرة :

١ ـ فمن حقها قبل الزواج أن توجه الى ما أعدتها الطبيعة له ، فتزود بكل الثقافات والتجارب الممكنة التى تجعلها زوجة فاضلة ، وأما كريمة ، وربة بيت مدبرة ..

ب ـ ومن حقها وهى زوجة ـ وقد شغلت بتكاليف الحمل والحضانة المتكررة ، فى ارهاق متواصل ـ أن يقوم لها زوجها بنفقة المسكن ، والملبس والمأكل .. وأن تكون أهليتهـا هى النطاق الذى يقرر فيه مستوى المعاملة بينهـا وبين شريكها فى الحياة الزوجية ..

ح ـ ومن حقها وهى أم كبيرة لشباب أو رجال ، الرعاية المحفوفة بالتعظيم وعرفان الجميل .

هذا ولا تعارض بين مقتضيات الوصف العام ، ومقتضيات هذا الوصف الخاص .. فواجبها فى الوصف العام يساير ويضفى الكمال على واجبها الخاص .. وحقهـا فى الوصف العام ـ **فى التنشئة الحسية ، والعقلية والروحية** ـ انما هو فرش ودعامة لحقها فى الوصف الخاص .. ويمكن القول ان مقتضيات الوصف العام هى الاطار المأمون الذى يجب أن تمارس فيه شئون الوصف الخاص .

ـ ٤ ـ

ذلك هو قانون الطبيعة ، ومنطق فطرة الله : للمرأة وصفان: عام ، وخاص... ولها فى كل وصف حقوق وواجبات .

ولاشك ان أفضل الحضارات هى التى تقدر مكان المرأة على ضوء هذين الوصفين : فلا تقصر بها عن الوضع الذى قررته الفطرة لانسان ولا تجاوز بها المدى الذى رسمته الطبيعة لأنثى ...

ثانيا : ماذا حققت المرأة الحديثة

ـ ١ ـ

ونسأل بعدما مضى كله : ماذا حققت المرأة الحديثة منه ؟

وليس من قصدنا ان نؤرخ تطور المرأة الحديثة ، فنفصل عوامل هذا التطور ، وتفاعلها مع الأوضاع القديمة ،وما أحدث كل عامل من أثر ، وماعاد اليها من حق ، وما نالت من أوضاع ، ومدى تغير شخصيتها ونظرتها الى الحياة ، والمراحل التى مربها ذلك كله .. لانريد هذا التفصيل فنحن بصدد الحكم على « الواقع » الذى بلغته : هل اتخذت به الوضع الذى قررته الفطرة لأنسان ، ولزمت المدى الذى رسمته الطبيعة لأنثى ومارست لكل وصف مايقتضيه من حق وواجب ؟ .. أوهى

انطلقت بلا زمام غير عابئة بفطرة ، ولامكترثة لحق أو واجب ؟ ٠٠

- ٢ -

ولكي نتبين ذلك نمهد بعرض ظاهرتين من أمرها ، ليس باحداهما أى خفاء :

الظاهرة الأولى : ظاهرة الحرية الواسعة التى تمارسها المرأة الغربية ، وهى حرية بدت طلائع أسبابها فى القرن الثامن عشر ٠٠ واخذت تظهر بطيئة هينة مع ما تلا تلك الطلائع من الانقلابات والثورات الصناعية والاقتصادية والسياسية والمذاهب الفلسفية ، وبلغ التطور ذروته فى القرن العشرين عقب حربين عالميتين تغيرت بهما الأوضاع الاجتماعية المختلفة ، وبلغت المناداة بحقوق الانسان أقصى مداها ، وتغيرت المقاييس والأذواق فيما يتعلق بتقدير العرض والفضيلة وشرف السلوك الشخصى ٠٠ بل تغيرت فيما يتعلق بالدين ومعتقداته ، ومارسم للحياة من أهداف وغايات ٠٠

وقد شمل هذا التغيير الرجل والمرأة على السواء ، وظهر أثره فيما يمارس كل منهما من حريات لايتقيد فيها بدين ، ولا بمأثور من تراث الانسانية السابق فيما يتعلق بالعرض من مفهوم العفة والحياء ٠٠ فللمرأة أن تغشى ماشاءت من الملاهى العابثة ، ولها أن تزاول ماتريد من قمار ، وخمر ورقص ، ولها أن تمارس علاقتها الجنسية بالرجل ، على النحو الذى تحب ، مادامت لاتعتدى على حق لغيرها.

يقول جورج رائيلى اسكات فى كتابه : « تاريخ الفحشاء »

« فليست متعة الحياة عندها الا أن يعب المرء كأس اللذات الى صبابتها ٠٠ فهى تسعى وراء تلك اللذات ، وتبحث عنها فى المراقص والأندية الليلية والفنادق والمقاهى ٠٠ وبذلك تلقى بنفسها راضية مختارة الى بيئة وأوضاع تشعل النزعات الجنسية اشعالا ٠٠ ثم هى لاتخاف النتائج الطبيعية لذلك ، بل ترحب بها وتستقبلها بطيبة نفس »

على أن تلك الظاهرة لايمارى فيها أحد بانكار ، فانها من « الحقوق » المقررة لكل من الرجل والمرأة فى أوضاع الحضارة الغربية ، اذ أن الحياة الخاصة لأى انسان - فى مفهومهم - ملك خالص له ، له أن يأتى فيها مايشاء بلا قيد ولا شرط ، وليس للمجتمع عليه من سلطان الا فيما يتعلق بحياته العامة ٠٠

والظاهرة الثانية : هى ظاهرة انطلاق المرأة الى تحقيق المساواة المطلقة بالرجل ٠٠ فما كان بيدها أن تحققه من تلك المساواة ، حققته دون انتظار أو استئذان ، ومالم يكن بيدها أن تحققه كالغاء قانون ، أو سن تشريع ، نادت به وسعت فى تحقيقه ، وأسمته حقا من حقوقها ٠٠

وفهمها لمعنى الحق وتقديرها لقيمته لا يرجع الى قانون طبيعي أو قياس أصيل ، بل يرجع الى الرغبة الطاغية فى تحقيق مساواتها بالرجل ٠٠ فانها لم تنظر فى دواعى الاصلاح الا الى الجانب الفكرى الذى يجمعها واياه على نحو من التماثل ، دون التفات الى ماوراءه من الفوارق الطبيعية ٠٠ فتعلمت تعلم الرجل لا تعلم الأنثى ، وماذا يمنعها أن تتعلم تعلمه ، ولها عقل مثل عقله ؟ ٠٠

وارتدت فى الحياة مهنة الرجل ابتغاء تحقيق تلك المساواة ، فكانت محامية ، ومهندسة ، وصيدلية ، وخبيرة بالزراعة والطب البيطرى ونحوه ، ونسخت بذلك كثيرا من الفوارق التى كانت بينها وبينه ٠٠ »

وطالبت بالالتحاق بوظائف الحكومة ، ازالة لما تظنه ميزة له ، أو فارقا بينها وبينه ٠٠ أى تحقيقا لما تبغى من تمام المساواة ٠٠

واتجاه المرأة على هذا النحو الى تحقيق المساواة بالرجل ، يخلو من الاهتمام بأشرف وظائفها ، فلم نسمع انها احتجت أو طالبت باقامة معاهد للأمومة والزوجية ، ورعاية شئون الأسرة - مثلا - الى جانب ماترى حولها من معاهد للرقص وادارة الفنادق ٠٠

ولسنا نعنى اقامة مدارس للخياطة والطهو ، فان لكل من « **الزوجة** » ٠ « **والأمومة** » فلسفة نفسية واجتماعية دقيقة لها أثرها الخطير فى بناء الفرد وكيان الأسرة والمجتمع ، لاتستقل بها خياطة أو طهو ، ولا ينهض بعبئها

الا كبار الأساتذة والفلاسفة ٠٠ ولم نسمع أن ذلك على خطورة أثره وشرف منزلته كان موضع اهتمامها ، أو أنه شغل جانبا من مطالبها بل اننا نراها على العكس من ذلك ترحب وتتحمس كلما ذكرت دور الحضانة التى تتخلص بها من طفلها ولو الى حين ٠

وخلو اتجاهها من الاهتمام بوظائفها الطبيعية - مع الاغراق فى استكمال كل شارات الرجل - يدل على عدم اكتراثها بنفسها باعتبارها أنثى ٠٠ أو يدل على نزوع نفسى خطير يمثل الضيق « بالأنوثة » مع تصور الرفعة فى مكانة « الرجل » ٠٠ فهى تتمنى أن تكون رجلا لا أنثى ، فاذا أبت الطبيعة عليها ذلك ، فلا أقل من أن تكون « رجلا يقيم مضطرا فى جسم انثى » ٠٠ وعليها أن ترضى هذا النزوع فى نفسها بكل وسيلة ، وأن تحقق لهذا الرجل المتمرد فى صدرها كل مايرضيه من شارات الرجل الطبيعى ، ولو لم تحس لها ضرورة ملحة اليها ٠٠

فقد طالبت بمأسمته « الحقوق السياسية» فهل كان ذلك عن ضرورة حافزة جادة كتلك التى أثارت همم الرجال فأطاحوا بالعروش ، ودكوا صروح الظلم ، أو كان مسارعة لتدليل النزوع المسترجل ؟٠٠

يجيبنا عن هذا أن نسبة عدد اللائى يتقدمن للترشيح لعضوية المجالس النيابية فى البلاد التى نالت المرأة فيها هذا المطلب من أمد بعيد - كانجلترا ، وفرنسا ، وأمريكا - الى عدد المرشحين من الرجال تبلغ فى المتوسط ٥ر٢٪ اثنين ونصفا فى المائة ٠٠

والمعروف أن عدد النساء فى كل أمة مساو لعدد الرجال ان لم يزد عليه ، وكان من الطبيعى أن يكون عدد المتقدمات لاستعمال هذا «الحق السياسى » مساويا عدد المتقدمين من الرجال **فماذا يفهم من هذا الاعراض ؟ ٠٠**

وماذا يفهم من حرصها على مزاحمة الرجال فى مقاعدهم بقطارات سكك الحديد ، وسيارات « الأوتوبيس » ونحوها حين كان لها فى تلك القطارات والسيارات أماكن خاصة ، ومقاعد معلومة ، مع ماقد يكون فى تلك الأماكن المخصصة من راحة وامتياز ؟!٠٠

وماذا يفهم من حرصها على لبس « البنطلونات » و « الجاكتات » وهما من ملابس الرجال ؟ ٠٠

وماتفسير الباعث الذى حدا ببعض نسائنا المشتغلات بالحركة النسوية الى المطالبة يوما ما ، بالغاء « **نون النسوة** » فى اللغة العربية ليشتركن مع الرجال فى ضمائرهم المعروفة ؟

ان اتجاه المرأة الى المساواة بالرجل يقوم على احساس منها بأن الأنوثة أقل قدرا من الرجولة ٠٠ فهى تدأب لتلك المساواة علاجا لهذا الاحساس ٠٠

- ٣ -

هاتان ظاهرتان ملحوظتان بوضوح فى تطور المرأة الحديثة :

ظاهرة الحرية الواسعة ٠٠

وظاهرة الاندفاع نحو المساواة بالرجل ٠٠

فماذا فيهما مما يحقق وجودها باعتبارها انسانا ، واعتبارها أنثى على النحو الذى قررته لها الفطرة ورسمته لها الطبيعة ؟ ٠٠

ان الحرية الواسعة على النحو الذى أسلفنا ، أمر يضيق بالقيود التى تعوق الاسترسال فى طلب الترفيه ، واللهو ، واللذة ، ومن تلك القيود ، قيود الزوجية والأمومة ، أو حقوق الزوج وحقوق الطفل ٠٠

وقد ترددت المرأة حينا بين البقاء على واجبها باعتبارها أنثى ، يثبتها عليه ما كان ينشره عقلاء الغربيين فى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحاضر - وبين أن تطرح عنها هذا الواجب ، وتندفع مع مغريات الحياة الحديثة ، يناديها الى ذلك ويغريها به أقوال طائفة من الكتاب المتحللين يردون بها على تحذير الحكماء ٠٠٠ وظلت على هذا التردد : يستجيب بعضهن لداعى الاغراء الحديث ، ويتشبث بعض آخر بعرى الواجب الطبيعى ، حتى كانت الحربان العالميتان الأخيرتان فحسمتا الموقف ، وقضتا على التردد ٠

والمعروف الآن فى حواضر الغرب من آثار ذلك أن الزواج المتروع لا تدوم آصرته فى

كثير من الحالات لرغبة أحد الزوجين أو كليهما فى نشدان لذة جديدة مع حب حار جديد .. بل ان كثيرا من الرجال والنساء يؤثرون الزواج غير المشروع على الزواج المشروع تخلصا من انجاب الأطفال ، وسائر التبعات ، وانطلاقا الى كل مايتاح من لذة ممكنة ..

نقل السيد أبو الأعلى المودودى جانبا من مقال نشر بجريدة Freepress التى تصدر « بدترويت » ننقل منه مايأتى : « ان ماقد نشأ بيننا اليوم من قلة الزواج وكثرة الطلاق ، وتفاحش العلاقات غير المشروعة بين الرجال والنساء يدل كله على أننا راجعون القهقرى : فالرغبة الطبيعية فى النسل الى التلاشى »

وكتب القاضى لندس الأمريكى على لسان احدى الفتيات : ((مالى أتزوج ؟ ..))

ان لكل فتاة فى هذا العصر حقا طبيعيا فى حرية العمل ، وحرية الحب ، اذ تعرف فى هذه الأيام كثيرا من التدابيرلمنع الحمل ، فتستطيع بها أن تتقى خطر المولود النغل ، وما عسى أن يتبع ولادته من أزمات »

ان باب الحرية الواسعة مفتوح الى كل ذلك وغيره ، لاقانون يمنعه ، ولا عرف يزجر عنه ، ولا شك أن فى ذلك محنة قاسية لوظيفتى الزوجية والأمومة .. ومحنة للمرأة أيضا من حيث لاتشعر ..

وأما شأنها فى المساواة بالرجل ، فمما يؤخذ عليه :

١ - أنه يقوم على عدم اعترافها بالانوثة ان لم يقم على ازدرائها واعتبارها أقل قدرا من الرجولة كما قدمنا ، فقد ركزت همتها فى الجانب الفكرى الذى يجمعها مع الرجل على جانب من التماثل ، وجعلته مركز وجودها ومحور ما تبذل من جهود فى الاصلاح الذى يكفل لهاتلك المساواة ..فتعلمت.. وتحررت .. وحققت أهليتها .. واشتغلت بطلب الرزق الى آخر المدى المعروف فى السياسة ونحوها .. دون عناية بوظائفها الأصيلة ..

٢ - انها التزمت جانب المطالبة بالحقوق دون اهتمام بما يقابل ذلك من واجبات ..

وسنة الحياة تنتظم على تبادل الحقوق والواجبات فكل ((حق)) يقابله ((واجب)) فاذا أهدرنا أحد شطرى السنة اضطرب سير الحياة ، واختلت بهالأوضاع ..

٣ - ان واجبها الانسانى الذى ترعى به مثل الحق والفضيلة فى غيرة ايجابية تحمل على المعارضة وتدفع الى التوجيه غير واضح فى هذا الاتجاه ..

لقد تقرر فيما أسلفنا أن « رسالة الاصلاح الاجتماعى » التى تلقيها الفطرة على المرأة باعتبارها انسانا تقوم على اصلاح النفس ، والعناية بحراسة مثلها ، والاجتهاد فى اضافة جديد من الكمال الى رصيدها .. فالحياة دار للخير والحق ، غايتها تكميل النفس وابداع الخير فى شتى صوره ، ولاشك أن ذلك لايستقيم اطلاقا مع هجر الأمومة ، وبخس قيمة الأنوثة . والاستغراق فى شهوات الجسد ..

ولاشك أن أخطاء هاتين الظاهرتين تبعدان بالمرأة عن نظام فطرتها ، وشرف رسالتها ،

ولا يحملنا ما نالت من علم وحرية أن نغضى عما تحمل تلك الأخطاء - ونسميها أخطاء تجوزا - من اثم فى حق نفسها ، وحق الأمومة ، وحق الزوجية والمجتمع ، بل حق البشرية جمعاء ..

ذلك بعض معالم الطريق الذى سلكته المرأة الغربية الحديثة ، فجنت به على غريزةالأمومة والزوجية ، ومسخت فطرتها ، وناوأت قوانين الطبيعية فيها .. وليس فى مناوأة قوانين الطبيعة أى خير .

ان المرأة الحديثة بيننا تقلد المرأة الغربية ولكنها ماتزال على رأس الطريق الذى سلكته ، ولم تبلغ فيه مبلغها والحمد لله .. فاذاأردنا أن نعتبر لأنفسنا بما صار اليه غيرنا ، فزمام الأمر مازال بأيدينا ، والا بلغنا القهقهرى التى يجزع لها القاضى الأمريكى ، ويشفق علينا منها ذوو البصيرة النافذة فى فهم أمور الدين والدنيا ويعارضهم فيها من لا فهم له فى دنيا ولا دين

القيم الإسلامية

تمويه القيم وتزييفها

للدكتور أحمد فؤاد الأهواني

قسم الله الناس باعتبار الايمان والكفر ثلاثة أقسام هم : المؤمنون ، والكفار ، والمنافقون . واذا نظرنا الى الايمان والكفر من زاوية القيم لوجب أن ينقسم البشر قسمين فقط ، هم الكفرة والمؤمنون ، اذلا توجد قيمة ثالثة بين هاتين . وأين موضع المنافقين منهما ؟

فأنت حين تنظر الى وجود الله ، ترى أن قيمته فى مرتبة الوجود أعلى مرتبة ، لأنه سبب الخلق ، وعلة الكائنات التى منه تستمد وجودها وبقاءها وحياتها ، وعندئذ تقبل على هذه القيمة تعتقد فيها ، وتقدسها ، وتذعن لأوامرها ، وتقدم لها فروض العبادات تطلب رضاها وعونها . والذين يفعلون ذلك هم المؤمنون الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة ويؤدون الزكاة .

أو تنظر الى هذه القيمة فتنكر وجودها ، ولا ترى أن العالم بما فيه من مختلف أصناف المخلوقات يفتقر الى علة أخرى وراء نفسه هى السبب فى وجوده ، فتكفر عندئذ ، أى تنكر وجود اله خالق مدبر ، ممسك لما خلق ، عليم بما صنع . وهؤلاء هم الكفار الذين **« ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم « البقرة ٧»** وهذه لعمرى آية تدل على اعجاز القرآن ، لأنه يصور المؤمنين من جهة الوجود يجعلهم مسلمين بوجود الله ، مطيعين له ـ تعالى ـ من حيث العبادة بالصلاة والزكاة ، كما قيل فى أمرهم انهم **((الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل اليك وماأنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون)) (البقرة ٣ ، ٤) . أماالكفارفقد جاء** كفرهم عن طريق المعرفة ، سواء الباطنة بالقلوب التى ختم عليها ، أم الظاهرة كالسمع والبصر اللذين غشى عليها فلا يسمعون ولا يبصرون . وهؤلاء لا يعترفون بالقيمة الدينية أصلا بسبب عدم امكان معرفتهم لها ، ولذلك يقفون منها موقفا حاسما صريحا ، فلا تؤثر فى سلوكهم من القيام بالعبادات المفروضة .

ولكن حال المنافقين عجيب ، اذ أنأى قيمة ينتسبون اليها ، ويؤمنون بها ؟ ليست هذه القيمة هى الايمان ، ولا هى الكفر ، وانما هى بين بين ، فقد يكون أحدهم أقرب الى الايمان ، وقد يكون أحدهم الآخر أقرب الى الكفر .

ونقول ان القيمة التى ينتسب اليها المنافق قيمة مزيفة مموهة ، ظاهرها فقط الايمان ، وحقيقتها ليست كذلك . ومن هؤلاء أصناف شتى :

الصنف الأول : الذين يعتقدون فى كذب قيمة الايمان ، ويحاولون خديعة المؤمنين يقصدون الى ذلك قصدا ، وهؤلاء أكثر أهل النفاق شرا وسوءا ، وهم الذين قال فيهم الله ـ سبحانه ـ الآيات الواردة فى أول البقرة وهى :

((ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين . يخادعون الله والذين آمنوا ومايخدعون الا أنفسهم ومايشعرون ، فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون . واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا انما نحن مصلحون ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون .

وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون » .

واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون ، الله يستهزئ بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون ».

أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وماكانوا مهتدين » .

فى هذه الآيات تصوير بليغ لحال المنافقين كيف يتأرجحون بين القيمتين الكبيرتين وهما الايمان والكفر ، وكيف يخدعون المؤمنين ويموهون عليهم أولا ، وكيف يسودهم الشك والقلق والمرض ثانيا ، وكيف يفسدون ثالثا، وكيف يعرضون بالمؤمنين ويصفونهم بسفاهة الرأى رابعا ، وكيف يؤثرون الضلالة على الهدى خامسا .

وتنشأ خطورة المنافقين من أنهم يزيفون الحقيقة ، اذ يتظاهرون بالايمان ، ويسلكون مسلك المتعبدين ، مع أنهم يبطنون خلاف مايظهرون . وهذه هى الخيانة التى تطعن من خلف . أما الكافر فانه عدو ظاهر ، يأخذ المؤمن منه حذره ، ويحاربه حربا شريفة ، وقد يصل الى اقناعه بالحجة والموعظة الحسنة. ولكن المنافق بعد تظاهره بالايمان ، يدخله المؤمنون فى زمرتهم ، واذا به يخدعهم ويخونهم فتكون الطعنة على غرة ، وتصيب مقتلا . ومن أجل ذلك أطال الله فى وصف المنافقين فى تلك الآيات ومابعدها حتى الآية العشرين ، لما ينشأ عن وجودهم فى الامة من ضرر بليغ .

والنفاق الذى جاء وصفه على هذا النحو فى القرآن نموذج لكل نفاق آخر ، ويدل على اضطراب النفس وشكها فى القيم المعروضة أمامها فلا تدرى الى أى قيمة تتجه ، وقد تميل أعظم الميل الى احداها ولكن النفس لما فيها من شك تعود فتجتذبها القيمة الأخرى . وصفحات التاريخ مملوءة بألوان النفاق السياسى ، واضطراب الناس بين التيارات الحزبية المختلفة ، مما كان سببا فى تفككها وانحلالها وذهاب ريحها .

والنفاق السابق نموذج أيضا للنفاق الفكرى ، والتقلب بين المذاهب الفلسفية المختلفة . فقد نشأت فى خلال الحضارة الاسلامية مذاهب فلسفية وكلامية وفقهية احتدم بينها النقاش والجدال ، وتقلب المفكرون بينها ، فكم من مفكر نشأ معتزليا ثم مال الى الأشاعرة ، ثم عاد الى الاعتزال . وان دل هذا على شئ فانما يدل على عدم نضوج الرأى ، وعدم وضوح القيمة أمام البصر ، والتباس الحق بالباطل عند الناظر المفكر .

وقضية الانتحال فى تاريخ الفكر الاسلامى ترجع الى هذه الظاهرة ، نعنى تمويه القيم وتزييفها . ذلك أن كثيرا من الأدباء والشعراء والكتاب والفلاسفة بلغت بهم الشهرة حدا جعل لهم قيمة عظيمة ومنزلة كبيرة ، فيأتى قوم — من المنافقين — ان صح هذا التعبير بالنسبة لهم — يكتبون الكتب ، وينظمون الشعر ، ويبثون الآراء ، وينحلونها ، أولئك العظماء ، كما كان يفعل خلف الأحمر بالنسبة للشعر الجاهلى . ولو شئنا تعليل هذه الظاهرة لوجدنا أنها تفسر فى ضوء القيمة ، لأن تجار الأدب وقد عرفوا قيمة المفكر الأصيل ماعليهم الا أن ينسبوا اليه ماشاءوا .وقل مثل ذلك بالنسبة لمن يزيفون الآثار القديمة ، والنقود ، وغير ذلك .

وقد شاعت عملية التزييف حتى فى العقائد بل فى كتاب الله نفسه . ذلك أن اليهود فى زمان النبى — عليه الصلاة والسلام — كانوا أهل نفاق ، وأرادوا أن يفسدوا دعوته بهذا اللون من الطعن من الخلف والباس الباطل ثوب الحق . وفى ذلك نزلت الآيات من سورة البقرة والتى تقول : « **أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون . واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون . أولا يعلمون أن الله يعلم مايسرون ومايعلنون . ومنهم أميون لايعلمون الكتاب الا أمانى وان هم الا يظنون . فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا**

من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » ٠

كانت هذه هى حال اليهود فى زمن النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ووقت نزول القرآن ، ولا يزال التاريخ يعيد نفسه ، فيسعى اليهود فى اسرائيل اليوم الى طبع المصحف الشريف محرفا ، وتوزيعه فى دول أفريقيا ، لولا أن فطنت الجمهورية العربية المتحدة الى ذلك ، وردت كيدهم ووقفت لهم بالمرصاد ٠ وليس لذلك من علة سوى أن القرآن له قيمة سامية عظيمة ٠ وكان سببا فى صلاح أمر المسلمين وارتفاع شأنهم ٠ ولا يزال القرآن باقيا محفوظا لم يتطرق اليه تزييف أو تحريف على الرغم من المحاولات الكثيرة التى أرادت أن تنال منه منذ نزوله حتى اليوم ٠

وقد نزلت آيات كثيرة فى بنى اسرائيل ، وكيف ضلوا عن سبيل الله ، بتحريف كتابهم أولا ، ومحاولة تحريف الكتب السماوية الأخرى ثانيا ٠ **أما أنهم حرفوا دينهم وزيفوه** فذلك لأنهم مالوا عن السبيل المستقيم وعن طريق الهدى والدين القويم ، الى طريق المال يعبدونه من دون الله ٠ فرفعوا بذلك قيمة المال فوق كل قيمة أخرى ٠ ولهذا السبب بكتهم الله فى قوله تعالى : « **سل بنى اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ماجاءته فان الله شديد العقاب** » (البقرة ٢١١) « **زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنو والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب** » ـ ٢١٢ البقرة وأكبر الظن أن الآية الثانية عطف على الأولى ، أى فى بنى اسرائيل الذين انساقوا وراء الحياة الدنيا وزينتها ، ولو أن بعض المفسرين يذهب الى أن المقصود كفار مكة الذين كانوا يسخرون من المؤمنين من أمثال بلال وعمار وصهيب لفقرهم ويتعالون عليهم بالمال ٠

وهذه آيات أخرى نزلت فى سورة المائدة فى اليهود وعبادتهم للمال وافسادهم فى الأرض مع علمهم بالحق ، أى أنهم هم المقصودون بأن يكونوا نموذجا لأهل النفاق ٠ قال تعالى: « **واذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بماكانوا يكتمون (٦١) ٠ وترى كثيرا منهم يسارعون فى الاثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ماكانوا يعملون (٦٢) لولا ينهاهم الربانيون والأحبارعن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ماكانوا يصنعون (٦٣) وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ٠٠٠ » (٦٤)**

وما كان يجرى منذ أربعة عشر قرنا لا يزال يجرى اليوم ، فنحن فى الوقت الحاضر نشهد انقسام العالم والصراع بين قوتيه الكبيرتين كل منهما تدعو الى السلام بلسانها ولكنها تضمر للأخرى الشر والعدوان والحرب ، ويجتمعون على موائد الصلح ومؤتمرات السلام وفى يد كل منهم خنجر يخبئه وراء ظهره ، بل ماعادوا يحفلون باخفاء النوايا العدوانية فنراهم ماضين فى التسليح والتجارب الذرية ٠ انهم ـ اذن ـ يموهون الدعوة الى السلام ، يخادعون الشعوب الصغيرة التى يريدون أن يبتلعوها فى جوفهم بالاستعمار ، وما يخدعون الا أنفسهم ٠ وقد تنبهت هذه الشعوب ، وأصبحت تقف صفا واحدا ضد الطامعين فى ثرواتها وأموالها ٠ عبادة المال اذن ، هى القيمة الكبرى التى تجتذب اليها كثيرا من الدول فتدفعها الى الكفر بعد الايمان ، والضلالة بعد الهدى ، والفساد دون الصلاح ٠ وليس المال مقصودا لذاته ، بل لأنه يحقق شهوات المرء من طعام وشراب ومسكن وزينة وأبهة وفخفخة وسلطان ٠ ولما كان كنز المال مذموما وكان الانفاق محمودا فان معظم الناس لا تجهر بنواياها فى جمع المال والجرى وراءه ، ويموهون على غيرهم حقيقة نوازعهم ، ومن أجل ذلك كانوا من المنافقين ٠

وليس من الواجب أن يكون تمويه القيمة خاصا بالدين فقط ، فقد يكون ذلك فى أى قيمة أخرى ، وبخاصة الكلام المنمق ، يتقرب به الناس من ذوى السلطان ومن الحكام ،

وهذه أعظم آفة تدخل الى الدول فتفسدها ، لأن الشعب - وبخاصة بطانة الحاكم - هو المرآة التى يرى فيها نفسه ، فلابد أن يصدقه القول .. ويصارحة بالحقيقة ولكن المنافقين الموجودين فى كل زمان ومكان يطلبون المنفعة العاجلة فيزيفون الحق ويراءون أصحاب السلطان .

كان الأخنس بن شريق منافقا حلو الكلام ، يحلف للنبى - عليه الصلاة والسلام - أنه مؤمن به محب له ، فخدع به وأخذ يدنى مجلسه ، حتى مر بزرع وحمر لبعض المسلمين فأحرق الزرع ، وعقر النوق ليلا ، سعيا الى افساد الحرث والنسل . وهوالذى نزلت فيه الآيات من سورة البقرة : « **ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام . واذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد . واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد .**

تلك حال الأخنس كيف تعلق بالكفر ومايتبعة من السعى بالفساد ، وكيف أضمر الكفر وزيفة بالنفاق الذى هو أكثر من الكفر شرا . وانظر معى بعد ذلك الى الصورة المقابلة التى صورهاالله لصهيب ، وكيف تعلق بالقيمة السامية الصحيحة وازدرى المال ومايجلبه من شهوات ، فهاجر الى المدينة حين اشتد ايذاء المشركين له ، وترك لهم ماله واشترى نفسه بالجنة . قال تعالى : « **ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد** »

يتضح مما ذكرنا أن ضعف النفوس البشرية هو الذى يحول بينها وبين التمسك بالقيم الصحيحة ، فيزيفونها ، ويتظاهرون بالتعلق بها . ولكن

ومهما تكن عند امرىء من خليقة
وان خالها تخفى على الناس تعلم

كما قال الشاعر . فهؤلاء المنافقون اذا سلكوا سلوك المؤمنين لم يبد ذلك منهم عن سجية ، ولا تخفى حالهم على العين البصيرة . انهم لن يخدعوا الله ، لأنه عليم بذات الصدور ، وسينكشف حالهم من مسلكهم لأن الخداع لن يطول أمره . وقدوصفهم الله فى سورةالنساء بالخداع ، والتذبذب ، وحكم عليهم بأنهم فى الدرك الأسفل من النار جزاء لهم . قال تعالى :

« **ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا . مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا . يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا . ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا** » .

والناس جميعا يعرفون أن الأمانة والصدق والعفة فضائل لها قيمة شريفة « وأن أضدادها من الخيانة والكذب وغير ذلك قيمتها خسيسة ، ومع هذا كله ينساقون وراء شهواتهم ويزيفون القيم الصحيحة ، يخونون ويحاولون أن يخدعوا غيرهم عن خيانتهم ، ويكذبون ويسترون كذبهم بالاختلاق والحلف الباطل .

وهذه قصة طعمة بن أبيرق الذى سرق درعا وخبأها عند يهودى ، فلما وجدت عند اليهودى ، رماه طعمة بها كذبا ، وحلف أنه ما سرقها ، وسأل قومه النبى - عليه الصلاة والسلام - أن يجادل عنه ويبرئه ، وهم النبى أن يفعل ذلك ، فنزلت الآيات من سورة النساء : « **ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا أثيما. يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا . ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا** » .

صفوة القول ان حاجة المسلمين فى الوقت الحاضر ليست فى معرفة القيم الصحيحة بمقدار ماهم فى حاجة الى الكف عن تزييفها بالباطل ، وتمويهها بالزور والبهتان ، وخداع الناس عنها بالنفاق .

الكويت الحديثة دولة عربية إسلامية مستقلة ناهضة

الدكتور عبد الحليم منتصر

هذه الكويت الجديدة ، دولة عربية اسلامية مستقلة ، درة الخليج العربى ، انها تنضو ثوب الماضى فى قوة وعنف ، معلنة عن حياة كامنة ٠٠ انها حياة حرة كريمة ، كالمعدن الأصيل النفيس ، الذى لاتخبو نفاسته أبدا ٠٠ انها نهضة عارمة شاملة ، تتناول مرافق الحياة جميعا ، وتمس مختلف المناشط ، تدفعها فى حماس شديد ، ناشدة الكمال ، لتبلغ الأوج ، مستكملة أسباب العزة ، والمنعة ، والسؤدد ، آخذة لكل أمر عدته ، مدرعة بالعلم فى كل ما تأخذ وماتدع ، لأنها تعلم عن يقين أن العلم هو الجادة المستقيمة ، لنجاح كل نهضة ، واحداث أى تقدم ٠

وكأنى بقادة هذه النهضة ، ومشعلى جذوتها كان لهم بالأمس ، عين على يومهم المشهود ، وغدهم المأمول ، فخططوا منذ ربع قرن ،لنهضة تعليمية عظيمة ، فقد كان عدد المدارس فى ذياك التاريخ اثنتين ، فاذا به يقفز الى نحو المائة والثلاثين ، وكان عدد الطلاب ستمائة فاذا به يصل الى نحو خمسين الفا ، وطبيعى أن استجابت ميزانية الدولة لهذه الوثبة البارعة فتضاعفت هى الأخرى ، فى هذه الحقبة القصيرة نحو ثلاثمائة ضعف ٠

ومن علامات النجاح أن يكون المخطط المرسوم ، واضح المعالم ، بين الأهداف ، منسق الوسائل ، محدد الغايات ، انه يتدرج من رياض ممتازة الى مدارس المرحلة الابتدائية ،

فالمتوسطة ، فالثانوية ، وانه ليشمل كذلك كلا الجنسين على سواء ، من بنين وبنات حتى ينهض الشعب كله ، لايتخلف منه أحد ، ولا يعوق نهضته أحد ، فضلا عن التعليم الديني ، والمهني ، من تجاري وصناعي ، والدراسات المسائية ، والمدارس الاهلية ، والأجنبية التي تستوعب عددا آخر من أبناء الكويتيين ، وقاطني الكويت من مختلف الجاليات .

وكان من بعد النظر ، وحصافة الرأي ، أن تمد الكويت يدها الى شقيقاتها من امارات الخليج التي تحف بها ، كالشارقة ، ودبي وعمان ، وقطر ، والبحرين ، ورأس الخيمة ، ومسقط ، وأبي ظبي ، وعجمان وغيرها ، لتأخذ بأيديها في مدارج العلم والرقي ، لأنها تعلم عن يقين ، أنها تقوى بأخواتها ، وأنها بينهم واسطة العقد ، ودرة التاج ، يتلألأ العقد كله بلألائها ، بسطوع واسطته ، وتزهو الشقيقات بشقيقتهم الكبرى ، التي أفاء الله عليها من فضله ، فتحنو على شقيقاتها ولا ترضى الا أن يحتذيها خطوا وعدوا .

وكان طبيعيا ، أن تستكمل دولة الكويت أسباب نهضتها العلمية ، وأن تتوج هذا الكفاح الطويل ، الذي يدعو الى الشرف والفخار ، تتوجه بانشاء جامعة ، تكون موردا للعلم ، يرده أبناء الكويت ، وأبناء الخليج ، وأبناء الأمة العربية في كل مكان . وليس من شك في أن انشاء جامعة ، في هذا الركن الشرقي القصي من أركان الوطن العربي ، انه مفخرة للكويت وأهلها .

فستكون هذه الجامعة كعبة ، لطلاب العلم يحجون اليها ، لينهلوا من مواردها ، ولتخرج الجامعة المتخصصين في فروع المعرفة المختلفة ،التي تلبي حاجات المجتمع العربي في الكويت وجاراتها ، تخرج المدرسين والمهندسين والأطباء والكيماويين والجيولوجيين والمؤرخين ، والجغرافيين وغير هؤلاء وأولئك من سدنة العلم وحفاظ المعرفة ، ممن يعملون على دراسة مشكلات الوطن الذي تظلهم سماؤه ، يستنبطون موارد الثروة ويستغلون مصادر الطاقة يرفعون مستوى الحياة ، ويزيدون في امكانياتها ، وييسرون أسبابها، ينشرون الوعي العلمي والصحي ، ويسهمون في الاضافة الى المعارف الانسانية وبناء الحضارة العالمية ، وبالجملة يدفعون شعب الكويت ، ليلعب دوره في المعترك العلمي العالي .

ولا مراء في أن الجامعة الجديدة ، ستراعي في انشائها هذه البيئة المحلية ، وما حباها الله به من هبات ، فهذه الصحراء المترامية ،تحتاج الى دراسة استقصائية على أسس علمية ، لاستغلال أقصى مايمكن أن يستغل من نبتها ومدرها ، وهذه مياه الخليج العربي ، ومابه من شعاب مرجانية ، ومن أصداف لؤلؤية ، ومن أحياء مختلفة تسبح في مياهه ، أو تستكن في قاعه ، ماذا عسى يمكن أن تدره مياه الخليج من ثروات سمكية أو غيرها . ثم هذا البترول أو الذهب الأسود ، كما يسمونه ، والذي تحتضنه طبقات الأرض البعيدة في الكويت ، والذي يخرج منها فائرا دفاقا ، لايحتاج الى ضخ ولا رفع ، وانما ينبثق ذاتيا ، ما ان تصل اليه يد العلم لتكشف خبيئته ، حتى تندفع ملايين أطنانه عاما بعد عام . وانه ليحتاج الى يد العلم في كل خطوة من خطوات تكسيره ، وتكريره ، وتعبئته وانه ليحتاج الى يد العلم بصورة أعمق وأدق في تصنيع مئات المواد منه، تعتبر المواد البترولية أساس صناعات هائلة من الخير أن يحذقها أهل البلاد ، بعد أن يعلموا أصولها في جامعتهم .

وثمة مشكلة موارد الماء في الكويت ، أترى يستطيع العلم ، أن يسهم في حلها ، ومشكلة التربة ، ومابها من طبقات صماء ، تؤخر نجاح الزراعة ، نظرا لتراكم الأملاح

هذه المشكلات وغيرها كثير ، ستكون في طليعة المسائل ، التي يعنى بها المختصون في الجامعة ، من علمائها وشبابها ، حين يعملون متكاتفين في البحث العلمي المنظم ، الذي يهدف الى حل مشكلات المجتمع الذي يعيشون فيه ، وتلبية حاجاته ، والعمل على رفع مستوى الحياة بين أبنائه .

على أن على الجامعة واجبات أخرى ، حيال المجتمع ، الذى تخدمه ، أن تنهض به اجتماعيا وأدبيا ، ورياضيا ، بماتبث بين الشباب من روح جامعى أصيل ، له تقاليده وآدابه ، وبما تسلط من أضواء على تاريخه المجيد ، ان فى العلم أو الادب أو الاجتماع ، حتى تعلم أمة العرب أن لها فى الحضارة تاريخا أثيلا تليدا ، فتجلو على الناس أعمال العلماء العرب ، وما أسهموا به فى بناء الحضارة الانسانية . فيقبل الشباب على تكملة البناء ، الذى وضع فيه أسلافه لبنات تدعو الى الفخر والاعتزاز ، ويزدهيه الفخر ، أن يكمل البناء حتى يعلو ويسمق ، ويهمنا نحن العرب ، ألا نتأخر عن الركب ، الذى يتدافع الآن بعد أن شطر النواة وأطلق الطاقة النووية من عقالها ، وأرسل الأقمار تكشف الفضاء ، وأطلق الصواريخ نحو الكواكب ، ان الانسان يغزو الفضاء بالعلم .

ما أعظم أن تلعب دولة الكويت الجديدة دورها فى هذا المعترك العلمى العالمى وماأجدر درة الخليج بهذه النهضة المباركة . التى نرجو لها كل تقدم وازدهار

وبعد : فهذه دولة الكويت الجديدة ، تقع فى الركن الشرقى القصى من أركان الوطن العربى ، وانها نافذة الصحراء الى الخليج العربى ، انها الدولة العربية المستقلة ، التى تقف موقف الحارس الأمين ، على مقدرات الوطن العربى ، فى هذه الرقعة المباركة من أرجائه .

تبلغ مساحتها ، نحو خمسة عشر الفا من الكيلومترات المربعة ، كما يبلغ عدد سكانها نحو ثلث المليون نسمة ، انهم قوم يعتزون بتاريخ عربى أثيل ، أفاء الله عليهم من موارد الثروة والجاه ، مازاد فى منعتهم ، وماجعلهم يستغلون هذه الموارد فى رفع مستوى الحياة بين قطان أرضهم ، ومن يستظلون بسماء بلادهم . ويزدهيهم الفخر ، أن يلعبوا دورهم فى حنكة ودربة ، وأن يتبوءوا مكانهم عن جدارة واستحقاق ، انهم يقوون جيشهم ، ليكون القلعة الحصينة التى تحمى استقلالهم ، ويسلحون أنفسهم بالعلم ، لعلمهم أنه الوسيلة الأولى والأخيرة لاحداث أى تقدم ، وأنهم بالعلم يعلون ويستعلون .

وفى الحق انهم لم يضنوا على نهضتهم العلمية بمال ، ولا بنفس ، ولا بنفيس ، ولذلك تعتبر دولة الكويت سباقة فى هذه النهضة العارمة الشاملة ، وانها لمجلية بين شقيقاتها من امارات الخليج العربى ، آخذة بيدها ، لينهضن معا ، وليكن جميعا حراس الوطن العربى فى أقصى شرقيه ، ومن حسن الحظ أن تستقل الجزائر وأن يكون المغرب العربى مستقلا ، لينتظم عقد الدول العربية المستقلة الناهضة ، لتكون جميعا قوة يهابها الشرق والغرب على السواء ، وعلى الله قصد السبيل .

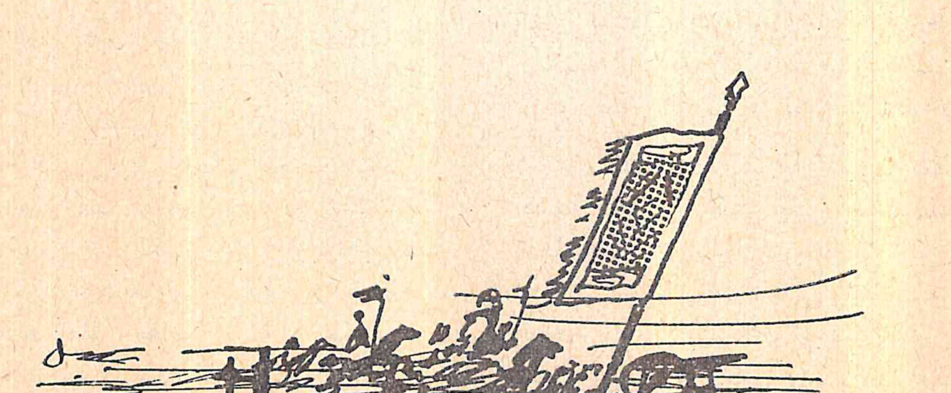

بل شجّع الإسلام الشّعر

الدكتور أحمد الحوفى

مازال يجرى على بعض الأقلام وعلى ألسنة بعض الدارسين أن الاسلام ثبط الشعر ، وغض من شأن الشعراء ، اذ وصفهم بالضلال والكذب ، ووصف أتباعهم بالغواية ، ولقد يضيفون الى هذا ماينسبونه الى صدر الاسلام من توقف الشعر وركوده ، ومن انقطاع بعض الشعراء عن قرض الشعر كلبيد •

وسيتبين من هذه اللمحات أن الاسلام لم يغض من شأن الشعر ، ولم ينه الناس عن قوله أو سماعه والتأثر به •

— ١ —

وما من شك فى أن هذا الوهم ناشىء عن فهم غير صائب للآية الكريمة : « **والشعراء يتبعهم الغاوون • ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيرا ، وانتصروا من بعد ماظلموا • وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون** » •

وأغلب الظن أن كثيرا من الذين ينسبون الى الاسلام تحريم الشعر أو الغض من شأنه يقفون من الآية الكريمة عند « يقولون مالا يفعلون » كأنما هذا الاستثناء منقطع الصلة بالآية •

والحق أن الشعراء المقصودين فى الآية القرآنية هم شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله بالهجاء ومسوه بالأذى ، وتطاولوا على الاسلام والمسلمين •

لهذا وصفهم الله - تعالى - بأنهم يخبطون فى شعاب من القول ، ويذهبون فى دعاواهم مذاهب الضلال ، ويجورون عن الحق والرشاد وسواء السبيل ، ومثلهم بمن يهيمون على وجوههم فى كل واد ، لا يدرون الوجهة الصحيحة ، ولا يستقرون على حال من القلق والاضطراب ، كعبد الله بن الزبعرى وأبى عزة الجمحى وهبيرة بن أبى وهب .

ومن شأن هؤلاء الشعراء المعادين للاسلام ألا يزعهم وازع عن الشر والبهتان وفاحش المقال ، فهم يجرحون الأعراض بالباطل ، ويمدحون أناسا بالكذب ، ويبهتون البرىء ، ويبرئون الأثيم ، ويتغزلون غزلا مكشوفا ، ولا يطرب لقولهم هذا الا الغواة والسفهاء .

أما الشعراء الذين انتصروا للاسلام ، ودافعوا عن النبى ، وردوا على شعراء المشركين كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله ابن رواحة ، فقد استثنوا من هذا الوصف ، وهم الذين قال النبى فيهم : **هؤلاء النفر أشد على قريش من نضح النبل .**

واذا كانت الآية قد فهمت أحيانا ذلك الفهم المبتور ، فان حديثا نبويا قد روى مبتورا ، ففهم على غير ما ينبغى أن يفهم .

روى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قوله : « **لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا حتى يريه - يفسد جوفه - خير له من أن يمتلىء شعرا** » .

ولكن للحديث تكملة روتها السيدة عائشة فيما استدركته على الصحابة ، وهى « شعرا هجيت به » .

واذا يتفق الحديث والآية فى تحريمهما لونا معينا من الشعر .

- ٢ -

فما هذا اللون ؟

كل ما يتصل بالصد عن الحق والخير ، وكل ما يتصل بالدعوة الى الباطل والشر ، سواء فى ذلك هجاء رسول الله وأصحابه ، والتجنى على الاسلام ، وتجريح أعراض الناس ، ورمى المحصنات الغافلات ، والتشهير بالجرائم والمنكرات والمباهاة بها وتزيين مجالس الفسق والفجور بالافتنان فى وصفها ، والدعوة اليها ، ومايشبه هذا مما ينفر منه الخلق الكريم ، وتأباه النفوس الحرائر ، ويتقزز منه المجتمع المهذب الفاضل .

ولم يكن للاسلام وهو دين الفضائل والمثل العليا أن يفعل غير ذلك ، ولو أنه أقر هذه الطائفة من الشعراء على غوايتها لتعرضت صروحه الأخلاقية الى رجات تزعزع بعض أركانها ودعائمها .

لهذا قال النبى عليه الصلاة والسلام : انما الشعر كلام ، فمن الكلام خبيث وطيب .

وقالت السيدة عائشة : الشعر فيه كلام حسن ، فخذ الحسن ، واترك القبيح .

وعلى الذين يدعون أن فى هذا حجرا على الشعر وتضييقا على الفن أن يذكروا أن الغاية السامية من الفن انما هى تحبيب الحق والخير والجمال الى النفوس ، لاقامة مجتمع راق عظيم .

وعليهم أن يتذكروا أن أفلاطون قال فى كتابه « الجمهورية » :

علينا أن نراقب شعراءنا ، فنوجب عليهم أن يطبعوا قصائدهم بطابع الخلق الحميد ، والا فليكفوا عن النظم .

وعلينا أن نوسع نطاق مراقبتنا ، فتشمل أساتذة كل فن ، فنحظر عليهم أن يطبعوا أعمالهم بطابع الوهن والفساد والخسة ، لكى لا ينشأ حكامنا فى وسط صور الرذيلة ، كما تنشأ الماشية فى مراع رديئة ، فتتسرب الأضرار الى نفوسهم فتفسدها .

وهاجم الشعراء فى كتابه « القوانين » اذ مجد هومير ، وبلل ثراه بندى الزهر والريحان ، ثم عقب على هذا بأن الشعراء والخطباء لا يصح أن يكونوا أمثلة لشباب أثينا .

وكثيرا ما أغرى بهم الحكام ليحولوا بينهم وبين افساد الشباب .

لكنه دعا الى حريتهم اذ التزموا الفضائل الخلقية ، وصانوا أخيلتهم عن الأوهام الفاسدة التى لا ظلال لها من الحقيقة .

ثم على هؤلاء الذين يزعمون أن الاسلام حجر على حرية الفنانين أن يعلموا الغاية التى قصد اليها أرسطوا من الأدب ، ففى رأيه أن الأدب قد يتعرض للرذيلة ولكن ليحاربها ، ولابد من الحيلولة بينه وبين أن يقرها أو يزينها أو يشيعها .

ولم تكن دعوة الكلاسيكيين لتختلف عن دعوة أفلاطون وأرسطوا ، فانهم قد اتجهوا بالأدب وجهة خلقية ، وحرصوا على أن يدعوا الى المثل العالية ، وأن يجتذب القراء الى الفضائل الدينية والاجتماعية . وفى مذهبهم أن أعظم الشعراء هو الذى يتجلى فى شعره امتاع القراء وتهذيبهم وتغذية عقولهم وتقويم أخلاقهم ، وأن على القصاص أن يبصروا المجتمع بمساوئه ويصلحوا عاداته . ومن الجرم أن يفتن الكاتب المسرحى فى تصوير الرذائل تصويرا يحببها الى النظار ، أو يدفعهم الى مناصرتها .

وخلاصة مذهبهم نصر الحق على الباطل ، والخير على الشر ، والعزيمة على الهوى والواجب على العاطفة .

— ٣ —

لننتقل بعد هذا الى التطبيق العملى فى الاسلام ، لنتبين تشجيعه للشعر ، بعد أن ظهر لنا أنه لا يعارض الا بعضه ..

والأمثلة على هذا الجانب العملى كثيرة ، حسبنا منها نماذج ولمحات .

فقد دعا النبى حسان بن ثابت الى هجاء قريش ، وقال له : اهجهم ، فوالله لهجاؤك أشد عليهم من وقع السهام فى غلس الظلام . اهجهم وجبريل معك ، والق أبابكر يعلمك هناتهم . وكان حسان لا يهجوهم الا بالكفر والضلال وسىء العادات والمعتقدات . وبنى لحسان منبرا فى المسجد ينشد عليه الشعر .

فلما تولى عمر بن الخطاب الخلافة مر بحسان وهو ينشد الشعر فى مسجد رسول الله ، فأنكر عليه ذلك ، فقال حسان : دعنى يا عمر ، فوالله انك لتعلم أنى كنت أنشد فى هذا المسجد من هو خير منك ، فما ينكر على ذلك فقال عمر : صدقت .

ومر الزبير بن العوام بجماعة من الصحابة ينشدهم حسان وهم غير آذنين لما يسمعون من شعره ، فقال : مالى أراكم لا تنصتون لما تسمعون من شعر حسان ؟ **لقد كان ينشد رسول الله فيحسن استماعه ، ويجزل ثوابه ولا يشتغل عنه اذا أنشده .**

وكان النبى يسمع الشعر ويتأثر به . فقد عرضت له قتيلة بنت النضر بن الحارث وهو يطوف ، فاستوقفته ، وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه ، وقد كان أمر بقتل أبيها فى غزوة بدر ، فأنشدته أبياتا منها :

ماكان ضرك لو مننت وربما
من الفتى وهو المغيظ المحنق

والنضر أقرب من قتلت وسيلة
وأحقهم ان كان عتق يعتق

فقال النبى : لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته .

وكانت السيدة عائشة كثيرة الرواية للشعر ، حتى قالوا انها كانت تروى شعر لبيد ، وتروى القصيدة ستين بيتا والقصيدة مائة بيت . وكانت معجبة بشعر حجية ابن المضرب — وهو شاعر جاهلى غير مشهور — وتحض على روايته ، **وتقول انه يعين على البر .** وقالوا ماكان ينزل بها شىء الا أنشدت فيه شعرا .

وكانت الى روايتها لبقة حصيفة فى الاستدلال بالشعر والتمثل به ، حدثت فقالت: **كان رسول الله يخصف نعله ، وكنت جالسة أغزل ، فنظرت اليه ، فجعل جبينه يعرق ، وجعل عرقه يتولد نورا ، فدهشت ، فنظر الى وقال : مالك دهشت ؟ فقلت يا رسول الله ، نظرت اليك فجعل جبينك يعرق ، وجعل عرقك يتولد نورا . ولو رآك أبوكبير الهذلى لعلم أنك أحق بشعره . فقال : ومايقول أبوكبير ياعائشة ؟ قلت :**

ومبرأ من كل غبر حيضة
وفساد مرضعة وداء مغيل

واذا نظرت الى أسرة وجهه
برقت كبرق العارض المتهلل

والحاجة .. والعدل هو حق مقدس لكل مواطن فرد فى هذه الأمة .

.. ونحن لو بسطنا أمام ناظرينا صورة المجتمع الوضاءة ، ونحن نعيش فى اطار هذه اللمحات ، التى شاءت قدرة الله ان تبعث فى نفوسنا ، بعد أن كنا فى الأموات عدادا .. لالتقت الصورة الرحبة .. مع المعانى الفسيحة التى أمر بها كتابنا المنزل .. فالدين الاسلامى الحنيف يؤكد بهذه الآية الكريمة ، وبآيات أخرى بينات حق الانسان فى الحياة الحرة العادلة ،وفى مفهومنا اليوم .. وقد آن للعدل ان تقام موازينه . وحل الانصاف محل الغبن والاستغلال، وبهذه الروح السمحة : روح الاسلام المنزل وجب علينا أن ندرك أن الثواب والعقاب فى الدين . هو فرصة متكافئة لكل انسان . ان كل انسان يبدأ حياته أمام خالقه الأعظم ، بصفحة بيضاء يخط فيها أعماله باختياره الحر ، ولا يرضى الدين بطبقية تورث عقاب الفقر ، والجهل ، والمرض ، لغالبية الناس وتحتكر ثواب الخير لقلة منهم ..!

فى حد نفسه ... وتسليم وتقديم الاعتماد على المولى والاجتناب للزواجر والامتثال للأوامر .. وأما العدل بينه وبين نفسه فمنعها مما فيه هلاكها قال تعالى « ونهى النفس عن الهوى » وعزوب الاطماع عن الاتباع ولزوم القناعة فى كل حال ومعنى .. وأما العدل بينه وبين الخلق ، فبذل النصيحة . وترك الخيانة فيما قل وكثر .. والانصاف من نفسك لهم بكل وجه. ولا يكون منك اساءة الى أحد بقول ولا فعل لا فى سر ولا فى علن .. والصبر على ما يصيبك منهم من البلوى . وأقل ذلك ، الانصاف وترك الأذى !

وفى هذه المعانى شاسع المسافات بين العدل والانصاف المرجوين .. وبين ما نحياه .. فاحتياجات الوطن لم تكن تكتفى بترميم البناء القديم المتداعى ، وصلبه بالقوائم تسنده .. وانما أصبحت احتياجات الوطن تتطلب بناء جديدا ثابت الأساس . صلبا .. صلدا ، يقوم على احساسنا ان الاشتراكية هى اقامة

شعراء المشركين قال : لا ، ليس هناك ، أى أنه لا يقوم لهم .

وكان ابن عباس يحفظ شعرا كثيرا ، ويستعين به على فهم القرآن وتفسيره ، ويقول :

اذا قرأتم شيئا من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه فى أشعار العرب، فان الشعر ديوان العرب . وكان اذا سئل عن شىء من القرآن أنشد فيه شعرا .

وجرى كثير من المفسرين على طريقته ، مثل الطبرى والزمخشرى .

وكان أبو السائب المخزومى ـ على شرفه وفضله وعلو مكانته فى الدين والعلم ـ يقول : أما والله لو كان الشعر محرما لوردنا الرحبة كل يوم مرارا .

يريد أنه لا يستطيع صبرا عن الشعر ، فيتعرض للحد مرات فى كل يوم .

وقيل لسعيد بن المسيب : ان قوما بالعراق يكرهون الشعر . فقال نسكوا نسكا أعجميا .

وأوصى مؤدب بنيه بقوله :

أدبهم برواية شعر الأعشى ، فانه ماكان أعذب بحره ، وأصلب صخره .

ـ ٤ ـ

أيحق لانسان بعد هذا أن يحكم على الاسلام حكما عاما انه حرم الشعر أو أضعفه أو حقر من شأنه ؟

وهل من الانصاف أن يذهب أحد الى أن الاسلام قيد الشعراء وضيق عليهم مجالى القول ؟

لقد استبان أن الاسلام شجع الشعراء فى عهد الرسول وبعده ، وأن الرسول نفسه وأكابر صحابته كانوا يهشون للشعر ويطربون له .

واذا كان الاسلام قد نهى عن بعض موضوعات الشعر فانه كان يتوخى من هذا الفن الرفيع أن يكون من الوسائل الى تربية الفرد وترقية الوجدان والسمو بالمجتمع واقامة صرحه على دعائم وطيدة من الحق والخير والعزة والقوة والمجد .

مجتمع للكفاية والعدل .. مجتمع العمل وتكافؤ الفرصة .. مجتمع الانتاج والخدمات .

ودينا القويم حينما يأمر بالعدل والاحسان .. فانما يرد الشيء الى أصله ، ويعود بحقوق المواطن الطبيعية الى ما فيه خير مجتمعنا وثباته وبقائه ..

وعلماء الدين على مدار الفكر ، والرأى كانوا بواعث نهضة وتراث ، الا أن الجهل الذى فرض على الأغلبية العظمى من الشعب - تحت ضغط الفقر والحاجة - عاون فى اخماد جذوة الوازع الدينى بالتحالف مع الاقطاع ورأس المال المستغل ، وهما أصحاب المصالح الحقيقية فى مجتمعنا .. وتكاتفوا فى فرض المفاهيم التى تعبر عن مصالحها وحدها ، وانتشرت شعارات الخضوع والاستسلام ، وردوا الفقر الى جبرية هى براء منها ، وأصبحت الأجيال المتعاقبة تائهة وراء سحب الشك والغموض ، وبات الاسلام محجوبا بالمسلمين ..

فكان ولابد لاقرار أوامر الله تعالى .. بما أنزل علينا .. رحمة بنا .. أن نفيق لنؤمن بما أنزل ايمانا لا يقبل الزعزعة أو التخلخل .. وأن نعود لقوله تعالى « **ان الله يأمر بالعدل والاحسان** » **فأوامره - جل شأنه - واضحة قاطعة حاسمة ، جاء العدل مسبوقا بأن الله آمر به .. والأمر هنا لايعنى الا الطاعة من المخلوق وبقدر مكنته فى تنفيذ وترسيخ العدل بقدر ما ينعم المجتمع من استقرار ورغد .**

والعدل .. فى مدلوله الحديث . تعقدت مفاهيمه ونمت وقد باتت فى مجتمعنا طائفتان أولاهما من يحرقهم الشوق الى العدل . وثانيتهما من يؤرقهم الخوف من العدل .. فكان لزاما أن تنبعث من أعماق فطرتنا المسلمة المؤمنة ثورة تنفض أنقاض الظلم لتبدأ فى تشييد ميزان وقواعد جديدة للعدل لنسف اصنام الظلم فى مواجهة الاقطاع المستبد بالأرض ومن عليها . وفى مواجهة تسخير موارد الثروة لخدمة مصالح مجموعة من الرأسماليين .. وفى مواجهة الاستبداد بصورته البغيضة حيث يستحيل اقرار شريعة الله - تعالى - الا بالثورة الاقتصادية والاجتماعية ..

فأمر الله تعالى بالعدل والاحسان .. لا ولن يتأتى - وقد طغت أقلية ميسر لها على أكثرية ساحقة محرومة - الا بأن يهب من يفرض التكافل بين الناس . لا فرق بين زيد أو عمرو . الكل سواسية . « **يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . ان أكرمكم عند الله أتقاكم** » .

وهذا نداء صلاح وحسم .. لكل مؤمن مسلم بأن مبدأ المساواة .. خالق للقيم . ومشيد لتقويم العلاقات وباعث للمثل .. حتى الخلق نفسه رده الله الأحد الى نفس واحدة .. وتهدف مثل هذه الآيات الى وضع وارساء القواعد الثابتة لاقامة روح العدل ، ونحن بكثير من التمعن ، وملاحقة نزول آيات الكتاب البينات نجد أن القرآن أخذ رويدا رويدا فى تبصير وتوعية العرب تارة بالحسنى وتارة بالوعيد وتارة بالمنطق والاقناع والعلم والمعرفة .. حتى ذابت الفوارق الدينية والعنصرية واصبح الوازع النفسى فى المجتمع العربى هو السائد الحاكم فى تصرفات الفرد فى السر والعلانية ، وأصبح المجتمع كتلة واحدة متراصة .. همها طاعة الله .. ودأبها احياء كلمته ورائدها صلة الرحم .. فسادوا الدنيا وانتشر الاسلام بنوره . فيضا وعزة وكرامة .

بينما ونحن فى مجتمع ما قبل الثورة .. وقد بعدنا عن كتاب الله - تبارك وتعالى - .. قد عمنا الضياع وانقلبت الموازين ، وعلماء الدين فى كل شاردة وواردة واقفون للضلالة بالمرصاد ولكن دون جدوى . والمجتمع أحلك من أن تضيئه شموع العلم والمعرفة .. ولم يبق الا أن نرفع أيدينا الى خالقنا طالبين منه الرحمة والرضا .. فكانت الثورة وجاء معها نور العدل ، وعزة الكفاية ، ونادى الميثاق الوطنى فى بابه الثانى .. بضرورة تسليح الأمة بقدرات ثلاث :

١ - الوعى القائم على الاقتناع العلمى النابع من الايمان والفكر المستنير .

٢ ـ الحركة السريعة الطليقة الملتزمة بالمثل الاخلاقية .

٣ ـ الوضوح فى رؤية الأهداف التى تبلورت فى حرية الوطن والمواطن . . واشتراكية العمل والكفاية . وحينما ينادى الميثاق بذلك . . فانما يعلن التقاءه بكتاب الله وشرائعه . . حيث وجب تحرير الفرد من كل مظاهر الاستكانة والضعف لينطلق الى العمل البناء بما فيه تكافل المجتمع تكافلا اقتصاديا واجتماعيا . . !

وفى راينا ورأى كل مدقق ان الميثاق سار على درب اشتراكى استوحى ما فيه من حريات وتنظيم اقتصادى وسياسى واجتماعى من هدى كتابنا الكريم . واسلامنا الحنيف الذى يقوم فى عزة أبدية على الايمان بالله ورسله وكتبه «باب واحد من الميثاق» وعلى العبادات والأخلاق والمعاملات وقد سار فيها الميثاق جميعا أبعد شوط . وعالج جوهرها علاج الواعى الفاهم ليخلق الفرد خلقا . ويعيده الى حظيرة ضميره الانسانى وفطرته المسلمة المتفتحة . فتصبح النفس مركزا لاستقبال دنياها ودينها على أسس سليمة تنعكس على سائر حياته وأفعاله فان عمل لربه أخلص وتفانى . وان عمل لدنياه أبدع وعبد الله من خلال عرقه وعمله ، فالله يحب الفرد اذا عمل عملا أن يتقنه . . وتصبح الطاعة لا خوفا من العقاب . وانما رغبة فى الاسهام لاعلاء كلمة الاسلام .

هذا هو الميثاق . . ملتقيا مع شعائر العدل . . يتوغل فى جذور المشكلة ليقلب التربة الى السطح . . حتى ترى نور الشمس . . وتصبح قادرة على نتاج بذرة صالحة تشد المجتمع الى دينه . . ودنياه . .

وقوله تعالى « **وايتاء ذى القربى** » . . أى القرابة ، يقول يعطيهم المال . . كما قال : « **وآت ذا القربى حقه** » يعنى صلته . . وهذا من باب عطف المندوب على الواجب . . وقد خص ذا القربى لأن حقوقهم أوكد . . وصلتهم أوجب ، لتأكيد حق الرحم التى اشتق الله ـ تبارك وتعالى ـ اسمها من اسمه وجعل صلتها من صلته . . وقد جاء فى صحيح مسلم « **اما ترضين أن أصل من وصلك . واقطع من قطعك** » ولاسيما اذا كانوا فقراء .

وهذه اللفتة الكريمة من القرآن انما تحوى أمورا كفائية تخفف أعباء كبرى عن الدولة والحكومة فهى اذ تحقق فروضا كفائية . على وجه يرغبه الدين الحنيف فانما ترد العلاقات الاجتماعية الى تكامل كريم ، يربط بين حلقات الأرحام مما ينشط جهد الدولة الى ينابيع التنمية والرغد . وقوله تعالى « **وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى** »

فالفحشاء هو كل قبيح ! من قول أو فعل . . ويقول ابن عباس هو الزنى . . والمنكر هو كل ما أنكره الشرع من نهى عنه وهو يعم جميع المعاصى والرذائل والدناءات على اختلاف انواعها . .

والمجتمع اذا استقام أمره بوحى من شريعة الله وكتابه وسنة رسوله . . ظهرت جوانبه من جذور الشر والفساد .

ويجىء فى الميثاق الباب السابع « **ان رسالات السماء كلها فى جوهرها كانت ثورات انسانية استهدفت شرف الانسان وسعادته . وأن واجب المفكرين الدينيين الأكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته** »

فكأن الميثاق جمع فأوعى . ورفع شعارا ، هو احياء جذوة جوهر الرسالة . . وتراث الاسلام الخالد . . ولا بد لكل قارىء منا . . يعيش فى كلمات الميثاق ومعانيه . . ان يجد تطابقا صادقا بين وحى السماء والهامها ووحى التجربة السابقة . ويكفينا أن الله تبارك تعالى قد جعل فى الأرض خليفة يسبح بحمده ويعبده وأنزله منزل صدق ليعلى شأنه . وقد جاء ميثاقنا ليرفع الانسان من كبوته وليعيد له حريته . . وحقه ، وأحلامه فى العدل والتكافل والبقاء . .

ولنا عودة .

اليزيديون عبدة الشيطان

الأستاذ محمد سلام مدكور

عرضنا فى المقال السابق التعريف بـ « اليزيديون » وأصلهم ، وأساس نسبتهم ، وأئمتهم ، كما تكلمنا عن عقيدتهم ، وسنتناول هنا الكلام عن كتبهم المقدسة ، ومبادئهم وحياتهم الاجتماعية .

ثم نبين العظات والعبر التى ينبغى ان نأخذها من عرض هذا المقال .

كتبهم المقدسة :

لدى اليزيدية كتابان مقدسان أحدهما ويسمى « الجلوة » وينسبونه الى الشيخ عدى بن مسافر ، والثانى « مصحف رش » وينسبونه الى الشيخ حسن ، ولا يعرف على وجه التحقيق مصدر هذين الكتابين ولا التاريخ الذى وضعا فيه . وينسب بعض المؤرخين هذين الكتابين الى صنع العراقيين وأنهما وضعا لتضليل اليزيديين ويرى آخرون أنهما من وضع اليزيديين أنفسهم أرادوا بهما كيد المسلمين والتخلص من بغضهم لهم .

ما تضمنه هذان الكتابان :

أما كتاب الجلوة فهو يتضمن ما خاطب به البارى عباده اليزيديين كما يتضمن صفاته تعالى وذكر القول بتناسخ الأرواح ، **وأما الثانى** فقد تناول ذكر خلق السموات والأرض والملائكة وآدم وحواء وارسال الشيخ عدى من الشام اليهم ، وانزال معبودهم طاووس ملك « الشيطان » الى الارض واقامته ملوكا لليزيديين ومقاومة أصحاب الأديان السماوية والعجم لهم ، وأن كافة الطوائف البشرية من نسل آدم وحواء ، وأن اليزيديين من نسل آدم فقط على ما بينا .

هذا وان السرية التى أحيطت بها هذه العقيدة ومصادرها والايصاء بتكتمها جعلت الكثير من أمورها محل خلاف وموضع تشكك وتردد بين الكتاب . وقد ذكر بعض المؤلفين عن اليزيديين أن أول ترجمة لهذين الكتابين كانت سنة ١٨٩٥ الى اللغة الانكليزية بواسطة المستر « براون » ، وقد نشرها بالعربية الأستاذ عيسى يوسف سنة ١٩٠٩ فى المجلة الأمريكية للغات والآداب السامية : وهكذا تتابع نشر وترجمة هذين الكتابين . ويقول السيد عبد الرزاق الحسينى فى كتابه « اليزيديون فى حاضرهم وماضيهم » ان ما نشره الأستاذ عيسى يوسف بالعربية عن هذين الكتابين هو الأكثر انطباقا على عقيدة اليزيديين فى الوقت الحاضر ، على أن هناك من يرى ان أحد الشماسين من المسيحيين هو الذى ألفها وجمع فيها عقائد اليزيديين .

غير انه حدث فى فبراير سنة ١٨٧٢ أن دعاهم والى بغداد للجندية فكتبوا اليه عريضة ليتخلصوا من التجنيد ذكروا فيها أسباب ذلك وقد نقل هذه العريضة السيد عبد الرزاق الحسينى فى كتابه المشار اليه آنفا ، وهى فى الواقع تلقى ضوءا على ما نقلناه عنهم من عقائدهم وخلاصة ما جاء فيها : **ان من لم يزر شكل طاووس ملك ((الشيطان)) ثلاث مرات فى السنة ، ومن لم يزر قبر الشيخ عدى مرة فى السنة ، ومن لم يذهب فى وقت طلوع الشمس الى موضع الشروق بشرط عدم وجود أحد من أتباع الأديان السماوية ، أنه يكون كافرا ، كما أن كل من لم يقبل يد شيخه فى كل صباح مرة يعد كافرا ، كما أن من عقيدتهم كما جاء فى العريضة أنهم اذا سمعوا مسلما يستعيذ بالله من ... أى شيطان وجب عليهم ان لم يستطيعوا قتله أن ينتحروا والا اعتبروا مارقين من الملة . والصيام لا يجوز عندهم الا فى مكان معين ، والنية**

لا تصح الا بالذهاب لبيت الشيخ ، وكذلك فان الافطار لا يصح الا على الخمر المقدس وفى بيت الشيخ والا بطل صومه وأصبح كافرا ، واذا غاب الزوج عن زوجته سنة فقد حرمت عليه زوجته بل ويحرم عليه الزواج أبدا .

عباداتهم :

وأما عباداتهم فهى عبارة عن مجموعة طقوس مقتبسة من أديان وعقائد مختلفة : فهم يسجدون للشمس والقمر كما يسجد الصابئة، ويحرمون من المأكولات ما يحرمه الاسرائيليون، ويترنمون فى بعض طقوسهم بالترانيم الموسيقية أشبه بما يتبع فى بعض الحفلات الدينية المسيحية ، ولهم بعض شعائر يقلدون بها بعض العبادات الاسلامية كالصلاة والصوم والحج والزكاة بشكل خاص بهم .

فالصلاة لديهم عبارة عن اتجاه عند شروق الشمس الى مطلعها ، وعند غروبها فى مغيبها بلثم الأرض ويعفر وجهه بالتراب ويدعو دعاء خاصا بلغة هى مزيج من الفارسية والكردية والعربية .

والصوم عندهم نوعان : صوم العامة ويسمى بصوم يزيد ويقع فى أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس من شهر ديسمبر أى أقصر أيام السنة ، أما صوم الخاصة فعبارة عن ثمانين يوما يصوم رجل الدين نصفها فى العشرين من شهر ديسمبر ، والنصف الثانى فى العشرين من شهر يوليو اطول أيام السنة ، ومن عقيدتهم فى صوم الخاصة أن الصائم اذا بات وفى نيته الصوم وقدم اليه أحد فى الصباح طعاما فأكله أصبح فى حل من هذه الفريضة واتمامها والتزم الصائم بأن يتناول وقت الافطار قطعة من الخبز مغموسة بالملح ، أو ان يسف قليلا من تراب مرقد الشيخ عدى

وأما الحج فالى مرقد الشيخ عدى اذ هو كعبتهم يهرعون اليه فى موسم الحج الذى يبتدىء من ٢٣ سبتمبر ومن لم يزره فهو كافر عندهم كبيرا كان أم صغيرا .

وأما الزكاة فتسمى عندهم بالرسوم وهى فى مجموعها عبارة عن ٢٠ ٪ من الدخل العام للأتباع والمريدين توزع على رؤسائهم الروحانيين بنسب مختلفة .

حياتهم الاجتماعية :

زواجهم : يرى اليزيديون أن الزواج لايكون الا بعد خطبة مباشرة بين الزوجين عن تراض منهما ولذا فانهم يبيحون فى مواسم الزيارة فى أعيادهم المغازلات الغرامية ومختلف أنواع المجون على أن لا تؤدى الى المواقعة أو الاختلاط بغير اليزيديين ، ثم يكاشف الولد والده والبنت أمها بما اتفقا عليه دون أن يكون للوالدين حق الاعتراض فان اعترض أحد الأولياء جاز للفتى أن يخطف الفتاة ويهرب بها ليتزوجها زواجا شرعيا حسب ملتهم .

ومن أهم اركان الزواج لدى اليزيديين المهر ويشترط فيه أن يكون قطعا من النقود الفضية وبعض الماشية ، ويباح تعدد الزوجات عندهم الا انهم لا يجيزون الجمع بين أكثر من زوجة بدون رضى الأولى ، ولا يجوز للزوج أن يتزوج بأخرى اذا رزق بأولاد من أولى نسائه ، ويمنعون الزواج من زوجة الاخ أو العم بعد موتهما وكذلك من أخت الزوجة بعد طلاقها أو موتها ، وتنقطع علاقة البنت بأبيها اذا تزوجت فلا ترثه لأن الزواج فى نظرهم بيع ، ولا يجوز لأبناء الشيوخ أن يتزوجوا من غير بنات الشيوخ ، كما لا يجوز لأبناء العامة الزواج من بنات الشيوخ ، ولا يجوز زواج اليزيدى بأجنبية ولا العكس كى لا يختلط الدم ويضيع النسب وهذا مما سبب تناقص عددهم واحتمال انقراض عددهم بعد حين .

طلاقهم : للرجل أن يطلق زوجته كما للزوجة أن تطالب الطلاق اذا هجرها زوجها اربعين يوما على أن تسقط حقها فى كل ما لها فى بيت الزوجية ، ولها أن تتزوج غيره ولا عدة عليها.

عاداتهم : ومن عاداتهم أن يختنون أطفالهم ويعمدونهم بتغطيسهم فى ماء عين تقع بالقرب من مرقد الشيخ عدى عندما يبلغ الطفل أسبوعا من عمره ، ولا يجيزون لأنفسهم دخول مساجد المسلمين ولا مدارسهم الدينية ، ولا أن يروا مسلما وهو يؤدى صلاته لأن من عقائدهم استباحة دم من يستعيذ بالله من الشيطان وان لم يستطع ذلك انتحر فان لم ير سبيلا الى ذلك صام أسبوعا وقدم ضحية للطاووس ملك « الشيطان » ، ولا يجوز النطق

بكلمة لعن أو شيطان أو ما يشتق منهما ويحرمون على الفقراء النوم على الأسرة كما يحرمون على الرضيع أن يرضع عند غير اليزيديين .

وبعد فهذه صورة مجملة عن تاريخ طائفة فاسدة العقيدة قد ألم بها الشذوذ الماما بينا ، وأوغلت فيها الفوضى ايغالا واضحا فى عقائدها وأخلاقها ومجتمعها وقد أردنا أن نعرضها على قراء مجلة«منبر الاسلام» لا تزجية للوقت ولا سلوى باضاعة طائفة من الزمن دون جدوى ولكن فيها العبرة كل العبرة التى تزيد المسلم ايمانا بدينه الموحد اعتدادا بعقيدته ، والمتبع سبيل المسلمين تقديرا لما يتبعه واعتدادا بدينه الذى لا يزيده البحث والنظر فيه الا هدى وايمانا لما يشتمل عليه من موافقة المنطق السليم ومسايرة العقل المستقيم ومعالجة كل حالات الأمم والمجتمعات مهما سار ركب المدنية أو تأخر الزمن بالانسانية فان من نظر فى مثل هذه العقائد التافهة والأوضاع الفاسدة تبين له أنها خرافات من أوضاع البشر التى يعتورها الفساد ويلحقها الخلل والاضطراب، فأما الدين الصحيح فهو منطق واحد لا يتغير ولا يتبدل وتوجيه صالح كلما طبقه البشر تطبيقا صحيحا ظهر لهم ما فيه من الصلاحية والسعادة .

وفى مثل هذه القصة من العبرة ما يدل على ان الايغال فى المتابعة وعدم التصرف فى الانقياد للبشر من الرؤساء الروحيين وشيوخ الطرق الصوفية ما يدعو الى الفتنة ويوقع فى الشر والضلال والانحراف وصدق الله اذ يقول : **« اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ... »** وما أكثر الشبه لهؤلاء الناس فيما بين أيدينا وما خلفنا من العامة والدهماء من اتباع الطرق الصوفية، فكثيرا ما يكون المتبعون من الصالحين الذين يسيرون على الجادة فيجنى أتباعهم لجهلهم بالدين فيعظمون أشياخهم ويطرونهم اطراء لا يأذن به الله ولا رسوله ، ولقد حدث النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن هذه الأمة فقال : **لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه .**

ويشبه هذا الاتباع ـ مع الفارق الواضح ـ ما سلكه كثير من متبعى المذاهب الفقهية من التعصب لمذاهبهم والجمود عليها جمودا يطغى على حقائق الدين المبينة فى مصادر التشريع ويأبى أحيانا على المنتسبين اليه ان يتصرفوا تصرفا يبين أحقية الاسلام وهو الصالح لكل زمان ومكان فيدعون الناس يلتجئون الى بعض قوانين من وضع البشر ، ولو أنهم تصرفوا فى اتباعهم لأئمتهم وجعلوا كأئمتهم أنفسهم المصدر الأساسى الكتاب والسنة مع رعاية الأسس والدعائم التى قام عليها التشريع ومسايرة مصالح الناس لكان فى التشريع الاسلامى فى العالم كله غنية أى غنية .

واقد صدقت فراسة الأئمة حين كانوا يحذرون أتباعهم من ذلك التقليد الأعمى والجمود الممقوت خيفة الانحراف فى التغالى أو الجناية على الاسلام بتضييق دائرته التى تنفر كثيرا من الجاهلين به عن التزام جادته كما يتمثل ذلك فيما يروى عنهم جميعا من أن القول اذا تعارض مع نص من نصوص الاسلام يجب الأخذ بالنص والضرب بكلام المجتهد عرض الحائط مع ما ينقل عن الكثير منهم من قولهم **« لا تأخذوا برأيى حتى تنظروا فى دليله »** .

فما فى هذه القصة وأشباهها من الجناية على عقائد الناس وأساليب سيرهم فى الحياة ما هو الا أثر سىء من آثار التفانى فى الشيوخ ووضعهم فى غير موضعهم الصحيح سيرا وراء الخيال مما لا يرضى الشيوخ أنفسهم ولايتفق مع ما وهبه الله من صلاح ، بل انهم يخرجون أتباعهم ومريديهم عن الاهداف التى أرادوها لهم والقواعد التى قعدوها فى توجيههم وتهذيبهم ، وقد رأيت فى مذهب اليزيديين أنه مبنى على توهم فاسد فى قاعدة وضعها شيخهم للاحتياط والتستر حفاظا على من ينبغى الحفاظ عليه من المسلمين كيزيد بن معاوية فاتخذوها دينا وشعارا لهم مبالغين فى تحقيقها مبالغة أوقعتهم فى الاشراك بالله والضلال الذى تنبو عنه فطرتهم نفسها فيشعرون بأنهم فى حياء يلجئهم الى اخفاء معتقدهم والانصراف عن التعلم .

نسأل الله أن يعصمنا واياكم من الفتن وأن يجنبنا العثار والذلل فى القول والعمل وأن يهدينا واياكم سواء السبيل .

الإسلام وتعدد الزوجات

الأستاذ محمد زكريا البرديسي

تعدد الزوجات تشريع تقتضيه الطبيعة البشرية ، وتحفز اليه الغريزة الانسانية ، وتدفع بنا نحوه مقتضيات الصالح العام ، والعناية بالمجتمع وتخليصه من الافك وآثاره والرجس وأضراره ، فللطبيعة البشرية نداء لا بد من اجابته ونزوع لا محيص من مراعاته، وكل شىء يعترض سبيلها لا مفر من أن تتغلب عليه ، بل أن وضع العراقيل والحواجز أمامها يطغى من حدتها ويجعلها عنيفة ثائرة بعد أن تكون هادئة فاترة ، وما أشبهها بالماء فهو يجرى هادئا وادعا حتى اذا ما اعترضته الجنادل والصخور ، انقلب هدوءه عنفا وتحولت وداعته صخبا وحنقا ، وأتى على الصخور ففتتها وعلى الجنادل فقوضها وتغلب عليها ، فاذا لم يشرع لهذه الطبيعة مايلائمها ولت وجهها شطر الممنوع وضلت سواء السبيل ، **من أجل ذلك غصت أغلب الشرائع السماوية التى سبقت الاسلام بمشروعية تعدد الزوجات فقد نادى بهذا المبدأ وطبقه « ابراهيم ويعقوب وداود وسليمان وغيرهم من الأنبياء والمرسلين » فلم يبتكره الاسلام ولم يبتدعه** ، بل كان منتشرا فى ربوع الدنيا قبل أن ينبثق فجر الشريعة المحمدية فان التاريخ يحدثنا بالعمل به فى بابل وفارس كما يحدثنا بكثرته الكاثرة عند الآثنيين والعبرانيين والعرب والاوربيين ولم تقلع عنه أوربا الا بعد دخول اليونان مصر **فمن ثم نادى بعض الأوربيين بوحدة الزوجة كما نادى بذلك رجال الدين من اليهود والمسيحيين لأجل القدرة على الانفاق لا لأن التعدد محرم وممقوت فى الشريعتين .**

فمبدأ التعدد كان معمولا به فى غالب بلاد الشرق والغرب . لهذا اقتضت حكمة الاسلام أن يقر هذا النظام استصحابا للتقاليد الموروثة اذ هدم هذه التقاليد او هدم بعضها قد يصيب النظام الجديد بهزة عنيفة قد تقضى على أسسه وتأتى على قواعده . غاية ما فى الأمر رأى الاسلام أن ابقاء تعدد الزوجات على الوجه الذى وجده عليه يحتاج الى تهذيب عظيم وتشذيب كثير فأعمل معوله فى هدم ما يتنافى وصالح الناس من الرجال والنساء وقصر اباحة تعدد الزوجات على أربع يرشد الى ذلك قوله ــ تعالى ــ فى سورة النساء : **« وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم »** .

فللرجل الذى لا تحصنه المرأة الواحدة ولا يمكنه أن يعف بها أن يتزوج من النساء بقدر ما تندفع به حاجته فى حدود أربع نسوة ولا يزيد على ذلك لأن الدافع حينئذ لم يكن التحصين او العفة وانما الانتقال من ذوق الى ذوق ، وهذا تأباه الشريعة ويمقته الدين ، قال الامام الغزالى : **« ومن الطباع ما تغلب عليه الشهوة بحيث لا تحصنه المرأة الواحدة فيستحب له الزيادة عن الواحدة الى الأربع »** ثم قال : **« ومهما كان الباعث معلوما فينبغى أن يكون العلاج بقدر العلة فالمراد تسكين النفس فلينظر اليه فى الكثرة والقلة »** .

ولا اعتبار لما يقوله بعض العلماء من أنه يباح للرجل بمقتضى هذه الآية تسع زوجات أو ضعف هذا العدد بناء على أن الواو لمطلق الجمع وذلك لأن هذه الآية نظير قوله ــ تعالى ــ

« الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع » فكما أن معنى آية الملائكة ــ أن فريقا منهم ذو جناحين وفريقا ذو ثلاثة وفريقا ذو أربعة اذ لم يرد أن لكل تسعة أو ثمانية عشر جناحا ــ يكون معنى آية التعدد ــ أن فريقا من الناس لا تندفع حاجته الا بزوجتين فيباح له التزوج باثنتين وفريقا منهم لا تندفع حاجته الا بثلاث فيباح له التزوج بثلاث وفريقا لا تندفع حاجته الا بأربع فيباح له التزوج بأربع ــ اذ لا فارق بين الآيتين فى الأسلوب والتعبير .

ويؤيد ما ذكرناه من الاقتصار على اربع زوجات دون زيادة عليهن **ما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ قال لغيلان الثقفى حين أسلم وعنده عشر نسوة أسلمن معه « أمسك منهن أربعا وفارق سائرهن » وما روى أن نوفل بن معاوية أسلم وعنده خمس نسوة فقال له ــ صلى الله عليه وسلم ــ « أمسك منهن أربعا وفارق الأخرى »** .

فهذان الحديثان يبينان صراحة أن منتهى العدد المباح للرجل فى النص القرآنى أربع زوجات فلو كانت الزيادة على الأربع حلالا لما أمر الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالاقتصار عليهن ومفارقة ما زاد .

وهكذا نرى الاسلام يحد من غلواء التعدد الذى لم يكن مقيدا بعدد مراعاة للصالح العام ولم يترك الحبل بعد ذلك على الغارب بل قيد هذا التعدد المحدد بأربع بقيدين :

أولهما : أمن العدل المستطاع بين الزوجات

ثانيهما : القدرة على الانفاق

أما القيد الأول فقد تكفل ببيانه مجموع قوله ــ تعالى ــ **« فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم » « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة** .

فهاتان الآيتان صريحتان فى أن المرء يباح له التعدد بقدر حاجته فى الحدود التى رسمها الله والتى ذكرها فى صدر الآية الأولى متى أمن العدل المستطاع فان خاف الجور عند التعدد اقتصر على زوجة واحدة ــ فليس المراد بالعدل المذكور فى الآية الأولى العدل المطلق كما يفهم بعض الناس اعتمادا على قوله تعالى ــ : **« ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم »** .

وبذلك لا يباح التعدد لأن العدل المطلق تكليف بما ليس فى الوسع ولا يكلف الله نفسا الا وسعها بل المراد به العدل المستطاع بدليل قوله ــ تعالى ــ : **فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة** » وكأن الله ــ تعالى ــ يقول لا تظنوا يا عبادى أن العدل الذى قيدت اباحة التعدد به هو العدل المطلق فهذا غير ميسور لكم **« ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم »** وانما القيد فى الاباحة هو العدل المستطاع فلا تميلوا الى احدى الزوجات كل الميل فتذروا الاخرى كالمعلقة لا هى زوجة ولا مطلقة .

أما القيد الثانى فاما أن نقول قد تكفلت ببيانه السنة والقواعد المعلومة من الدين بالضرورة قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : **« يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج »** ومعنى ذلك من قدر على النكاح ومؤنه فليتزوج .

واما ان نقول يرشد الى هذا القيد قوله ــ تعالى ــ : **« ذلك أدنى ألا تعولوا »** فقد فسر الشافعى ألا تعولوا بألا تكثر عيالكم ويؤيده فيما ذهب اليه أن العرب تقول عال يعول وأعال يعيل أى كثر عياله وأن طلحة قرأ **« ذلك أدنى ألا تعيلوا »** وبذلك يكون المعنى يباح التعدد اذا لم يكن فيه مظنة الاكثار من العيال فى الوقت الذى لا يوجد عند الرجل من أسباب الرزق ما يستطيع معه الانفاق عليهم وسد حاجتهم والقيام بواجبهم .

وبناء على تفسير الشافعى يتضح لنا أن القرآن الكريم يقيد التعدد فى حدود الأربع بأمن العدل المستطاع وأمن كثرة العيال من غير قدرة على القيام بالواجب نحوهم ولكن هذان القيدان لا يترتب على عدمهما أو عدم أحدهما فساد عقد الزواج فقد اتفق المسلمون من لدن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الى يومنا هذا على عدم فساد العقد اذا خلا من هذين القيدين أو أحدهما لأن فساد العقود وصحتها يناط بأمور واقعة لا متوقعة ولو حكمنا بفساد العقد لخوف الظلم أو

لخوف العيال لحكمنا بفساد العقد لأمر متوقع قد يقع وقد لا يقع فمن تزوج وهو يخاف الظلم ربما تصفو نفسه ولا يظلم ومن انشأ الزواج الثانى وفى نيته أن يجور ولا يعدل بين زوجته الأولى والثانية ربما ثاب الى رشده وعدل .

هذا موقف الشريعة الاسلامية من تعدد الزوجات وهو موقف وسط لم تنضم فيه مع المطلقين للتعدد ولم تذهب مذهب المانعين له بل شقت لها بين هؤلاء وهؤلاء طريقا لا افراط فيه ولا تفريط جاعلة نصب عينيها الصالح العام للناس أجمعين ولذلك فانى أعجب كل العجب من اولئك الذين يرفعون أصواتهم عالية مدوية وينادون بالحد من التعدد المرسوم شرعا وتضييق دائرته وفرض قيود أخرى فوق القيود التى ذكرها القرآن وهؤلاء ان تحققت رغباتهم واجيبوا الى طلباتهم كان ذلك مصادمة للنص الشرعى الحكيم لأن الله — تعالى — قد اقتصر فى مقام البيان على القيدين المذكورين آنفا والاقتصار فى مقام البيان كما يقرر علماء الأصول يفيد الحصر فلا يجوز تقييد اباحة التعدد باذن القاضى أو بمرض الزوجة الأولى أو عقمها لأن ذلك تفويت لمعنى الحصر وزيادة على النص والزيادة على النص نسخ فى المعنى .

على أنه لا يصح أن يقال ان زيادة قيود أخرى على القيود المذكورة أمر جائز من ولى الأمر لأن له سلطة تقييد المباح فقد كان أكل اللحوم المشروعة مباحا فى جميع الأيام ثم جاء عمر — رضى الله عنه — ومنع الأكل من اللحوم يومين متتاليين وذلك لأن تقييد أكل اللحوم يترتب عليه مصلحة عامة وهى سهولة تداول اللحم بين جميع الناس أما تقييد اباحة التعدد بما يفوق القيدين المنصوص عليهما يترتب عليه اشاعة الفاحشة بين الناس وهذا ضرر عام يجب ان يزال ولو بارتكاب ضرر خاص .

حقا ان الاقتصار على المرأة الواحدة هو الزواج الأمثل بيد أنه لا يكتفى به الا الرجل الأمثل الذى يستطيع أن يكبح جماح نفسه وأن يسيطر بعقله على هواه فأمثل صور الزواج لا تكون الا لأمثل صور الرجال أما غيرهم — والرجال جميعا ليسوا سواء — كيف يعفون بالواحدة فاذا أغلقنا باب التعدد الشرعى أو ضيقنا من دائرته اقتحم الرجال الذين لا يستطيعون السيطرة على أنفسهم أبواب الفسق والفجور فهتكوا الأعراض وملأوا الشوارع بالأولاد المشردين الذين لا آباء لهم ولا عائل يعولهم وفى هذا ما فيه من البلاء والشر المستطير .

ولا أدل على هذه النتيجة الحتمية **مما حدث فى أوروبا حين منعت تعدد الزوجات فى عهد شرلمان فقد كان أثر هذا المنع أن أصبح التعدد بالرباط الشرعى المقدس محظورا بينما أمسى التعدد بالمخادنة والمصادقة مباحا وميسورا ونتج عن نظام المحظيات والخليلات فى ذلك الوقت كثرة كاثرة من الأولاد غير الشرعيين الذين ظلوا مصدر العبث والفساد ومكمن الداء وأس البلاء والى هذا يشير جوستاف ليون فيقول : « ان تعدد الزوجات المشروع عند الشرقيين أحسن من تعدد الزوجات الريائى عند الاوروبيين وما يتبعه من مواكب أولاد غير شرعيين »** .

والحق أحق أن يتبع أن التعدد بحدوده وقيوده الشرعيين أمر لا مفر منه ولا محيص عنه فهب قيام حرب طاحنة قضت على الأخضر واليابس والتهمت بنيرانها غالب صغارنا وكبارنا هل يمكن أن نعيد الحياة الى سيرتها الأولى ان أغلقنا باب تعدد الزوجات ؟ أكبر الظن عندى أننا ان عمدنا الى ذلك وباب التعدد موصد لا بد أن نبوء بخفى حنين ولهذا نرى الأجانب الذين كانوا ينادون بمنع تعدد الزوجات يرسلون صرخاتهم المتوالية باباحة هذا التعدد بعد حرب الثلاثين **فقد قرر مجلس لورمبرج عقب هذه الحرب سنة ١٦٥٠ « أن للرجل الحق فى أن يتزوج بأكثر من واحدة »** وهذا هو العالم الفاضل (تومس) **يقول : (ان اباحة التزوج بأكثر من واحدة هو الدواء الشافى فبهذا يزول البلاء وتصبح بناتنا ربات بيوت فالبلاء كل البلاء فى اجبار الرجل الأوروبى على الاكتفاء بامرأة واحدة فهذا التحديد هو الذى جعل بناتنا شوارد ولا بد من تفاقم الشر اذا لم يبح للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة وباباحة تعدد الزوجات تصبح كل امرأة ربة بيت وأما لأولاد شرعيين**

مدبّر الكائنات

الأستاذ محمود ابو الفيض المنوفى

ان من نظر ـ وقد خلصت بصيرته من الجمود العلمى وأغاليط الحواس ـ لنظام الأفلاك وترتيب الكواكب الثابتة والمتحركة وهى تنبعث فى مداراتها المحكمة من مبدئها الى غاياتها وفكر فى التجاذب المتبادل بينها والقدرة الحافظة لهاوالتى تقودها بنظام دقيق يخبر عن قصد حكيم وتدبير رشيد يهدف الى أغراض بعيدة ومقاصد سامية فى عمارية الكون وتنظيمه وامداده بالقوى المختلفة لتحريكه وبقائه وتزويده بسائر منافعه ثم أعاد البصر الى العالم الأرضى وتأمل فى مواليده وأجناسه وأنواعه فرأى الجماد وطبقاته والحيوان وفصائله والانسان وعقله وارادته واختياره وحسن تدبيره ثم أنعم النظر فى ما حوله من القوى الباهرة كالكهرباء والمغناطيس والضوء والحركة والحرارة وسائر القوى النووية والقوانين والنظم التى تسيطر على الطبيعة وتقودها الى الرقى والكمال .

نقول : ان من رأى كل ذلك وفكر فيه بعقل يطلب الحق الصراح وبصيرة خالصة من الزيغ والهوى تبين له بعين اليقين والتبصر الجديرين بالانسان أن كل ما أظلت السماء وأقلت الأرض خاضع لقوانين ثابتة متضامنة تحوطها الألفة والوحدة ودالة بذلك على انها صادرة عن قوة خفية وادراك عظيم لذات منزهة هى علتها ومصدر وجودها . وفى سبيل البحث عن أصل تلك العلة تحيرت عقول سائر البشر .

فقال : قوم لايعقلون انها نفس الطبيعة فيكون الكون فى رأيهم هو المكون والفعل هو الفاعل والصنعة هى الصانع .

وقال : قوم لا يعلمون ان العلة هى النواميس التى تقودها فيكون القانون فى نظرهم هو القانون وهو المقنن فى وقت واحد ويكون النظام هو نفس المنظم والحركة هى المحرك الأول .

وقال : قوم لا يفقهون انها المادة فتكون المادة الميتة والهيولى المتحولة التى هى مقر الكون والفساد والتلاشى والانحلال هى نفسها ـ على زعمهم العلة التى كونت عالمنا ونظمته ورسمت قوانينه ثم بعثته الى الكمال فتكون المادة هى العلة وهى المعلول أو السبب والمسبب ،على أن المادة فى عصرنا الحاضر وعلى ضوء العلم الحديث

ليست أكثر من كم من الطاقة الذرية يوجد ويتحول ويتلاشى بما تنتجه الطاقة الأصلية وبعبارة أخرى الجواهر الفردة واختلاف سرعة كهاربها حول نواتها وتعدد تلك الكهارب قلة وكثرة .

على أن الكون الذى نعيش فيه فى نظامه البديع وحوادثه المحكمة المبادىء فى تنظيم ما تبدع . والمادة كم ميت لا يدرك ولا يعى توجده القوة بطاقتها ثم يتلاشى بتلك الطاقة نفسها مرة أخرى .

وقال : آخرون ان العلةفى الوجود هى الضرورة . وقال : غيرهم انها الصدفة وما علمنا — وأبيك — ولا علم العلم وجود شىء فى الكائنات اسمه الضرورة أو الصدفة ولاثمة الا النظام والمنظم ومن العجيب المدهش أن تلقى تلك الأراء بعض الرواج فى مثل عصرنا الحاضر عصر الذرة والطاقة والاشعاع والمعادلات الرياضية (اى العقلية البحتة) . ثم يعود كل أولئك المعللون لوجود الكائنات بالمادة او بالصدفة أو بالضرورة ويناقضون . نصوص مذاهبهم ونتائج مقدماتهم فيقولون : مضطرين بمنطق العلم أن لابد لكل معلول من علة ولكل محرك من حركة ولابد لكل حادث من سبب فينقضون آراء انفسهم بأنفسهم وكفى الله المؤمنين القتال .

ونحن لا نجد فى الرد على أمثال هؤلاء أحسن من ايراد أقوال بعض أكابر علماء الكيمياء والطبيعة والفلك الذين هم أساطين العلم الحديث وأولو الشأن فيه لئلا يخال تقليدهم فى آرائهم من أبنائهم المحدثين ان الذى حفزنا الى توهين هذه الأفكار الواهية بل السخافات الجنونية هو التعصب للدين أو الجمود على القديم وليؤخذ القول عن اهله ويستمدواحكم العلم من القائمين به .

يقول العلامة (جول سيمون) تسفيها لرأى القائلين بأن العالم هو علة نفسه .

(وجود العالم بغير علة أمر غير معقول ومثله وجود جبل أو شجرة أو عود من العشب بل حبة من الرمل أو ارتفاع هذا العود وامتداده قليلا أو كثيرا بغير علة ، غير معقول ايضا . فضرورة العلة تتوقف على خطر المعلول حتى ان كلا الأمرين على السواء معجزة تحتاج الى علة مدبرة)

وقال (الفرد روسل ولاس) فى الرد على تبجح القائلين بأن الطبيعة أوجدت نفسها .

(ان الطبيعيين الماديين يتجاهلون القوة المدبرة الخفية التى تمكن الخلية الحية بفضل تأثيرها من الدور فى سلسلة من التحولات يستحيل ايضاحها بأية طريقة كيميائية أو ميكانيكية) .

قلنا : ان قوما من الذين أزاغت الشهوات بصائرهم يرون ان لا حاجة فى خلق الكائنات ونشوئها لاله يبرؤها ويرعاها ويديرشئونها مادامت الخليقة تسير على نظم مقدرة ونواميس مقررة ومادامت للمادة علل من القوة والحركة ترجع فى التطور والنشوء اليها ، وكبر عليهم أن يقولوا الواقع الذى يقبله العقل ويؤيده العلم من أن المادة وحركتها ليستا الا مظهرين من مظاهر قدرة الخالق التىلاتحد والتى تعالت أسرارها عن أن تدركها افهامهم ، وهم يهربون من قول الحق قصدا لأنهم لو قالوا بوجود اله خلق الكائنات ونظمها ووضع قوانينها لالتزموا مع ذلك بأن يقولوا بخلود النفس ويؤمنوا بالآخرة والحساب وديونة الثواب والعقاب ، والقوم يريدونها فوضى فى الأخلاق والدين بلا محاسب ولا رقيب ويريدون فوق كل ذلك ان يمثل بالفضائل الانسانية عارية مهانة لا يسترها ثوب من التقى ولا شعار من العفاف لترقص رقصة الموت أمام أعينهم وليفخروا بأنهم هم حافروا قبرها وخامدوا أنفاسها ثم يخلو جو العالم بعد ذلك لأنانيتهم وشهوات نفوسهم متوسلين الى غرضهم هذا برأى عاثر من التفلسف وبرهان مفلول من قشور العلم .

وانا والله — لانتصور أن قلبا انسانيا مهما انحط وجمد ادراكه يجعل من العلم شاهد زور لأهوائه ومن الفلسفة وسيط سوء لشهواته ثم يقوم فى وجه عظمة الخالق وأمانة العلم مقام الطفل يبرر خطاه امام معلمه خيفة العقاب مؤملا أن يكون صواب العلم مطابقا لما وقع هو فيه من الخطأ أو مقام الرجل الأحمق أمام شاشة السينما متوهما أن الأخيلة التى تتراءى

له عليها انما تتحرك من ذوات نفسها بلا مقدر لتلك الحركات ولا مدبر .

ويقول الطبيعى الانجليزى الأستاذ (ملين ادوارد) (ويجب أن يندهش الانسان حينما يرى أمام هذه المشاهدات الناطقة المتكررة الدالة على حكمة المبدع ، رجالا يدعون لك أن كل هذه العجائب الكونية ليست الا نتائج للصدفة أو بعبارة أخرى نتائج للخواص العامة للمادة وأثر لتلك الطبيعة التى تكون مادة الخشب والأحجار . وأن الهامات النمل مثل أسمى وان مدركات القوة المدركة الانسانية ليست الا نتيجة عمل القوة الطبيعية أو الكيماوية .. ان هذه الفروض الباطلة أو بالأحرى هذه الأضاليل العقلية التى يستترونها باسم العلم الحسى قد دحضها العلم الصحيح دحضا ، فان الطبيعى المحقق لا يستطيع أن يعتقدها أبدا واذا أطل الانسان على وكر من أوكار بعض الحشرات الضعيفة سمع بغاية الجلاء والوضوح صوت العناية الالهية ترشد مخلوقاتها الى أصول أعمالها اليومية) .

وصدق الله العظيم حيث يقول فى القرآن كتابه المجيد .

« شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم » .

ونتيجة القول والحق اليقين فى هذه المسألة العظمى هى ، أن الدين فى اطلاقه أول العلم وآخره فهو أول العلم من حيث انه أول آمر بالنظر فى الكائنات ومنبه على فضل العلم والعقل ومبين لشرفهما ورفعة أهلهما وبالأخص الدين الاسلامى الحنيف الذى يقرر أن **لا اله الا الله** وان كل ما ظهر من خلق وابداع فى الملك أو فى الملكوت انما كان بفعل الله ونتيجة لارادته ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لا يكون له الخلق وله الأمر ولا شريك له فى الملك وان الرسل والأنبياء محمد وعيسى وموسى وابراهيم ونوحا وغيرهم من الأنبياء عليهم جميعا صلوات الله وسلامه الى آدم كلهم فى نظر الاسلام مندوبو الله ومختاروه وأمناؤه على رسالاته .. فضلهم على خلقه وكلفهم بحمل وحيه وكلامه الى أهل الخير والتقى من عباده ، وقد حث على طلب العلم وفضل الذين يعلمون على الذين لايعلمون ، وجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة الا ما دعا الى الحاد أو شرك ورفع من شرف العقل وامتدح أولى الألباب والمتفكرين والمتوسمين فى مواضع كثيرة من كتابه – القرآن – ورفع منار الحرية ثم نادى صريحا بأن لافضل لأحد على احد الا بالتقوى وهى خشية الله وحبه .

وفى عرف الاسلام أن أوليات العلوم والمعارف انما جاءت على ألسن الرسل وكذلك أوليات اللغات وأسماء أفراد الموجودات ويحدثنا بأن انفع الحكم المنورة للعقول مستمدة من أحاديث الأنبياء وكلامهم وما أوحى اليهم من عند ربهم والدين كذلك آخر العلم من حيث أنه النتيجة الغائية المنشودة لكل عالم نبيل أو فيلسوف محقق تصفح أعيان الكائنات بنزاهة واخلاص طلبا للحق فى ذاته .

الرسول

سبق الطب الحديث

الأستاذ عبد الرزاق نوفل

لم تكن بلاد العرب قبل الاسلام تعرف عن الطب ما يمكن أن يقال معه أنهم على علم ـ ولو بسيط ـ فى هذا الميدان ، بل كان هذا هو حال العالم على اختلاف دوله وقاراته ، فكان علاج المرضى يقوم به الكاهن أو العراف اعتمادا على الفراسة ، وهى الاستدلال بهيئة الانسان أو شكله ولونه وأقواله على معرفة حاله ثم محاولة علاجه اما بأقوال مأثورة أو أساطير محفوظة أو أسجاع منقولة .. وفى أحوال اخرى بأمور لاتمت الى الطب بصلة نتيجة تجربة جاءت مصادفة تحقق فيها الشفاء مرة بغير سببها .

فمثلا اذا بثرت شفة الصبى حمل منخلا على رأسه ونادى بين بيوت الحى **الحلا الحلا،** فتلقى النساء له صدقات فى منخله ، فاذا القى مافيها من خبز او لحم للكلاب فاكلته برأ من مرضه .. وكان السحر والشعوذة والطلسم والتميمة من وسائل العلاج .

وارسل الله سيدنا محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ بآخر الأديان رحمة للعالمين ، وكانت معجزته الخالدة القرآن الكريم الذى نزلت أول آياته أمرا بالقراءة وتعلم الكتابة والبحث العلمى ، ولم تعد النهضة العلمية التى أقامها الاسلام فى العالم فى حاجة الى بيان أو ايضاح بعد أن اتفقت الآراء جميعا .. خصوم الاسلام وأنصاره على أن الاسلام هو أساس كل ما وصل اليه العالم من تقدم علمى ، فعن علماء الاسلام أخذ الأجانب أصول العلوم المختلفة وترجمت ابحاثهم الى كافة لغات العالم واعتبرت ـ حتى الآن ـ أهم المراجع العلمية التى ترجع اليها الجامعات فى كافة قطاعات العلوم . وما كانت هذه النهضة الا استجابة من المسلمين لما دعاهم اليه القرآن الكريم وما أمرهم به رسول الله الصادق الأمين ، وما ظهره لهم من اهتمامه بالعلوم وحرصه ـ صلى الله عليه وسلم ـ على اشاعته بينهم .

ولقد كان الطب من أهم العلوم التى عنى سيدنا رسول الله بالدعوة اليها والحض على تعلمها ، لما لهذا العلم من أثر فى نشر الدعوة الاسلامية والاستجابة لها .. فالاسلام دين عقل وعلم ولا يصلح العقل ويستقيم الا اذا كان فى جسد صحيح سليم .. فصحة الأجساد هى طريق صحة العقول ، التى تستطيع أن تميز بين الحق والباطل ، والصواب والضلال لذلك نرى ان الرسول الكريم تشجيعا لدراسة الطب يقول :

« **العلم علمان ، علم الأبدان وعلم الأديان** » فقدم علم الطب على علم الدين ، لأن الطب هو سبيل الاحتفاظ بالصحة والعقل والحياة وهذه نتيجتها الحتمية المحافظة على الدين والاستجابة لدعوته .. لذلك كان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يطلب من قومه أن يسألوا الله العافية والصحة بنص حديثه الشريف « **سلوا الله العفو**

والعافية والمعافاة فما أوتى أحد بعد اليقين خيرا من معافاة » .

والآيات الطبية فى القرآن الكريم كثيرة تتضمن أسس الوقاية والعلاج وتشمل كافة قطاعات الطب الباطنى والنفسى والاجتماعى والتشريح ،كما أوحى الله ـ سبحانه وتعالى ـ الى نبيه الكريم ماجعله به يعتبر ـ كما يعترف الأجانب من المنصفين ـ طبيب القلوب والنفوس أو طبيب الأجساد والنفوس أو كما يقول« سان جورجيو داريلانو » :

« كان الرسول من أنبل الأطباء وما سبقه ـ صلى الله عليه وسلم ـ غيره فيما رواه أو روى عنه . فالى وقت قريب كان المعروف أن كثرة الأكل هى سبيل الصحة والقوة ثم يصل الطب الحديث الى الحقيقة التى قررها سيدنا رسول الله فىحديثه الشريف « اياكم والبطنة فانها مفسدة للدين مورثة للسقم مكسلة عن العبادة » وكذلك الحديث الشريف : **« المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء »** . ويقرر الاخصائيون أن هذا الحديث جمع أصول الطب كله .

ويدعو رسول المسلمين الى البحث عن الأدوية والاجتهاد فيها لشفاء الناس وذلك ما يهدف اليه الحديث الصحيح **« ما أنزل الله من داء الا أنزل له شفاء »** .

وسبق الرسول الطب الحديث أيضا فى علاج الحمى اذ يقول : **« انما الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء »** ، والاستبراد بالماء من الأساليب المستعملة فى مكافحة الحمى حتى اليوم ، بل ان الحمى الناتجة عن شدة حرارة الشمس ينفعها الماء البارد .. وكذلك يعتبر سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الطبيب النفسى الأول بنص حديثه الشريف : **« اذا دخلتم على المريض فنفسوا له فى الأجل فان ذلك لا يرد شيئا »** وهو تطمين لنفس المريض .

أليس ذلك ما يوصى به الطب النفسى وما ينصح به فى العصر الحديث ؟! اذ أن ادخال الطمأنينة على نفس المريض هى من ضمن ، بل من أهم سبل الشفاء . ه

وإذا كان الطب الحديث ينصح من أصابه الهم بالرياضة ، حتى يشغل نفسه بغير سبب همه ويبتعد عن المكان الذى يذكره بسبب ألمه، فان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد سبق الى ذلك بحديثه الصحيح : **« ماعلى أحدكم اذا الح به الهم الا ان يتقلد قوسه »**

وقد نهى الرسول الكريم عن الاشتغال بالطب الا لمن علمه وحذقه وهذا ما شرعت بسببه القوانين فى العصر الحديث ، فقد قال عليه الصلاة والسلام :

« من تطبب ولم يعلم منه الطب قبل ذلك فهو ضامن » ، أى أن من طبب الناس وهو جاهل بأصول الطب ، فعليه وزر الضرر الناتج فهو لهذا الضرر يعتبر ضامنا وكذلك ما أوصى به الشمردل الذى كان فى وفد نجران بنى الحارث بن كعب اذ قال لرسول الله : **يارسول الله بأبى انت وأمى انى كنت الكاهن والطبيب لقومى فى الجاهلية فما يحل لى ؟ قال عليه الصلاة والسلام « فصد العرق ومجسة الطعنة ان اضطررت وعليك بالسنا ولا تداو أحدا حتى تعرف داءه » قال الشمردل « والذى بعثك بالحق أنت أعلم بالطب منى » .**

وقبل أن يعرف الطب أن مرض الكلب ينتقل عن طريق لعاب الكلاب .. يوصى سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالوقاية من هذا المرض عن طريق الوقاية من لعاب الكلب بنص الحديث : **« اذا ولغ الكلب فى اناء أحدكم فاغسلوه سبعا أولاهن بالتراب » .**

والحجر الصحى الذى يفتخر به الطب فى العصر الحديث أوصى به وقرره سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل ذلك بأربعة عشر قرنا وذلك بنص أحاديثه الشريفة **« لايوردن ممرض على مصح » ، « اذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليه واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه » .**

صلى الله عليك ياسيدى يارسول الله، وعلى كل من استجاب لدعوتك ، وعمل على نشر رسالتك ، آمين .

شهر الذكريات

الدكتور محمد محمد أبو شهبة

كما أن فى عمر الفصول الأربعة ربيعا تلبس الأرض فيه شبابها ، وتتزين بسندسهـــا الأخضر الذى يملأ العيون جمالا ، والقلوب حبورا ، والخزائن خيرا وفيرا عميما ، كذلك فى عمر الزمان شهورا بمنزلة الربيـــع من الفصول لما يقترن بهــا من أحداث عظام ، وذكريات جسام ، ومفاخر ومآثر باقية ، ومن هذه الشهور شهر ربيع الأول ، فلا يكاد يهل هلاله ، ويغشى الكون ضياؤه حتى تهفو الى ذكرياته قلوب الملايين من المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، وشمالها وجنوبها ، وما من مسلم يؤمن بالله وبرسالة نبى الاسلام الا وهو يحمل لهذا الشهر المبارك ذكريات كان لهـا أكبر الأثر فى تغيير وجه التاريخ ، وتقـرير حقوق الانسان ، وتخليص الانسانية المعذبة من الأغلال والأوصاب ، وبناء صرح الحضارة الاسلامية الرحيمة ، حضارة الايمان والسلام، والحق والعدل ، والهدى والخـير ، والبر والرحمة .

ولم تكن منزلة شهر ربيع الأول بخافيـة على الرعيل الأول من صحابة رسول الله ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ الذين ضرب بهم الأمثال فى التوراة والانجيل والقرآن .

فقد روى أبو بكر بن أبى شيبة بسنده عن جابر وابن عباس قالا « ولد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عام الفيل يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول وفيه بعث وفيه عرج به الى السماء ، وفيه هاجر ، وفيه مات »

وقد اختاره الحافظ عبد الغنى بن سرور المقدسى فى سيرته .

وهذا اجمال يحتاج — ولا ريب — الى تفصيل .

ففى مثل هذا الشهر من عام الفيل الموافق سنة ٥٧٠ من ميلاد السيد المسيح — عليه السلام — تنفس فجر يوم الاثنين الثانى عشر منه عن أكرم مولود فى هذا الوجود ، استضاءت به الدنيا بعد طول ظلمة ، وسعدت به الانسانية بعد طول شقاء ، وتحررت به العقول بعد طول رق وتقليد ، ذلكم المولود هو سيد البشر وخاتم الأنبياء رسولنا محمد — صلى الله عليه وسلم — رسول الهدى والبر والخير والتراحم ، وقد كان ميلاده فى هذا الوقت الذى آذن فيه الليل بالادبار ، ونور النهار بالاسفار ارهاصا بذهاب دولة الشرك والوثنية ، والجهل والأوهام ، والظلم والاستبداد ، وحلول دولة الايمان والهدى ، والعلم والعرفان ، والعدل والحق ، فلا تعجب اذا كانت تهدمت شرفات ايوان كسرى ، وخبت نيران فارس ، وغاضت بحيرة ساوة . وتناقلت أخبار ميلاده الرهبان والكهان ، فارتاعت قلوب ، وارتعدت فرائص ، وأخذت فى التداعى عروش .

وفى مثل هذا الشهر المبارك كانت بعثته — صلى الله عليه وسلم — الى الناس كافة بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، وبالبعثة أخذ يسطع نور الرسالة على الكون ، ويغمر ضياء التوحيد النجاد والهاد ، وأخذت الدجنات تنقشع وتزول ، واذا علمنا ما كان ينوء به العالم آنئذ من الوثنية والشرك والمظالم والمفاسد ، وما كان يموج فيه من دواعى التحلل والاستهتار بالقيم الخلقية ، وما كان يسوده من النظام الطبقى المقوت ، فطبقة حاكمة لا تعرف غير الاغراق فى الملذات والشهوات ، واستنزاف دماء الضعفاء والمحرومين ، وطبقة محكومة تسخر كما يسخر الحيوان ، لا تكاد من فرط الشقاء تشعر بالحياة . اذا عرفنا ذلك أدركنا حتما أن البعثة المحمدية كانت خيرا وبركة على الدنيا المضطربة ، وانقاذا للانسانية المعذبة وكسرا لشرة النفوس الشريرة ، ونشرا لمبادىء الاخلاق الفاضلة ، والمعاملات السليمة ، التى لا يصلح الكون الا بها ، وتنظيما لعلاقة الحاكم بالمحكومين ، والمحكومين بالحاكم ، وعلاقات الناس بعضهم ببعض ، ومنحا للحرية الحقة لكل فرد فى حدود الشريعة والآداب العامة ، التى تقرها العقول السليمة ، والفطرة الطاهرة الكاملة ، فلا عجب أن خفقت راية العدل والأمان على ربوع الجزيرة العربية ، حتى ليسير الراكب من اليمن الى العراق لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ، ولا عجب أن كون المسلمون أمة مؤمنة خيرة ، لا تزال مضرب الأمثال الى يومنا هذا ، فى الاخاء والتراحم والبر والتعاون ، والاتحاد والألفة ، والتكافل والتضامن حتى استحقت هذه الشهادة الصادقة من الحق — تبارك وتعالى — حيث قال — عز شأنه — **« كنتم خير أمة أخرجت الناس تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »** وبهذه المثل العليا فى العقائد والمعاملة ، والأخلاق والسلوك الاجتماعى الفاضل ، وتحكيم القيم الخلقية والأدبية فى تقدير الرجال ، وتوسيد الأمور الى أربابها ، كانت الأمة الاسلامية هى الأمة الوسط الشاهدة على الأمم والشعوب فى دنياها ، وفى أخراها وصدق الحق — تبارك وتعالى — حيث يقول : **« وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا »** .

ومن خيرات البعثة المحمدية وبركاتها القضاء على النظام الطبقى الجاهلى ، والعنجهية الجاهلية ، واشاعة مبدأ المساواة بين الناس ، فلا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى ، والناس جميعا أمام الله وأمام الشرع سواء ، لا مكان فى المجتمع الاسلامى للتفاخر بالأنساب والأموال والجاه والمناصب ، وقد بلغت هذه المساواة حدا جعلت الأعبد

والضعفاء يتولون أعظم المناصب فى الدولة الاسلامية، حتى قال الفاروق عمر بن الخطاب – وهو من هو – فى الصديق أبى بكر ومولاه : **((انه سيدنا وأعتق سيدنا)) يريد بلالا – رضى الله عنه –** وحتى قدم بلالا وصهيبا وسلمان وأمثالهم فى الدخول عليه، وعلى أبى سفيان بن حرب وأمثاله من أشراف قريش ، وهذه المساواة التى وضع أساسها نبى الاسلام ، وسادت المجتمع الاسلامى ، هى التى عجزت عن تطبيقها فى مجتمعها أعظم دول العالم الغربى المتحضر اليوم وهى أمريكا ، وما أمر التفرقة العنصرية فى أمريكا وفى غيرها بخفى على القراء .

ولن يجد الانسان المنصف مهما أوتى من الفصاحة والبلاغة ، أصدق فى التعبير عما أفاده العالم من البعثة المحمدية من قول الحق – تبارك وتعالى – : **((وما أرسلناك الا رحمة للعالمين))** .

وفى مثل هذا الشهر كانت معجزتا الاسراء والمعراج حيث رأى النبى من آيات ربه الكبرى ما رأى ، وما زاغ البصر وما طغى ، بل صدق القلب ما رأى ، وامتلأ القلب فى سراه بأنوار الجلال والجمال ، وخشية الله ذى العظمة والكبرياء ، وتملى البصر بما شاهد من مظاهر الملكوت وعجائب صنع الله فى الأرض والسماء ، وما ظنك بليلة قدسية ، السارى فيها سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – والحامل له البراق الذى له من اسمه نصيب، والحادى فيها جبريل الأمين ، وشهودها الأنبياء المصطفون والملائكة الأطهار ، بل ماظنك برحلة ميمونة ، فى ليلة مباركة أسرى فيها الله – سبحانه – بعبده محمد من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، ثم العروج به الى السموات السبع وما فوق السبع ، حيث فرضت الصلوات الخمس ، وكفى بها شرفا لهذه الليلة ومأثرة ، ألا ما أكرم المبتدأ ، وما أجل المنتهى ، وما أسمى الغاية .

وفى مثل هذا الشهر كانت الهجرة النبوية، ولئن كان بالبعثة قد ابتدأ الخير ، فبالهجرة تم النصر وأظهر الله الاسلام على الدين كله ، ولئن أشرق النور بالبعثة فبالهجرة سطع وعم، والهجرة حدث الاسلام الأكبر ، ولها فى نفس كل مؤمن منزلة رفيعة ومكانة سامقة، ولولاها لبقى الاسلام غريبا فى وطنه يتيما بين أهله ، ولبقى العالم على ما كان عليه من وثنية ضاربة ، وجاهلية جهلاء ، وفساد شامل ، **ولقد كا نالمسلمون ملهمين حقا حينما اختاروا الهجرة مبدأ للتاريخ الاسلامى** ، وليس هنا مكان التحدث عن الهجرة ومنزلتها فى الاسلام فلذلك مقام آخر .

وكما أشرقت شمس النبوة فى شهر ربيع الأول فقد آذنت فيه بالمغيب بعد أن اكتمل الدين وانقطع الوحى، وخير الرسول الكريم بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله – سبحانه – ، وأحب لقاء الله كما أحب الله لقاءه ، وكان آخر كلمة تلفظ بها **((بل الرفيق الأعلى))** وترك المسلمين على الحنيفية السمحة التى ليلها كنهارها لا حرج فيها ولا مشقة ، ولا خفاء ولا غموض ، ولا تحريف ولا تبديل، وبذلك أدى الأمانة ، وبلغ الرسالة فاللهم جاز نبينا المصطفى خير ما جوزى نبى عن أمته .

وبعد فلعلك – أيها القارىء الكريم – رأيت معى ما اختص به شهر ربيع الأول من خصائص الشرف والخير للناس كافة ، وأن المسلمين على حق فيما يحملون لهذا الشهر من ذكريات .

فلله أنت – يا شهر ربيع الأول – ففيك ولد رسول الانسانية ، ومنقذ البشرية ، وفيك بعث ، وفيك أسرى وعرج به ، وفيك هاجر ، وفيك حظى بجوار الرفيق الأعلى .

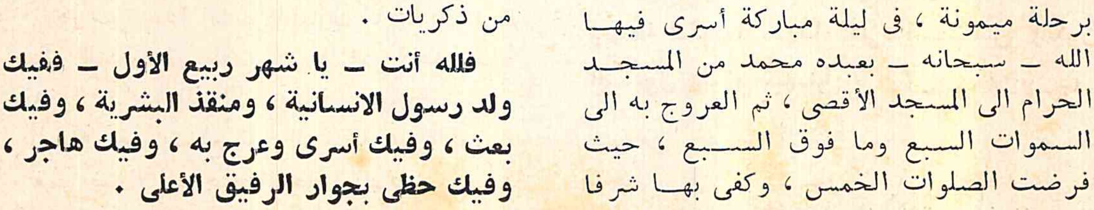

ألوان تعبيرية في القرآن الكريم

الأستاذ عبد المجيد وافي

ـ القرآن كتاب الله المعجز ، يقرؤه القارىء فيجد عنده الرضا والسكينة ، ويحس فيه راحة النفس ، ويتدبر آياته من يتدبر ،فيخرج من تدبره بالعظة الواضحة ، والعبرة الرادعة .

ولا تقف عند هذه أو تلك غاية الطالبين ، فهو قبل كل ذلك كتاب تشريع ، وقانون أمة، يستخرج منه أصحاب الأصول قواعدهم ، وبما حوى من أمر الله او نهيه ، تتحدد طرق السلامة ، وتتبين سبل الغى والضلالة .

والكتاب الكريم لم يتخذ من الكلمة البليغة ، التى يلمس بها هدفه ، أو الآية الرائعة المستوعبة ، التى تقرع الأسماع وتهز الجنان، وسيلة منفردة لبلوغ غاياته ، بل قد تعدى ذلك الى أسلوب آخر من التوجيه ، له أثره المؤكد فى نفس سامعه ، فهو قد استعمل أسلوب التصوير الحسى، حينما يكون التصوير أوقع فى البيان والزجر ، وأدعى الى الموعظة والاعتبار .

والتصوير وسيلة متعددة الأدوات ، لتأكيد العبرة وتحديد الفكرة ، يوجه باللمحة ، ويحدد بالحركة ، ويكمل باللون ، وقد يلقى الضوء على جانب دون آخر ، لغاية أو لقصد .

كل ذلك قد استعمله القرآن الكريم فى تصويره ، فكان ذروة فى البلاغة ، وغاية فى الاعجاز ، ولا عجب فهو كتاب الله ، والله ـ تعالى ـ قد وصف نفسه فى بعض آياته فقال :

« هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى » .

وفى هذا المقام أذكر على سبيل المثال ، ما صور الله به المنافقين فى أول سورة البقرة، بعد أن شبه حالهم بحال التاجر ، الذى اشترى بضاعة خاسرة ببضاعة كاسبة ، حينما فضلوا الضلالة على الهدى ، فكانوا كمن ذهب الى السوق ، أملا فى الربح فأضاع رأس المال وما كانوا مهتدين .

بعد هذا التقديم ، صـــور القرآن الكريم المنافقين بقوله تعالى :

« مثلهم كمثل الذى استوقد نارا ، فلمـــا أضاءت ما حوله ، ذهب الله بنورهم ، وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ، صم بكم عمى ، فهـم لا يرجعون . أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق ، يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق ، حذر الموت ، والله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف أبصارهم ، كلما أضاء لهم مشوا فيه ، واذا أظلم عليهم قاموا ، ولو شاء الله لذهب بسمعهم ، وأبصارهم ، ان الله على كل شىء قدير » .

صورهم فى الآية الأولى بصورة طالب النار يلتمس فيها الدفء والنور ، جمـع الحطب ، وأوقد النار فى ليل شديد الظلمة ، فلمـــا اطمأن الى ما أصاب من نار ومن نور ، ذهـب ذلك النور وانطفأت النار ، ولم ينفعه ما جمع من حطب ، لأنه حطب زائف ، ولم يغنه ما أوقد من نار ، لأنها وهم ظنوا فيه الدفء والضوء ، وعم الظلام ، فهم لما حولهم غير مبصرين .

وأكاد ألمح خلال الصورة الخطوط التى تحدد هيئة حامل الحطب ، وموقد النار ، فى موقف الحائر الذى لا يدرى ماذا يفعل ، بعد أن ذهب الله بنورهم ، الذى لا يغنى ولا يقوى عـــلى البقـــاء ، حيث لا يستمد ضـوءه من ذى ضوء .

وأبصارهم ، وآذانهم ، وألسنتهم ، انهـــا أبصار لا تنظر فى ملكوت السموات والأرض ، لكى تستهدى من صنع الخالق الدلالة عـلى عظمته ، وآذان لم تحسن الاصغاء الى مايسوق النبى - صلى الله عليه وسلم - من أدلة عـلى رحمة الله ، لمن أطاعه ، وبطشه بمن عصاه ، وألسنة قصرت عن أن تقر بوحدانية اللـــه وصدق رسوله ، فلما انعدمت منفعة هــذه الأعضاء ، كان وجودها كالعدم ، وتســـتمر أصحابها حيث هم ، لا هم براجعين الى الايمان ، ولا منتفعين بما اعتقدوا عنده النفع .

صورة ناطقة ، صريحة اللمســـات ، غير متداخلة القسمات ، عناصرها محددة بالخط تارة ، وبالضوء أخرى ، وبالتعبير الصامت مرة ثالثة ، وهذا هو أبلغ آيات التعبير .

أما فى الصورة الثانية فقد مثلهم بأصحاب الصيب ، الذين فاجأهم المطر الشديد ، المنهمر من السماء ، من خلال ظلمات السحب ، التى نشرت ظلها ، وقد صحبها صوت الرعـــد ، فاجتمع الخوف من الظلمة الى الخوف من هدير الرعود ، وحاول القوم أن يسدوا آذانهم عن هذه الأصوات ، التى فزعتهم ، فجعلوا أصابعهم فى آذانهم ، يحذرون الموت، وهل ترد أصابعهم فى آذانهم عنهم شيئا .

موقف رهيب لا يجدون منه خلاصا ، بينما يستفيد غيرهم من هـــذه الأمطار ، التى هى مظنة الانبات ، ومناط الرزق ، يقفون هم فى مكانهم لا يريمون ، ويعقب البرق الرعـــد ، فينير ما حولهم خطفا ، شديد الضوء يبهـر البصر ، وفى لمحات ضوئه يتلامسون النجاة ، فيندفقون مندفعين الى أمام أو الى خلف ، فاذا ذهب الضوء ، عادوا الى حيرتهـم ، وحاصرهم الظلام والخوف ، يحاولون الفرار من قضاءالله، وهل يفر أحد الا الى قضاء أعده الله له ،والله بما أحكم حولهم محيط بهم ، وبسبب كفرهم، وقفوا هذا الموقف الذى لا يحسدون عليه .

واذا ظنوا فى لمحة البرق الخاطفة نجاة ، أو توقعوا أمنا فذلك وهم ، اذ أن ما قدموا من عمل لا يمكنهم من نجاة ، ولا يمد لهم فى أمن، وماعادت تغنى عنهم أسماعهم ، ولاأبصارهم شيئا ، بل لو شاء الله لذهب بها عقابا لهم ، فقد استوى بقاؤها وزوالها .

واذا كانت الصورة الثـــانية ، قد جمعت كسابقتها الخط ، والضوء ، والظـل ، وزادت عليها تقابل المجموعات المتحـركة فى تكوين اللوحة ، فقد تعمقت الى النوازع النفسيـة ، التى تموج بين ضلوع أصحابها ، أملا مرة ، ورهبة مرة أخرى، فى اطار من الجو التصويرى العاصف ، الذى يعجز عن تهميده لصـورته الثابتة أو المتحركة أى فنان ، بل ان مخرجـا سينمائيا ألم بفنه ، وتثبت من دقائقه .

ويختم الله - تعالى - هذا التصوير الرائع الذى لم تنقصه لمحة ، ولا حركة ، ولا حس ، بوصف ذاته بما اختص به سـبحانه ، وهو

قدرته جل شأنه التى أحاطت بما لا تدركه قدرة ، ولا تبلغ مداه قوة **ان الله على كل شيء قدير** ،

وفى مجال التمثيل لهذا الأسلوب التصويرى فى القرآن الكريم ، لا يمكن ان ننسى وصفه – تعالى – للمنافقين ايضا ، فى سورة التوبة:

« لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا ، ولأوضعوا خلالكم ، يبغونكم الفتنة ، وفيكم سماعون لهم ، والله عليم بالظالمين »

وفى سورة المنافقين :

« واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ، وان يقولوا تسمع لقولهم ، كأنهم خشب مسندة ، يحسبون كل صيحة عليهم ، هم العدو فاحذرهم » .

أما آية التوبة فانها باللفظ القليل ، قد صورت الحركة السريعة المربكة ، ولمست أثر هذه الحركة فى القوم .

فخروج المنافقين بين المؤمنين ، مفسد أيما افساد لسلامة الصف ، وضبط النفس ، ولذلك عبر بلفظ الزيادة ، ولم يكتف بمجرد احداث الاضطراب ، فان انتشار الهلع ، وانفراط عقد الطمأنينة ، هو عين الخبال الذى يزيدونه بوجودهم بينهم .

وانظر الى قوله تعالى: « **ولأوضعوا خلالكم** » يصور بذلك حركتهم السريعة بين الصفوف ، يلقون فى كل ثغرة قبسا من نار الفتنة ، والسرعة هنا عامل مهم ، لأن ناشر الحريق يهمه أن تندلع النيران فى أسرع وقت ، ولذلك كان قوله « **خلالكم** » خير تعبير عن انبثاثهم بين الصفوف ، يثيرون الفتنة وينقلون الاشاعات ، فيتحقق لهم ما يبتغون من فل القوة ، ونثر الجمع وفك الرباط .

ولم يترك اللفظ البسيط الاحاطة بالجانب التعبيرى فى اللوحة ، فان الخبال هو منتهى الاضطراب النفسى ، الذى يظهر أثره على الوجه وعلى الحركة معا ، فيتحقق للصورة التناسق بين الحركة والانفعال .

وصاحب الاشاعة يجد دائما فى كل مجتمع من يسمع له ، وقد لا يكتفى الأخير بسماع مايبثون من فتن ، بل يقوم بدور الرواية ناشرا للسموم بين قومه كما يسمع لهم ويُسمع منهم .

وفى سورة المنافقين ، تناول الصورة من جانب فيه السخرية من مظهرهم المهول ، وسمتهم الرائع ، الذى يبهر الناظر ، وكلامهم الموهم بلفظ فصيح ، ونسيج مزخرف ، ولكن مخبرهم لا ينبىء عما ينبىء عنه منظرهم ، فراغ وقلة غناء .

وما مثلهم فى ذلك الا مثل الانصاب الخشبية فى هيآت وصور بديعة ، ولكنها لا تملك لنفسها قدرة على الاستقامة ، فأسندت الى الجدران ، أوسندت بالدسر أو القوائم لتظهر فى صورة المنتصب المرتفع فى الهواء .

ولا أدل على فراغ قلوبهم ، وخواء باطنهم ، من شدة الهلع التى تنتابهم حينما يسمعون فى القوم صائحا ، كأن هذه الصيحة للايقاع بهم ، أو لكشف مستور حالهم .

هكذا يصور الله أحوالهم ، اذ أن الصورة أوقع فى النفس أثرا من الكلمة ، واذا تكاملت الصورة حركة ، ولونا ، وظلا ، بل اشارة وانفعالا ، فلا شك أنها تكون أبعد تأثيرا ، وعندئذ يكون من الطبيعى أن نحذرهم فانهم حقا هم العدو والله من ورائهم محيط .

خواطر مستشار

المستشار علي علي منصور

مقدمات القتال وأساليبه

انتهت الدول فى العصر الحديث الى وجوب اعلان الحرب قبل البدء بالعدوان ، لما يترتب على ذلك من حقوق ، والتزامات ، تعورف عليها فى القانون الدولى العام ، وهى على نوعين : حقوق والتزامات بين الدول المتحاربة وأخرى بينها وبين الدول المحايدة ، والدولة الأجنبية عن الحرب . وكان كل ذلك الى عهد قريب قواعد عرفية . تدعو اليها قواعد الأخلاق

وقد تضمنت أعمال مؤتمر « لاهاى » سنة ١٩٠٧ « الاتفاقية الثالثة كيف تعلن الحرب ، فنصت المادة الأولى منها على : «يجب أن لاتبدأ الأعمال الحربية الا بعد اخطار سابق ، لا لبس فيه ، ويكون اما فى صورة اعلان حرب مسبب ، أو فى صورة انذار نهائى ، تذكر فيه الدولة موجهة الانذار طلباتها ، وتطلب اجابتها ، والا اعتبرت الحرب قائمة بينهما »

وتنص المادة الثانية على : « **يجب ابلاغ حالة الحرب ، دون تأخير الى الدول المحايدة، ولا يترتب على قيام الحرب بالنسبة لهذه الدول أى أثر ، الا بعد وصول البلاغ اليها ، وليس للدول المحايدة أن تحتج بعدم وصول الاعلان لها ، اذا ثبت أنها علمت بقيام الحرب » .**

وكانت الحكومة الهولندية قداقترحت عند مناقشة هذه الاتفاقية ، النص علىوجوب فوات أربع وعشرين ساعة على الأقل ، بين اعلان الحرب وبين بدء الأعمال العدوانية ، ولكن لم توافق الدول على الاقتراح ، وأصبح من المباح قانونا أن تفاجىء الدولة غريمتها بعد اعلان الحرب ولو بدقيقة ، وهو ماسلكته ألمانيا مع جميع الدول التى هاجمتها فى الحرب العالمية الثانية « ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ »

ولا خلاف بين فقهاء القانون الدولى على وجود حالة الحرببين دولتين ، بمجرد بدئها، حتى ولم تتخذ فى شأن اعلانها الاجراءات التى مر ذكرها .

اعلان الحرب فى الاسلام :

أسلفنا أن الاسلام لا يقر الحرب الهجومية، بقصد الفتح ، أو التوسع ، أو التسلط ،

والاستعلاء ، وقلنا : ان الحرب المشروعة فى الاسلام ، هى الحرب الدفاعية لرد اعتداء بدأ به العدو ، أو للدفاع عن حق ثابت بمقتضى عهد أو معاهدة ، نقضها الخصم ، أو تأمينا للدعوة • ورغم ذلك فاذا سار جيش المسلمين الى بلد عدو ، لحرب مشروعة أغلبها دفاعية ، فانه يجب على قائده اذا ما أتى قرية ، أو حصنا ، أن لا يبدأ أعمال الحرب ، الا بعد أن يخيرهم بين خصال ثلاث :

وقد أخرج رواة الحديث عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن رسول الله ـ صلوات الله عليه ـ كان اذا أمر أميرا على جيش أوصاه فى خاصة نفسه بتقوى الله ، وبمن معه من المسلمين خيرا ، ثم يقول مامعناه : اغزوا باسم الله ، وفى سبيل الله اغزوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدا ، ولا امرأة ولا مدبرا ، واذا لقيت عدوك ، فادعه أولا الى احدى خصال ثلاث ادعه الى الاسلام فيكون منا ، وان أبوا الا البقاء على دينهم ، وسلطانهم ، فاسألهم الجزية ، فان رضوا فاجعل لهم ذمة الله ، وذمة نبيه ، وكف عن قتالهم ، وان أبو الجزية فاستعن بالله وقاتلهم وكتب النبى الى خالد بن الوليد « لا تقتل امرأة ، ولا ذرية ، ولا عسيفا » والعسيف : هو العامل فى الحقل ، أو فى أى عمل آخر •

وحاصل ذلك أن المفاجأة فى الحرب ، دون إعلان ، وتخيير ، ولو كانت الحرب دفاعية أمر يأباه الاسلام ، وسبق به جميع الأديان والدول والقواعد الدولية ، ومقتضى ذلك على مارتبه الفقهاء عليه ، **أن أمير جيش المسلمين اذا بدأ بالقتال قبل الانذار بالحجة والدعاء الى احدى الخصال الثلاث ، ودخل فى أعمال القتال ، وقتل من الأعداء غرة وبياتا ضمن ديات نفوسهم •**

ويذهب الشافعية الى أن دية الواحد منهم فى هذه الحالة ، كدية المسلم • أى أن الاسلام سبق القانون الدولى الحديث ، فيما قرره من الاكتفاء باعتبار حالة الحرب قائمة ، اذا مابدأت أعمال العدوان ، دون اعلان ، أو انذار •

والاسلام لا يكتفى بذلك ، بل يجعل على الدولة ، التى بدأت القتال ، بغير انذار ، ولا اعلان حرب تعويض الأرواح والأضرار •

وقد أضاف الشيخ محمد أبو زهرة ، فى مقدمته ، لكتاب السير الكبير ، طبعة جامعة القاهرة ، سنة ١٩٥٨ ص ٦٣ « **وكان ذلك كله ، اتقاء للحرب ، ما أمكن الاتقاء ، حتى أنهم يوجبون على قائد جيش المسلمين اذا دعا أعداءه الى الاسلام أو العهد ، ألا يحارب فور ذلك ، بل يذهب الى الصلاة مع جيشه حتى اذا أتم الصلاة عاد فجدد الدعوة » وقال السرخسى فى المبسوط ج ١٠ ص ٦ أكثر من ذلك : انه يحسن ألا يقاتلهم ، فور الدعوة والسكوت ، بل يبيتهم أى يتركهم يبيتون ليلة يتفكرون فيها ،ويتدبرون مافيه مصلحتهم وهذا مااقترحته هولندا فى مؤتمر لاهاى أخيرا ، ورفضت الدول الأخذ به •**

وهناك شهادة بالحق قال بها البارون ميتشيل دى توب ص ٣٩٣ ـ ٤٩٥ من كتابه سالف الذكر قال : « اننا نعلم تاريخ مبدأ اعلان الحرب فى العصر الحالى ، اذ هو كقاعدة دولية ، لم يتحقق الا فى سنة ١٩٠٧ فى مؤتمر لاهاى الثانى ، وهو مبدأ من مبادىء الفروسية ، ولكن لا أثر له فى القرون الوسطى الأوربية ، وانما جذوره متغلغلة فى الشرق الاسلامى » •

ثم تكلم المؤلف عن صيغة اعلان الحرب ، وقال : « انه وجدها فى كتاب أبى الحسن البصرى البغدادى الماوردى » واستمر يقول « فماذا كان فى أوربا يومذاك ـ أى فى القرن العاشر ـ لقد كان هذا الزمن أتعس الأوقات فى أوربا ، فقد غشيتها الفوضى الاقطاعية ، وكل ماحدث هو محاولة العمل بهدنة العرب ، أما فى بيزنطة ، فكان حكم بازيل الثانى سفاح البلقان ، الذى غزاهم وفقأ أعين خمسة عشر ألف أسير منهم • ووصف المؤلف بأن

البشرية فى القرن العاشر الميلادى كانت بائسة تستحق أكبر عناية ، وقال لقد ساعد العالم الاسلامى فى سبيل افراغ الانسانية الصحيحة على البشرية البائسة ، مساعدة يجب أن ينظر اليها بعين التقدير السامي ، باعتبارها أسمى مما تم فى أوربا الرومانية ، والجرمانية ، والبيزنطية ، خلال القرون الوسطى . ولقد استفاد العالم الأوربى من الاسلام فوائد جمة مترامية المحيط .

وقد سار قواد جيش المسلمين وأمراؤهم على هذه السنة ، منهم خالد بن الوليد صاحب أكبر الفتوحات ، ماحارب قوما الا دعاهم الى أحد الأمور الثلاثة ، وكذا سلمان الفارسى حينما غزا المشركين من أهل فارس ، ردا على اعتداءاتهم على رسول الله ، وعلى المسلمين ، حيث وقف بجيشه خارج المدن ، وقال كفوا حتى أدعوهم الى ما أمر به رسول الله ، فكان سلمان يأتى القوم ، فيقول لهم : اما الاسلام ، واما المعاهدة ، واما القتال ، فقالوا له أما الاسلام ، فلا نسلم ، وأما الجزية فلا نعطها ، وأما القتال ، فانا نقاتلكم ، فكرر سلمان عليهم الانذار ، والتخيير ثلاث مرات ، فأبوا الا القتال ، فقال لجنوده انهضوا لقتالهم باسم الله .

ومن أروع مانسوقه فى هذا الصدد ماقاله البلازرى فى كتابه فتوح البلدان نقلا عن أبى عبيدة وسواه ، من أنه لما استخلف عمر بن عبد العزيز ، وفد عليه قوم من أهل سمرقند ، وشكوا اليه قتيبة بن مسلم الباهلى ، بأنه دخل مدينتهم على غدر منه ، وأسكن المسلمين بها ، فكتب عمر الى واليه فى الولاية المجاورة ، وأمره بأن يرفع شكواهم الى القاضى ، فان ثبت لديه مادعوا ، أمر باخراج المسلمين من سمرقند . فلما رفعت القضية الى قاضى المسلمين جميع بن خاطر الباجى ، حكم باخراج المسلمين ، فعجب أهل سمرقند من عدالة المسلمين والاسلام ، وأكبروها ودخلوا فى الاسلام طائعين .

ولعلك تدرك من هذه الواقعة ، وأمثالها مقدار تنكب المسلمين للغدر والمفاجأة ، ولو كانت لعدو بدأهم بالقتال ، أو مشرك طعن فى دينهم ، وفتن قلة المسلمين ، الذين بأرض العدو . هذا مدى احترام الاسلام لمبدأ اعلان الحرب ، عند كل مدينة أو حصن .

ويمكن أن تتصور مدى تشدد الاسلام والمسلمين فى البدء بالعدوان ، حتى فى ميدان القتال ، ولو بالمبارزة فقد كانت عادة العرب اذا مادعا داعى الحرب ، وتجهز الجيشان ، واتخذ كل منهما مكانه ، قبالة الآخر ، أن يبرز أحد الصناديد من الفرسان عن الصف ، ويدعو الأعداء ، ليبرز منهم من يرى فى نفسه الكفاية لملاقاته ، وقد جوز الفقهاء فى الاسلام البراز واشترط أبوحنيفة أن تكون الدعوة الى المبارزة من أحد الأعداء أما اذا أراد المقاتل المسلم أن يدعو الى البراز مبتدئا فقد منعه أبوحنيفة ، وقال : ان الدعاء الى البراز والابتداء بالتطاول بغى ، والبغى لا يحل لنا .

وقد ورد فى كتاب السيرة لابن هشام عن ابن اسحاق حوادث فى هذا الصدد تؤيد ماذهب اليه أبوحنيفة ، ذلك أن أبى بن خلف دعا رسول الله الى البراز يوم أحد فبرز اليه فقتله . ويوم بدر برز من أشراف قريش عتبة بن ربيعة وابنه الوليد وأخوه شيبة ودعوا الى البراز فخرج اليهم ثلاثة من الأنصار فقالوا نحن لانعرفكم ، لم لايبرز الينا أكفاؤنا فبرز اليهم ثلاثة من بنى هاشم منهم على بن أبى طالب حيث برز الى الوليد فقتله .. وفى يوم أحد أيضا برز من المشركين عمرو ابن عبدود وكان فارسا مغوارا شديد البأس منذ الجاهلية علم عنه أنه بارز فقتل اثنى عشر على التتابع، ويوم أحد دعا عمرو المسلمين الى المبارزة فلم يخرج اليه أحد ، فلما كررها ثلاثا - برز اليه على بن أبى طالب بعد أن استأذن رسول الله ، فأذن له وقال : له اخرج يا على فى حفظ الله وعياذه فتجاولا وتصاولا حتى أخفاهما التراب عن الأبصار ومالنجلى الا وعلى يمسح سيفه بثوب عمرو وهو صريع .

وَجعلنا من الماء كل شيء حي

الدكتور عفيفى محمود

— ١ —

هل عدت مرة من مصيفك لتجد الزهور التى تزين شرفة مسكنك وقد تدلت على عيدانها ونكست تيجانها ، وذبلت أوراقها وبهت لونها بعد أن انقطع عنها الماء فترة غيابك عنها ؟

هل تعرضت مرة لتجربة الظمأ الشديد ، أو تصورت ما يعترى الظمآن من جفاف الحلق .. وزيغ البصر وعدم القدرة على الكلام أو الحركة ، والرغبة الملحة فى اعتصار الحجر ولعق التراب ؟

ان كل هذه الاعراض ان هى الا صراخ الخلايا الحية فى طلب الماء !

ولنبدأ بالخلية ، وهى وحدة البناء فى كل كائن حى ، فنجد أن ثلثى وزنها على الأقل ليس الا ماء سائلا ، وباقى مكوناتها ليس الا أملاحا ذائبة أو حبيبات معلقة فى هذا الماء .

فاذا أمكن أن نتصور هذه الخلية المتناهية فى الصغر ، بحرا عجاجا ، فان نسبة ما فيها من حبيبات وذرات لا تزيد على نسبة ما فى البحر من أسماك وأعشاب ، اذا قيست الى مياهه الطامية المترامية الى ما وراء الأفق فى كل اتجاه !!

واذا ما فقدت الخلية محتواها المائى بالتبخير ، أو فقد ماؤها صفة السيولة بالتبريد الشديد .. فهذه عملية أشبه بتجفيف البحر أو تجميده الى اعماق أعماقه .. فكما تموت كل أحياء البحر اذا جفف أو جمد ، فكذلك تتوقف جميع مظاهر الحياة فى الخلية اذا فقدت ماءها .. وتستحيل عناصرها أملاحا جامدة لا فرق بينها وبين أملاح البحر المترسبة فى الملاحات ، ولا قيمة لها اكثر من قيمة التراب الذى ندوس عليه !!

— ٢ —

ثم ننظر الى أجسامنا ، وكيف تؤدى وظائفها .. فنجد ان الطعام الذى نأكله ، لا يتم هضمه الا فى وجود الماء .. ولا يتم امتصاصه الا اذا كانت عناصره المهضومة ذائبة فى الماء أيا كان مصدره ، سواء أكان الماء الذى نشربه ، أو الذى نضيفه الى الاطعمة أثناء الطهى ... أو ما دخل فى تركيبها من الاصل وبخاصة الخضر والفواكه العصيرية .

وبعد الهضم والامتصاص تبقى النفايات التى تؤذى الجسم اذا بقيت فيه ، وهذه لا يمكن طردها خارج الجسم الا اذا كانت على نسبة معقولة من الرطوبة ... ومما يقرره الاطباء أن أغلب حالات الامساك سببها الاكل الجاف ، وعلاجها ميسور اذا تناول المريض بها كثيرا من عصير الفاكهة وغيره من السوائل .

ثم يدور الغذاء دورته فى أجسامنا .. فيتم تمثيله مادة حية تعوض التالف والمستهلك من أنسجة الجسم ... أو تحرقه لتولد منه الدفء والطاقة اللازمة للحركة والتفكير وسائر المناشط ... وكما يتخلف الرماد عن الفحم بعد احتراقه ، تتخلف عن الغذاء بعد احتراقه نواتج سامة لابد من التخلص منها ..

ومرة أخرى يأتى دور الماء ... فهو الذى يغسل خلايانا من نواتج الاحتراق ، ويخلصها منها أولا بأول على شكل عرق أو بول .. ولولا وجود الماء الجارى بنسبة عالية فى دمائنا

لتوقفت هذه المواقد الحية عن أداء وظائفها .. وانطفأت جذوة الحياة فيها كما تنطفىء جذوة الفحم فى الموقد اذا تراكم عليها الرماد ..

- ٣ -

فاذا ماانتقلنا الى عالم النبات وجدناه يؤدى وظائف لا نظير لها فى الانسان والحيوان ... وهذه أيضا لا تتم الا فى وجود الماء ...

ولنبدأ قصة النبات من أولها ...

أول كل نبات بذرة ساكنة لا يبدو عليها اى مظهر من مظاهر الحياة .. وتظل هكذا شهورا أو أعواما طالما لم يصبها الماء .. فاذا مسها الماء انشقت ، وأنبتت ... ذلك أن الماء الذى تمتصه قد حول رصيدها الغذائى الى صورة قابلة للذوبان ، يمكن أن يستفيد منها الجنين الساكن المدفون فى أعماقها ... فيدب فيه النشاط ، ويمتد الجذر فى ناحية : والساق والأوراق فى ناحية .

فاذا ما نفد رصيد البذرة من الغذاء ، وأصبحت قشرة خاوية كان لا بد للبادرة الغضة النابتة منها من مصدر آخر للغذاء ، لكى تستمر فى النمو ... ذلك المصدر الجديد هو عناصر التربة ، وعناصر الهواء .. فأما عناصر التربة فلا يمكن أن تمتصها الجذور الا مذابة فى الماء الذى نسقى به الزرع من حين الى حين ... وتتوقف استفادة النبات من هذه العناصر على نوع التربة ومدى قدرتها على الاحتفاظ بماء الرى بين حبيباتها فترة تسمح باذابة أكبر قدر من هذه العناصر ...

فبالماء وحده يمكن أن تنتقل البذرة من حالة الركود وتدب فيها أول مظاهر الحياة ، وبالماء وحده تنتقل عناصر التربة الميتة الى عروق النبات فتصبح جزءا من جسمه الحى .. فاذا بكل بذرة صغيرة جامدة تصبح دوحة ممتدة الفروع زاهية الأوراق ، ناضرة الزهور دانية القطوف !!

« وترى الأرض هامدة ، فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج » .

هذا عن عناصر التربة .. أما عناصر الهواء فأمرها أعجب !!

فقد خص الله النبات الابكم المقيد بما يعجز عنه الانسان الناطق المفكر !!

ذلك أنه من بخار الماء المنتشر فى الجو ، ومن غاز الفحم الذى ننفثه مع هواء الزفير الفاسد ومن سجائرنا ، كما تنفثه مداخن المصانع والافران .. من هذين تصنع أوراق النبات الخضراء المواد النشوية اللازمة لحياته وحياة الانسان والحيوان على حسابه ... وفى نفس الوقت تمتص الرطوبة الزائدة من الجو ، وتنقيه من مخلفات تنفس الاحياء ودخان المصانع .. ولولا وجود النباتات الخضراء على الارض لفسد الهواء واختنقت به الاحياء جميعا من آلاف القرون !

وأوراق النبات الخضراء هى فى الحقيقة أعجب معمل كيميائى عرفه العلم ... ففيها تصنع المادة الغذائية الصالحة من الماء والهواء الفاسد ... وفيها تنضج العصارة القادمة من التربة ، وتمتزج هذه وتلك ثم تجريان معا فى أوعية جديدة لتغذية سائر أجزاء النبات ، ويختزن الفائض منها فى ثماره التى جعلها الله متاعا لنا ولأنعامنا ... نستمتع بما لذ وطاب منها على اختلاف ألوانها ومذاقها ونكهتها ورائحتها ... وهى جميعا تسقى من ماء واحد ، وتنبت متجاورة فى طينة واحدة !!

لقد خلق الله الأحياء جميعا ، وجعل الماء ضرورة لاستمرار حياتها كما جعله من قبل ضرورة لبث الحياة فيها .. فنحن وكل ماحولنا من حيوان أو نبات راق أو دنىء ، لم نكتسب صفة الحياة الا بامتزاج الماء بذرات أجسادنا .. ولا نستطيع أن نمارس الحياة فى أية صورة من صورها أو أى مظهر من مظاهرها الا فى وجود الماء ..

وفى ذلك شاهد على قدرة الخالق الاعظم ... تلك القدرة القادرة التى لايتسامى الى اعجازها ايمان المؤمنين ، ولاينال من حقيقتها انكار المنكرين !

« أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ، وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنون ؟ » .

الإسلام وآيات الله فى الكون

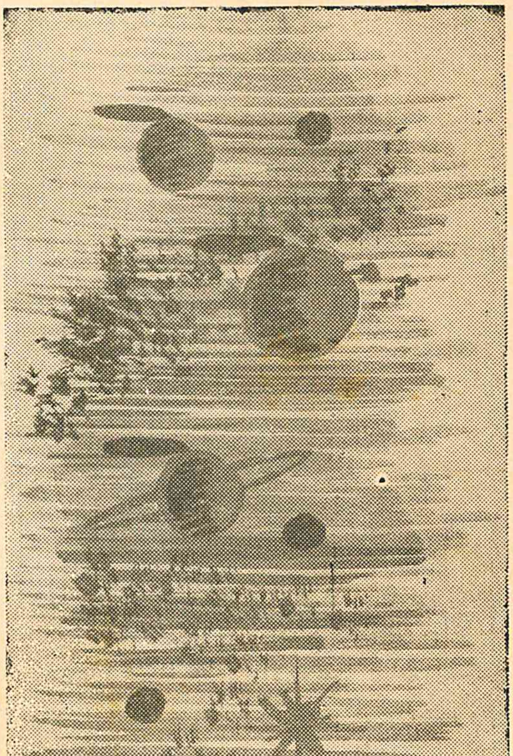

فضيلة الشيخ عبدالله المشد

لقد تميزت السنوات القليلة الماضية بكثرة التجارب النووية ، واطلاق الصواريخ العابرة للقارات ، والأقمار السابحة فى الفضاء ، وتنافس الدول الكبرى فى دراسة الطبقات العليا الجوية ، والسبق الى الوصول الى الكواكب الأخرى ، والناس فى وسط هذا الصراع خائفون وجلون أن يوجه هذا النشاط الى تدمير الحضارة التى تعبت فيها البشرية عشرات القرون ، وأن تودى وأن ترجع بالانسانية الى عهود الفوضى والهمجية الأولى.

ويعجب الكثيرون من هذه الجرأة التى حملت هذه الدول على التطاول الى السماء ومشاركة الكواكب فى الفضاء ، ويظنون أن ذلك تحد للقدرة الالهية ، ومنكر لا ينبغى أن يقف المتدينون مكتوفى الأيدى حياله .

والواقع أن هذا جهل من هؤلاء بمهمة الديانات وموقفها من حقائق العلم ، وجهل منهم بواقع الحياة وسنة الكون ، وقصور منهم عن مسايرة ركب الحضارة والمدنية .

لقد خلق الله الانسان وجعله خليفة فى الأرض ، وسخر له جميع الكائنات ، وأمده بالامكانيات والاستعدادات ليعمر هذا الكون كما أراد الله ، ونصب له من الدلائل والاعلام ماينير له الطريق ويقيه العثرات . يقول الله تعالى :

« هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا » . ويقول : « وسخر لكم مافى السموات وما فى الأرض جميعا منه » .

ولم يكتف ببيان هذه الحقيقة بل أمر الانسان بالافادة مما سخر له ، واستخدامه لخير البشر .

« قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » . « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء » ، « أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب » .

وبين أن فى هذا الكون آيات وعبرا توثق صلة الانسان بربه ، وتقيم سلوكه على النهج القوى . داعيا الى تأملها والانتفاع بأسرارها .

« وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفا ألوانه . ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون » . **« ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون »** .. ناعيا على من لم يتأملها وأعرض عنها .. **« وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون »** .

ومن آيات القرآن ما يفيد فى صراحة ووضوح أنه لا يصل الى اليقين بالله ، والايمان بعظمة هذا الكون وقدرة خالقه الا العلماء بأسرار هذا الوجود الباحثون عن جوانب العظمة فيه .. اسمع قول الله سبحانه : **« ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها . ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك . انما يخشى الله من عباده العلماء »** .

انما يخشى الله من عباده العلماء الذين درسوا قوانين التبخر والتكاثف وتفاعل العناصر وتركيب المادة ، وعرفوا قوانين الجاذبية والضغط والحرارة .. انهم هم الذين عرفوا كيف يتبخر الماء ، وكيف يتكثف بتأثير الطبقات الباردة . تتحد الذرات والعناصر فيكون أخيرا هذا الماء الذى ينزل من السماء . **« ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق - المطر - يخرج من خلاله ، وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار »** .

انما يخشى الله من عباده العلماء الذين يعرفون أثر الماء فى نمو الزرع وامتصاص جذور كل نبات ما يناسبها من العناصر ، وكيف تتكون الزهور وتتطور الى ثمار متشابهة وغير متشابهة . لها ظواهرها الخاصة عند مبدأ تكونها وعند ينعها ونضجها .. **« انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه »** ، **« وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان . يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل . ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون »** .

انما يخشى الله من عباده العلماء الذين ينظرون الى الجبال وجددها ويدرسون هضابها ووهادها وما فيها من منحدرات وما تضمه من وديان ، وما تحويه من أحجار ومعادن وعناصر ومواد مختلفة بيض وحمر وغرابيب سود .

انما يخشى الله من عباده علماء الحيوان والطب والتشريح ، وعلماء الأجناس والسلالات البشرية وعلماء النفس والتربية والاجتماع ، الذين يدركون ما فى الناس والدواب والأنعام من عناصر وآثارها العضوية ، ومن خصائص تحدد فصائلها وسلالاتها ، وما يسيطر عليها من غرائز وميول واتجاهات ، وما يؤثر فيها من عوامل الوراثة والبيئة والمؤثرات الأخرى .

آية واحدة تدعونا فى قوة وصراحة الى العلم والتعمق فى الدراسة والتخصص فى الفروع المختلفة . والافادة من التأمل والنظر والبحث والتجربة ، وبقدر ما يكون عند الأمم من آثار ونتائج وتطبيقات لهذه المعارف يكون تقدمها وتكون هيبتها بين الأمم .

ولقد امتثل المسلمون الأولون الذين فهموا هذه النصوص وعرفوا حكمة التشريع، وأدركوا رسالتهم فى الحياة . امتثلوا أوامر الدين ، وأقبلوا على العلم فى نهم ، ونبغ الكثير منهم فى فروعه المتعددة ، واكتشفوا حقائق فى علوم الطبيعة والكيمياء والرياضة والفلك ، وأفادوا من تطبيق هذه العلوم وجذبوا بذلك انتباه الدول والأمم الأخرى ، وتتلمذ علماء أوروبا على علمائهم فى الأندلس والعواصم الأخرى ، واحتك الغربيون بهم فى الحروب الصليبية ، واتصلوا بهم فى المجالات الاقتصادية والسياسية ، فكانت من هذه الاتصالات ومن تلك المعارف نواة النهضة الأوربية الحديثة . فأقبل رجالها على العلوم يغترفون من مناهلها ، وتوجهوا فى أنحاء

المعمورة يكتشفون مجاهلها .. ونزلوا الى باطن الأرض يستخرجون كنوزها ، والى أعماق البحار يسبرون غورها ، والى طبقات الجو يدرسونها ويسبحون فيها .. ثم أخيرا الى الكواكب يتنافسون على احتلالها واكتشاف أسرار الحياة فيها . وأخشى ما نخشاه من هذا الصراع أن يقود العالم الى الهاوية ما دام لم يعصمه خلق ، ولم يوجهه دين .

اطمأن المسلمون الى أن كل هذه الاكتشافات وجميع ما حصل عليه الناس من معارف وما أبدعوه من اختراع . يزيد المؤمن ايمانا بربه ، ويبعث غيره على التأمل والتفكير ليذعن الى خالقه وتساعد كل هذه العلوم وجميع ظواهر المدنية على تفسير كثير من الحقائق الدينية والآيات القرآنية - التى لم تسعف من سبقنا - الأداة العلمية الخاصة التى تفسر على ضوئها هذه الآيات .

« **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** » .

ومهما بلغ هؤلاء فى عالم الكشف والاختراع فانهم جميعا لا يتعدون دائرة العجز والقصور بالنسبة الى سعة كون الله ، والى ما فيه من اسرار لاتزال طى الخفاء : ((**وما أوتيتم من العلم الا قليلا**)) . ولن يصلوا مطلقا الى أن يضاهوا خلق الله الذى أتقن كل شىء ... « **خلق السموات بغير عمد ترونها ، وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم ، وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم . هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين** »

وليؤمن هؤلاء المتنافسون بأن قدرة الله فوق قدرهم ، ولن يستطيعوا بذلك أن يتحدوا من خلقهم من ضعف ، وقبض أنفسهم بيده ، ودانت له كل المخلوقات : « **وما يعلم جنود ربك الا هو** » .

فان موجة من برد كفيلة بتعطيل أعمالهم وان لفحة من حر تقضى على حياتهم ، وان هزة من الأرض تجعل عاليهم سافلهم . ألا ان عادا من قبلهم قد استكبروا فى الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة . ونسوا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة . فأهلكهم الله بريح صرصر عاتية سخرها عليهم ، وان قارون قد طغى وقال انما أوتيت المال على علم عندى . ناسيا أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا . فخسف به وبداره الأرض .

وان فرعون علا فى الأرض .. وقال للناس ما علمت لكم من اله غيرى ، فأخذه الله نكال الآخرة الأولى وجعله سلفا ومثلا لآخرين .

لا يجمل بنا - وقد رأينا ما فى القرآن من دوافع للعلم والعمل والانتاج والقوة - أن نقف مكتوفى الأيدى وسط هذا الصراع العنيف فى عالم الكشف والاختراع والتسلح والتطور .

ان هؤلاء الذين تبهرنا حضارتهم بشر مثلنا . ولا ينبغى أن نقنع من الحياة أمامهم بالتفرج والتعليق على مخترعاتهم . بل لا بد من النزول الى الميدان والأخذ بأسباب القوة والتسلح بكل سلاح عصرى حديث .

لا ينبغى أن نعلن دائما أننا أصحاب حق وحسب فان الحق الذى أنزل به القرآن يقول : « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة** » .. لا بد للحق من حارس يحميه ، ومن قوة تدفع عنه كيد الضالين الذين هم أعداء الله وأعداء الانسانية قبل أن يكونوا أعداء لنا بالذات .. « **ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم** » .

ولئن كان النبى - صلى الله عليه وسلم - قد فسر القوة فى الآية بالرمى بالنبال فلأنه كان أحدث سلاح عند قومه . فان القوة فى عصرنا الحاضر شىء آخر . ولو أنه بعث فى القرن العشرين ونزلت عليه هذه الآية لفسرها بالقنابل واطلاق الصواريخ والتمرين على كل سلاح حديث .

فخذوا من العلم ما استطعتم واحرصوا على ما ينفعكم . ولا تعجزوا . فالمؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف .

واحكموا الدنيا بسلطان فما
خلقت نضرتها للضعفاء
واطلبوا المجد على الأرض فان
هى ضاقت فاطلبوه فى السماء

احياء المفاهيم الاسلامية

الدكتور عبد الحليم محمود

من القصص ذات المغزى العميق ، مايروى عن شاعر الاسلام محمد اقبال من أنه كان متعودا أن يقرأ القرآن بعد صلاة الفجر بصوت مسموع . وذات يوم سأله والده - وكان عائدا من صلاة الفجر فى المسجد - عما يصنع ؟

فأجاب اقبال فى نوع من الدهشة والاستغراب المهذب الذى لايكاد يلمح : أقرأ القرآن . وكان استغراب اقبال طبيعيا : ذلك أن والده كان يعلم أنه يقرأ القرآن ، وكان لذلك فى غنى عن أن يسأل أو يستفسر .

وانصرف والده حين سمع الاجابة . ولكنه عاد فى اليوم التالى ، فى نفس الموعد ، وفى نفس الظروف ، وسأل نفس السؤال ، فأجاب شاعرنا الاجابة نفسها ، التى كانت بالأمس فى شىء من الدهشة يزداد ، وفى نوع من الاستغراب يتكاثر . وانصرف الوالد الى غرفته وفى عينيه دلائل من الحزن لاتكاد تظهر وفى اليوم الثالث حدث نفس الأمر ، وتكرر فى اليوم الرابع ، والخامس ، والسادس ... وكان حياء محمد اقبال من والده واكباره له يمنعه من أن يقول له : لم تسألنى وأنت بما أعلم خبير ؟ ولما طال الأمر تجرأ الشاعر المهذب ، فسأل والده فى رفق ، وأدب سام ، عما يدعوه الى هذا السؤال ؟

فأجاب الوالد في صوت من الروحانية السامية :

أردت أن أفهمك ، أن قراءة القرآن لاينبغى أن تكون على هذا النسق ، وانما ينبغى أن تقرأ القرآن وكأنك تتلقاه من السماء ، اقرأه وكأنه ينزل عليك ، اقرأه بقلبك ، لا بلسانك اقرأه وأنت تشعر أنك تناجى الله به .

ان ماحدث بين محمد اقبال ووالده ، انما هو مثال واضح لمختلف مواقفنا من التراث الدينى على وجه العموم .

لقد أصبح هذا التراث مجرد أشكال ورسوم ، تؤدى بطريقة آلية لاتتسم بالحياة النابضة القوية ، فالصلاة مثلا أصبحت وكأنها مجرد حركات من قيام وجلوس ، وتحريك لسان ، أو هى لاتكاد تكون الا كذلك !!
والصيام أصبح وكأنه مجرد امتناع مادى عن المأكل والمشرب .... وهكذا فى جميع الأجزاء التى يتكون منها الدين .

ومما لاشك فيه أن ذلك خير من العدم المحض : ذلك انه اذا وجدت الاشكال والرسوم فانه من الجائز أن تدب فيها الحياة من جديد يوما ما .

ومما لاشك فيه أنه اذا كان مظهر الاشكال الرسوم هو السمة العامة التى تسود اليوم فى الأغلبيةمن المتدينين على وجه العموم . فانه مما لاشك فيه أنه - كما يروى عن رسول الله صلوات الله عليه فيما رواه عنه معاوية : -

« لايزال من أمتى أمة قائمة بأمر الله ، لايضيرهم من خزلهم ، ولا من خالفهم ، حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك »

وعن هؤلاء وبواسطتهم يستمر الأملفى أن تدب الحياة من جديد فى الرسوم والأشكال .

ومسألة القوة والضعف فى الشعور الدينى مثلها كمثل القوة والضعف فى الشعور بالنسبة للآراء .

والمبادىء البشرية فى المبدأ يكون الاتباع والأنصار متحمسين ينطوون على روح الفدائية والتضحية، ثم يكون الفتور شيئا فشيئا حتى ينتهى الأمر بأن تصبح - على مر الزمن - المبادىء مجرد أشكال ورسوم .

ولكن ذلك اذا كان طبيعيا فى الآراء البشرية ، لانها تبلى وتندثر وتنتهى ، ولها كما للبشر ميلاد وتطور وفناء ، فانه من غير طبيعى فى القواعد والمبادىء الخالدة الثابتة على مر الدهور والأعوام ، لأنها معصومة عن الخطأ ، ثابتة على مر الزمن .

ويأتى ضعفها فى النفوس - اذن - نتيجة لاهمال القائمين عليها ، أو لفتور الواعين والفاهمين للدين على حقيقته ، وكان من حكمة اللهتعالى ، أنجعل الأمر بالمعروف ، والنهىعن المنكر ركنا من أركان الاسلام وكان من رحمة الله أن تكفل بحفظ القرآن نبعا فياضا صافيا ، لاينضب ولا يبلى ، فمثله فى الأمة الاسلامية مثلالرسول الدائم القائم على شريعة الله مبينا لها ، ومنيرا طريقها .

ومع ذلك فان تخاذل الأمة الاسلامية : أقطارا وأفرادا ، انتهى بأمر الدين الى هذا المظهر الذى نراه الآن : أشكالا ورسوما أو « يكاد لا يعدو أن يكون أشكالا ورسوما ·

وهذه الكلمة ومايتلوها ليست،الا مساهمة بقدر الاستطاعة ، فى احياء المفاهيم الاسلامية وكل أملنا أن تكون باعثا للأقلام المستنيرة على تناول هذا الجانب على صفحات منبر الاسلام الفراء تحقيقا لرسالة « المجلس الاسلامى » السامية .

ونبدأ - وبالله التوفيق - من ذلك بكلمة « اسلام » نفسها : وهذه الكلمة الكريمة فى نفسها ، والكريمة فى نفس كل من يفهمها على حقيقتها ، والكريمة على الله : هذه الكلمة ، اذا أطلقناها الآن ، وطلبنا معناها ، اتجه ذهن الأغلبية العظمى ، من القائلين والسامعين الى المعنى الشكلى البحت ، واتجه ذهنهم الى الآية الكريمة :

« قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ، ولكن قولوا أسلمنا »

ويقولون - اذن - ان الاسلام : « هو الاعتراف باللسان سواء حصل معه الاعتقاد - أم لم يحصل ، وبه يحقن دم المعترف ، وهو - اذن - دون الايمان » .

ولاتكاد تجد معنىآخر ، اذا طلبت التعريف أو حاولت الفهم .

والمعنى ، السابق ، هو لاشك من معانى كلمة اسلام ، ولكنه المعنى الشكلى . وهو ايضا المعنى البغيض فى كثير من الأحيان ؛ وهو المعنى الذى كان يتحقق فى المنافقين ، وأهل الرياء والخديعة ..

ولكن الاسلام أسمى ، من ذلك وأجل ·وهو فى ذروته العليا ، وغايته السامية يتمثلفيمن وصفهالقرآن بانه اول المسلمين - صلواتالله عليه ، وكان صلوات الله عليه أول المسلمين لأنه حقق المعنى العميق الشريف الذى أراده الله من الاسلام · فكان تحقيقه له كاملا علة كونه أول المسلمين ·

أما هذا المعنى الكريم فهو ·

« قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لاشريك له ، وبذلك أمرت ، وأنا أول المسلمين »

فالاسلام هو أن تكون فى كل ماتأتى وما تدع قاصدا وجه الله ، هو أن تكون حياتك كلها لله ، وليست الحياة وحدها ، وانما الممات أيضا .

والمسلم هو من وهب نفسه لله فى قيامه وجلوسه ، وفى نومه ويقظته ، وفى حديثه وصمته ، وفى غضبه ورضاه ، وفى صداقته وعداوته ، وفى بيعه وشرائه ، وفى عمله وراحته ، وفى كل نفس يتنفسه ، أو طرفة عين يطرفها .

أما من ليس كذلك ، فانه بعيد عن الاسلام بمقدار بعده عن هذه المعانى .

ولسنا نقصد ببعده عن الاسلام ، أنه كافر وانما نقصد أنه لم يحقق المعنى الصحيح للاسلام .

والاسلام بهذا المعنى هو : « الدين »

فالدين هو : الطاعة والخضوع ، والانقياد والاستسلام ، لله سبحانه وتعالى . وكأننا وقد اتحد معنى الدين فى وضعه الصحيح ، ومعنى الاسلام فى وضعه الصحيح — اذاأطلقنا لفظ دين لاينصرف الا الى الاسلام . والأديان الأخرى عادة تسمى باسم الرسول الذىأوحى اليه أو المكان الذى نزلت به ، أو الجنس الذى نزلت فيه ، ولكن الاسلام وهو العالمى ، لم يسم تسمية محدودة ، انه ((الدين)) فى معناه العام وفى سعته الشاملة ، وفى خلوده الدائم والاسلام لأنه « الدين » ، ولأنه هبة الانسان حياته ومماته لله ، هو دين الأنبياء جميعا ، وقد أمر الله به الأنبياء والمرسلين ، ووصى به المرسلون — كمثل أعلى للمتدين — أتباعهم المخلصين .

ومن هنا كان موقع الآية الكريمة ، وكانت روعتها **((ان الدين عند الله الاسلام))** .

وعلى هذا فالهدف الذى يجب أن يسعى المسلم لتحقيقه حتى يكون مسلما حقا انما يتمثل فى الآية الكريمة ، التى نقرأها عادة فى افتتاح الصلاة ، ونمر عليها عابرين ، لانفكر فيها ، ولانعمل على تحقيقها :

« قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ، ومماتى لله رب العالمين ، لاشريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين .

رجال ومواقف ..

أبو الدرداء

فضيلة الشيخ منصور رجب

أبو الدرداء من أفاضل الصحابة وفقهائهم وحكمائهم رضوان الله عليهم . و « الدرداء » اسم ابنته . فاشتهر بكنيته : أما اسمه فـ « عويمر » وقيل : عامر . وصغر فصار ((عويمر)) روى عنه ((أنس بن مالك)) و ((فضالة ابن عبيد » و « أبو أمامة » و « عبد الله بن عمر » و « ابن عباس » و « أبو ادريس الخولانى » و « جبير بن نفير » و « ابن المسيب » وغيرهم . تأخر اسلامه . فلم يشهد بدرا وشهد أحدا . وقيل لم يشهدها بل أول مشاهده الخندق . وآخى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بينه وبين سلمان الفارسى . ولى قضاء الشام لمعاوية من قبل عمر . وقيل من قبل عثمان وكان من نظام الدولة يومئذ أن يكون القاضى خليفةالأمير اذا غاب . **وأبوا الدرداء من الذين جمعوا القرآن حفظا على عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم —** . ومن الذين كانوا يفتون على عهده — صلوات الله عليه — وهو أنصارى خزرجى. وكان أقنى . أشهل .. يخضب بالصفرة . وعليه قلنسوة وعمامة قد طرحها بين كتفيه . والأصح والأشهر والاكثر عند أهل العلم أنه توفى فى خلافة عثمان وقبله بسنتين : سنة ثلاث أو اثنتين وثلاثين بدمشق .. وقيل توفى بعد صفين سنة ثمان أو تسع وثلاثين .. هذا أبو الدرداء من الجهة الرسمية ...

نعود اليه — رضوان الله عليه — من جهة أو من جهات أخرى فنتساءل أولا : لماذا أضفى عليه النبى — صلى الله عليه وسلم — لقب «حكيم الأمة » من بين الصحابة كلهم — رضوان الله عليهم أجمعين — ؟ ..

الخاصية التى امتاز بها أبو الدرداء أو غلبت عليه من بين الصفات كلها هى :« التامل

"عويمر حكيم أمتي"

"حديث شريف"

المحض » : قيل لأم الدرداء : ماكان أكثر عمل أبى الدرداء ؟ .. فقالت كان عمله التفكر والاعتبار . فكان أبو الدرداء يتأمل كل شيء ويأخذ العبرة من كل شيء . ويعطى درسه عند كل شيء . وهذه صفة الحكيم : مر عليه مرة ثوران وهما يعملان فقام احدهما ووقف الآخر . فقال : « ان فى هذا لمعتبرا » :

وقال له رجل مرة : ياأبا الدرداء : مالكم يامعشر القراء أجبن منا . وأبخل اذا سئلتم . وأعظم لقما اذا أكلتم . فأعرض عنه . ولم يرد عليه . فبلغت المسألة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فسأله عنها . فقال له أبوالدرداء : يا عمر . اللهم غفرا . وهل كل ماسمعناه من الناس نأخذهم به ؟ ..فانطلق عمر الى الرجل الذى قال لأبى الدرداء ماقال، فأخذه عمر بثوبه وخنقه وقاده الى النبى - صلى الله عليه وسلم - فقال الرجل : انما كنا نخوض ونلعب . فنزل قول الله تعالى : « ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب » .

وأدلج ذات ليلة الى المسجد . فمرعلى رجل ساجد وهو يقول : اللهم انى خائف مستجير فأجرنى من عذابك . وسائل فقير فارزقنى من فضلك . لا مذنب فأعتذر . ولا ذو قوة فأنتصر . ولكن مذنب مستغفر .. فأصبح أبو الدرداء يعلمهن أصحابه اعجابا بهن .. وهكذا كان أبو الدرداء يفكر فى كل شيء ويقف عند كل شيء . ويأخذ العبرة من كل شيء . ويعطى درسه عند كل شيء .. وهذا شأن الحكيم .. وبمناسبة ما اشتهر به أبو الدرداء من فضيله « التأمل » أقول : ان « أرسطو » يجعل السعادة أو أرقى أنواع السعادة فى هذه الفضيلة : فضيلة « التأمل » ذلك لأن السعادة ليست عادة . فالعادة جامدة أما السعادة فمتجددة وليس بمجتدد كالتامل. هذا من ناحية ومن ناحيةأخرى لأن التامل فعل الجزء الأحسن من ذاتنا مادام الفهم هو انفس الأشياء التى فينا . وبمقدار سمو هذا الأصل القدسى يكون سمو فعل هذا الأصل. فيلزم الانسان أن يفعل كل ما يستطيع ليحيا حسب أشرف جزء فيه . وهم الفهم والتفهيم .. أو العلم والتعليم .

أبو الدرداء كان من أولئكم الحكماء الذين فمهوا الحياة للفهم ذاته أولا . وليأتى فعلهم مطابقا للفضيلة ثانيا .

فكان بفهمة وعقله وبعلمه وعمله أقدر على تعاطى الحكمة ، فسماه النبى صلى الله علبه وسلم - حكيم الأمة فقال :

« عويمر حكيم أمتى » « ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » وبلغ من تأثر أبى الدرداء « بالتأمل » أنه كان يقول :

« تفكر ساعة واحدة خير من قيام ليلة بأكملها » بل كان يقول : « مثقال ذرة من بر صاحب تقوى ويقين أعظم وأفضل وأرجح من أمثال الجبال من عبادة المغترين » . وهكذا كان أبو الدرداء - رضوان الله عليه - يعبد الله بالكيف لا بالكم من قبل أن تعرف لغة العرب فلسفة الكم والكيف فى الكتب وبين جدران الجامعات : أدرك ذلك بفطرته الصافية فكان حكيم الفلاسفة وفيلسوف الحكماء .

كان الخير عنده فى كلمتين اثنتين ! «الحلم» و « العلم » وليس بعالم من لايعمل بعلمه ، ومن كلماته الدالة على مذهبة هذا قوله :

« ليس الخير أن يكثر مالك وولدك . ولكن الخير أن يعظم حلمك . ويكثر علمك . وأن تبارى الناس فى عبادة ربك . فان أحسنت حمدته . وان أسات استغفرته . ولاتحقرن شيئا من الخير ان تفعله . ولا شيئا من الشر أن تتقيه .

وبلغ من دعوته الى العلم أنه كان يرى الناس فى رجلين : عالم . ومتعلم أما مادون ذلك فهم عنده « همج » لا خير فيهم . وكان يرى أن شر الناس من يقول لصاحبه :

« اذهب بنا نأكل ونشرب ونلهو قبل أن نموت » .

كان لا يرى تقيا من لم يكن عالما . ولن يكون العالم بالعلم جميلا حتى يكون به عاملا. ومن الفقه عنده أن يعرف الانسان كيف يمشى . وكيف يدخل على الناس . وكيف يخرج من عندهم . وكيف يجلس مع أهل العلم . وأن تعلم أن قليلا يغنيك خير من كثير يلهيك . وكان من دعائه : « **اللهم انى أعوذ بك من تفرقة القلب** » فقيل له : وما تفرقة القلب ؟ .. قال : أن يوضع لى فى كل واد مال .

كان يكره أولئكم الذين يقابلونك فى الطريق فيقبلون يدك ويقولون لك .. « ادع لنا » : قابله مرة واحد من أولئك وسأله الدعوات فقال له : « لأحسن السباحة وأخاف **الغرق** » .

له رأى فى سياسة الناس يقول : **معاتبة الأخ خير من فقده . ومن لك بأخيك كله . اعط أخاك . ولن له . ولا تطع فيه حاسدا فتكون مثله . ولا تكلفوا الناس مالم يكلفوا. اما رأيه فى سياسة النفس فيقول: انك لاتفقه كل الفقة حتى تمقت الناس فى جنب الله ، ثم ترجع الى نفسك فتكون لها أشد مقتا منك للناس ، كتب الى أخيه فى الله سلمان الفارسى كتابا يعتبر دستورا فى سياسة المجتمع قال : ياأخى : ارحم اليتيم وادنه منك وأطعمه من طعامك فانى سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول وقد أتاه رجل يشتكى قساوة قلبه ـ فقال له رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « أتحب أن يلين قلبك ؟ .. فقال : نعم . قال : ادن اليتيم منك . وامسح رأسه . وأطعمه من طعامك . فان ذلك يلين قلبك وتقدر على حاجتك . ويا أخى لا تجمع مالا تستطيع شكره . فانى سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « يجاء بصاحب الدنيا يوم القيامة ـ الذى اطاع الله تعالى فيها وهو بين يدى ماله وماله خلفه . كلما تكفأ به الصراط قال له ماله : امض فقد أديت الحق الذى عليك . ويجاء بالذى لم يطع الله فيه .وماله بين كتفيه فيعثره ماله . ويقول له : ويلك هلا عملت بطاعة الله عز وجل فى ؟.. فلا يزال كذلك حتى يدعو بالويل وياأخى انى حدثت أنك اشتريت خادما . وانى سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : لا يزال العبد من الله وهو منه مالم يخدم . فاذا خدم وجب عليه الحساب. وان أم الدرداء سألتنى خادما ـ وأنا يومئذ موسر ـ فكرهت ذلك لما سمعت من الحساب . ويا أخى من لى ولك بأن نوافى يوم القيامة ولا نخاف حسابا. رواه ابن جابر . والمطعم بن المقدام عن محمد بن واسع .**

هذا الخطاب فيه اشارة الى مقاييس الأخلاق فى المجتمع الاشتراكى والمجتمع الرأسمالى : المجتمع الاشتراكى يؤدى الانسان فيه حق المال الذى عليه للفقير والمسكين : المجتمع الاشتراكى يرحم الانسان فيه الناس ولا يكلفهم مالم يكلفوا : المجتمع الاشتراكى لا يجمع الانسان فيه من المال مالا يستطيع شكره : المجتمع الاشتراكى يدنى الانسان فيه منه اليتيم ويشعره بالعطف والحنان. ويطعمه مما يأكل : المجتمع الاشتراكى على الجملة رحيم متخفف عادل .. أما المجتمع الرأسمالى ففيه مباراة فى كنز المال وادخاره : يرى الفرد فيه أن ما اكتسبه من المال فهو له وحده . ولا نصيب فيه لليائس والمحروم الا ما يقدمه لهم الغنى بيده تفضلا لا حقا واجبا : المجتمع الرأسمالى مجتمع استغلالى نفعى مستبد شره فى سبيل جمع المال وادخاره .. وهذا الخطاب فيه اشارة ظاهرة واضحة الى ماينبغى أن يكون عليه المجتمع الاسلامى من حب وعطف وحنان.. فهل لنا أن نسترشد بقول من سماه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حكيم الأمة ؟ .. هذه هى آداب الاسلام وهذه هى مبادىء رسوله فى مجتمعه نذكر بها « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » وويل لمن يعلم ولا يعمل .

قال أبو الدرداء مرة ـ يخاطب أهل دمشق ـ : يا معشر أهل دمشق : ألا تستحيون ؟ .. تجمعون مالا تأكلون . وتبنون مالا تسكنون . وتأملون مالا تبلغون . قد

كان القرون من قبلكم يجمعـون فيوعون . ويأملون فيطيلون . ويبنـون فيـوثقون . فأصبح جمعهم بورا. وأملهم غرورا . وبيوتهم قبورا . هذه « عاد » قد ملأت ما بين عدن الى عمان أموالا وأولادا . فمن يشترى منى تركة عاد بدرهمين ؟.. رواه يحيى بن أيوب عن خالد بن يزيد عن سعيد بن هلال .

قيل لأبى الدرداء مرة : مالك لا تشعر . وليس رجل له بيت من الأنصار الا وقد قال شعرا ؟ .. قال : وأنا قد قلت فاسمعوا :

يريد المرء أن يعطى مناه
ويـأبى اللـه الا مـا أراد
يقـول المـرء فـائدتى ومالى
وتقـوى الله أفضـل ما استفاد

ويروى أبو نعيم - فى كتابه حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - قال : تفـرد أبو الدرداء من بين الصـحابة كلهم بأحـاديث ستة مسندة عن رسـول الله - صلى الله عليـه وسلم - :

١ - روى عن رسول الله صلى اللـه عليه وسلم - أنه قال : « **أجلوا الله يغفـر لكم** » ومعنى أجلـوا الله أى أسلموا له . وهذا الحديث اسمه حديث « الاجلال »

٢ - وروى عن رسول اللـه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : « **من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة** » فقال أبو الـدرداء لرسول الله صلوات الله عليـه : وان زنى وان سرق يا رسول الله ؟ قال : نعم . وان زنى وان سرق رغم أنف أبى الدرداء .

٣ - وروى حديث « الحب والمحبة » . قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: **اللهم انى أسألك حبك . وحب من يحبك . والعمل الذى يبلغنى حبك . اللهم اجعل حبك أحب الى من نفسى وأهلى والماء البارد** » .

٤ - وروى عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « **تفرغـوا من هموم الدنيـا ما استطعتم . فانه من كانت الدنيا أكبر همه جعل فقره بين عينيه . ومن كانت الآخـرة أكبر همه جمع الله له أموره وجعل غناه فى قلبه . وما أقبل عبد بقلبه الى الله تعالى الا جعل الله عز وجل قلوب المؤمنين تفد عليـه بالود والرحمة . وكان الله اليه بكل خيـر أسرع** » . **وهـذا اسمه حديث « التفـرغ والتخلى » .**

٥ - وقـالت أم الدرداء : قلت له - أى لأبى الدرداء : مالك لا تطلب لأضيافك كما يطلب غيرك لأضـيافهم ؟ .. فقال : لأنـى سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : « **ان أمامكم عقبة كؤودا لا يجوزها المثقلون** » **فأنا أحب ان اتخفف لتلك العقبة .** وهذا اسمه « حديث العقبة »

ونقتصر بهذا فلأبى الـدرداء غير حديث رواه عن سيد المرسلين محمد - صلى الله عليه وسلم -

كانت حياة أبى الدرداء - حكيم الأمة - أسلوبا ومثـلا : أما الأسلوب فكان ثـورة عارمة على كل ما يخالف هـذه المبادىء التى استمدها من عظيم العظماء محمد رسول الله - صلوات الله عليه - . وأما المثـل فكان لايترك آية زاجرة أو ناهية الا أخذ بفريضتها . وعاذ بالله من علم لا ينفع ونفس لا تشبع . ودعاء لا يسمع . وأخشى مايخشاه على الأمة زلة العالم . وجدال منافق بالقرآن والقرآن حق .

وعلى ضوء ما تقدم كان أبو الدرداء - يرى مقياس الرجولة . ولا يغتر بما دون ذلك من مال وجاه وسلطان . فقيمة الانسان تنبع من ذاته نفســه لا من شىء خارج عنه . فالرجل فى نظرة من تستمد قوته من ذاته لا من ماله وجاهه . وبلـغ من التمسـك بهذا المبدأ أن رفض أن يزوج الدرداء ابنته الى يزيـد بن معاوية . وزوجها رجـلا من ضعفاء المسلمين رأى فيه تحقق مثله . وانى لا أشك مطلقـا على مثل أبى الدرداء أن يرفض لابنته مثل يزيد بن معاوية - على ماله من جـاه مادام لا يراه عنوانا . غير أنى اتساءل : على أصـح الروايات توفى أبو الدرداء سنة ثلاث وثلاثين أو فيما قبلها . ويزيـد ولد سـنة ست وعشرين : فهل يمكن أن تكون هذه الخطبة ؟

وبعد .. فالحياة معركة : نصفها أن تعرف نفسك .. ونصفها الآخر مثل أعلى مناسب فى الحياة .. فاعرف نفسك وارسم مثلك .

من وحي الليلة المباركة

الأستاذ سليمان نجا الإبيارى

ولما أذن الله للفجر أن يطلع وللنـــور أن يسطع - أشرقت الأرض بنور ربها وأضاءت الدنيا بالهدى والايمان - وسرت البشرى فى تلك الليلة المباركة التى خلدها التاريخ بمولد الهدى - صلى الله عليه وسلم - وتوالت المعجزات التى عبرت أبلغ تعبير عن تغيير الاتجاه فى أمة العرب ودلت على أن الله سبحانه وتعالى - قد أراد لها - بل وللعالم أجمع - التحول من جاهلية وضلال الى هداية وايمان :

وآية ذلك فى تلك الليلة المباركة . أن اهتز ايوان كسرى - رمز الجبروت والطغيـان - فزلزلت أركانه وتصدع بنيانه وشعر كل من كان فيه بفزع وذعر وخوف شديد .

وأخمدت نار المجوس - رمز الشرك والضلال - بعد أن توالى اشعالها طوال السنين والأيام لأنهم كانوا يعبدونها ويمجدونهـا - فأطفأها الله بنور الايمان والاسلام .

وآيات أخرى كثيرة حدثت فى تلك الليلة أكدت تغير وجه التاريخ وتحول العالم من حال الى حال .

ولد الرسول الكريم - يتيما - وفى ذلك عظة وعبرة - لأنهم كانوا ينظرون الى اليتيم نظرة الضعف والانكسار - ولكن هذا اليتيم صنع المعجزات وجاء بالآيات البينـات وكتب التاريخ الجديد للعالم الجديد وقضى على الشرك والضلال والجبروت والطغيان ووطد مبادىء الحرية والمساواة والأمن والسلام ..

ولدته أمه آمنة بنت وهب وهى تتوقع أنها جاءت للعالم بسيد البشر وخاتم النبيين والمرسلين وأنها بذلك أصبحت السيدة الأولى بين نساء قريش أجمعين .

وعقب ولادته - صلى الله عليـه وسلم - تلقته السيدة ثويبة جارية عمـه أبى طـالب فأرضعته بعض الأيام - ثم خرجت به أمه الى سوق المراضع جريا على عـادة أشراف العرب وساداتهم وأهل الحضر منهم خاصة - اذ كانوا يدفعون بأولادهم الى المراضع فى البادية لأنهم كانوا يرون تعويدهم على حياة البدو والبادية لما فيها من رجولة وخشونة ولما يحيط بها من حرية وانطلاق ولأنها حياة الطبيعة - والفترة السليمة الخالية من كل زيف وتصنع .

وعرضته أمه على جمع منهن فرددنه فى لباقة ولطف ، وذلك لما علمنه من وفاة أبيه وانه بذلك لا مطمع لهن فيه - حتى حليمة نفسـها كانت ضمن اللواتى أظهرن هذا الاباء ..

ولعل بنى سعد كانت أشـهر قبيلة بكثرة مراضعها لخصوبة أرضها ووفرة ألبانها - تبعا لذلك - ولاعتدال مناخها وطيب هوائها مما يساعد على حسن النمو وكمال الصحة - ولأن القبيلة كانت تعيش بعيدة عن الحضر ومظاهره فكانت تحيا على سجيتها فى انطلاق نحـو الطبيعة وتشيع للحرية الكاملة والرجـولة الحقة ، وبذلك كان لهذه القبيلة فضل السبق على غيرها من القبائل فى هذا المضمار .

وكانوا يحضرون الى مكة فى أيام ومواسـم معروفة كى تحصل المرضعة منهن على وليـد لغنى من الأغنياء ، أو كبير من الكبراء يكون من ورائه مغنم لها ولأسرتها يساعدهم عـلى العيش ومطالب الحياة .

ومن أجل ذلك قلن جميعا . وقالت حليمة معهن - ما لنا وهذا اليتيم - فلا مال عنده ولا مغنم لنا فيه .

وأخذت كل مرضعة رضيعا اختارته وانطلقن جميعا الى ديار بنى سعد كل بما حملت وبقيت

حليمة وحدها لم يصادفها الحظ ولم تعثر على الرضيع المنشود ..

وحزنت حليمة لذلك لأنها كانت فى حاجة ملحة وضرورة قاسية ، ولأن رجوعها بغير رضيع فيه مهانة لها يجعلها موضع التندر والدراية بين اترابها . كل ذلك دفعها للعود الى ذلك الرضيع اليتيم وقبوله على ما به من يتم وفقر - وتمت ارادة الله تعالى . وكان لحليمة ما أرادت .

وماكانت حليمة السعدية - بنت أبى ذئيب - لتدرى أنها أصابت الخير والبركة وأن دارها قد حوت النور والنبوة وأن اسمها سيخلد فى التاريخ بين شهيرات النساء وأن الله - سبحانه وتعالى - قد رضى عنها حين أنالها تلك النعمة الكبرى ، وهذا الفضل العظيم .

وكانت أسرتها تتألف منها ومن زوجها الحارث بن عبد العزى وكنيته أبو كبشة - ومن بنيها عبد الله وأنيسة والشيماء (كبشة) وهم اخوة النبى - صلى الله عليه وسلم - من الرضاع .

ولندع حليمة السعدية - رضى الله ع تروى قصتها بنفسها ، فهى قصة خليقة بالتقدير والاعتبار .

قالت حليمة - قلت لزوجى أبا كبشه . والله انى لأكره أن أرجع من بين صواحبى ولم آخذ رضيعا - والله لأذهبن الى ذلك اليتيم فلآخذنه ، فقال لها : لا بأس عليك أن تفعلى عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة .

قالت حليمة : فذهبت اليه فأخذته ووالله ما حملنى على أخذه الا أنى لم أجد غيره - فلما أخذته رجعت به الى زوجى ولما وضعته فى حجرى اقبل على ثدياى ما شاء الله من اللبن فشرب حتى روى وشرب أخوه حتى روى كذلك ثم ناما - وما كنا لننام معه من قبل ذلك - ثم قام زوجى الى شارفة لنا عجفاء فاذا بها حلوب فحلبها فى عجب ودهشة وشربنا من لبنها حتى روينا وشبعنا وبتنا فى خير ليلة ..

فلما أصبحنا قال صاحبى والله يا حليمة لقد أخذت نسمة مباركة ..

أرضعته حليمة - صلى الله عليه وسلم - حولين كاملين ، نما فيهما وترعرع وكان سابقا فى طفولته لغيره من الأطفال . فكان يفوقهم نموا وقوة ، ومشى فى الشهر التاسع من عمره وتكلم قبل غيره من أترابه .

ورويت عنه فى هذه السن روايات كثيرة يطول المقام بذكرها وشرحها .

ولما أتم - صلى الله عليه وسلم - مدة رضاعه ، عادت به حليمة الى مكة وهى أحرص الناس على بقائه لديها فترة أخرى لما نالها من خير وما أصابها وأصاب قومها من بركة مدة وجوده - صلى الله عليه وسلم - بينهم فقالت لأمه حبذا لو تركت ابنى عندى حتى يغلظ - ودعمت حجتها بالخوف عليه من وباء مكة ورداءة جوها وشدة قيظها - فترددت الأم فترة - ثم وافقت على رجوعه الى البادية لما رأته من حسن صحته وكمال نموه وقوة عوده ..

وعادت به حليمة الى البادية وهى أسعد من حملت الأرض على ظهرها - لقد قرت عينها وطابت نفسها وعادت بابنها الذى ملأ عليها الدنيا خيرا وبركة مما أثار حولها حسد الحاسدين على هذا الخير العظيم .

ومكث - صلوات الله تعالى عليه - فى البادية بعد فطامه ، ثلاث سنين ، أو أربع على الأصح ، وكان فى تلك المدة غلاما نابها حاد الذكاء .. قوى الفطنة ، دقيق الملاحظة .. كان يخرج مع أترابه لرعى الغنم على مألوف عادتهم فكان لا يكثر من اللعب كما يفعلون ، بل كان ساكنا رزينا حتى فى مرحه ولعبه معهم ..

وانتهت هذه الفترة بوقوع تلك الحادثة التى تناقلها الناس - وتأولوا فيها ما شاء لهم التأويل - ونحن نشير اليها فى ايجاز - وهى أن أخاه من الرضاع عاد يصرخ فى أبويه أن ادركا أخى محمدا فقد أصابه السوء وربما يكون قد مات ، فهرولا اليه مسرعين فوجداه يجلس على ربوة وقد امتقع وجهه وشحب وأصابه ضعف ودوار - ولكنه كان يبتسم وينظر الى السماء :

وبادر أخوه فقص عليهم قصة قال فيها : انه شاهد رجلين ينزلان من السماء وبيد أحدهما

طشت وبيد الآخر ابريق من الفضة والجوهر النفيس – فأخذا محمدا فشقا صدره الشريف وغسلاه بالماء الذى بالابريق ثم أعاداه كما كان – قال الصبى – وكنت أنظر اليهما طول الوقت فى خوف وفزع – ولما انتهيا بادرت اليكما ‥ قال بعضهم يصح وقوع ذلك ولا مانع منه لأنه فى حدود القدرة وقدرة البارى لا حد لها ‥ وقد يكون ذلك آية من آيات النبوة ومعجزة من معجزاتها ‥

وقال آخرون : ان القدرة الالهية فى امكانها غسل القلب الشريف دون جراحة وعلى غير ذلك الوضع الذى تم عليه – ولأن الرواية كانت كلها لأخيه فقط – ولم يروها النبى – صلى الله عليه وسلم – بنفسه – بل ظل يبتسم ساكتا ساكتا ناظرا الى السماء فى ضعف وشحوب ٠

وسواء صح هذا أم ذاك فان ثمة ضعفا كان باديا على النبى الكريم مما شعر معه زوج حليمة بخوف عليه – واضطره لأن يقول لها – ان الطفل قد أصيب – فالحقيه بأهله قبل أن يزيد ضعفه – ويشتد هزاله – وعلل سبب ذلك بأنه نتيجة لحسد الحاسدين من الأهل والجيران ٠

وعادت به حليمة وهى حزينة النفس كسيرة الفؤاد ولكنها كانت مرغمة على ذلك لخوفها عليه من تفاقم العلة وزيادة الضعف – وردته الى أمه وهى فى حالة نفسية يرثى لها ‥

وزارته حليمة بعد ذلك مرتين – الاولى بعد زواجه بخديجة – رضى الله عنها – حيث شكت اليه حاجتها – فساعدتها خديجة ببعض الابل والغنم – والمرة الثانية كانت بعد الرسالة حيث استقبلها الرسول الكريم فى شوق وفرح وبسط لها رداءه وأجلسها عليه وبالغ فى ودها واكرامها ‥

هذا هو اليتيم الذى أرادوا تطبيق قاعدة اليتم عندهم عليه ، فأكرمه الله تعالى الى غاية الاكرام ٠ وأبطل بذلك نظرتهم الخاطئة نحو اليتيم ‥

وقد كان اليتيم من قديم الأزل عنوان الحرمان والمأساة وهو حرمان لا من المال فحسب – فالمال مقدور عليه – ولكنه حرمان من العضد الواقى من كوارث الحياة – ومخبآت الأيام ٠

وبذلك استحق اليتيم عناية البارى – سبحانه وتعالى – فخصه بالرعاية وبحكمه العادل فى كتابه الكريم ‥ قال تعالى : **وآتوا اليتامى أموالهم** ‥ وقال – سبحانه وتعالى – فى آية البر الجامعة للمروءة والاحسان : **وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى)) الآية ‥**

وهذه لمحة انسانية كريمة شمل بها الاسلام – اليتيم – بحكم منصف رحيم ‥ فقال تعالى : **((فأما اليتيم فلا تقهر)) ٠**

والحكمة التى تنطوى عليها قصة الرضاع هى :

١ – أن من فقد عضده ٠ لم يفقد رضا الله ورحمته ٠

٢ – أن اليتيم ليس صنوا ولا مستلزما للفقر – فقد يسعد اليتيم ٠ ويسعد غيره ٠

٣ – أن العناية باليتيم وتحريم ماله واستحقاقه العطف والبر من الناس وعدم اباحة قهره حكم من أحكام الاسلام الذى هو دين البر والرحمة والسلام ٠

٤ – ان نشأة محمد – صلى الله عليه وسلم – يتيما وهو المختار – لأعظم رسالة – أطاحت للاعتقاد بتأثير اليتيم على مستقبل الانسان وسعادته وسهولة بلوغه أبلغ مرام – وهل أبلغ من الرسالة من مرام :

سيدى يا رسول الله ‥

فى كل ناحية من نواحى حياتك الطيبة المباركة عظة للناس – وعبرة للتاريخ ٠ فمهما كتب الكاتبون – ونقب الباحثون ٠ فلن يصلوا الى سمو تلك الأهداف الكريمة التى أحاطت بك من يوم أن أشرقت الأرض بنور طلعتك – الى يوم أن اختارك الله – سبحانه وتعالى الى جواره – فسلام عليك سيدى يا رسول الله فى عليين ، وسلام عليك الى يوم الدين ٠

مولد الذكرى الطاهرة

مولد محمد بن عبد الله

أو الفجر الذى أشرق فبدد ظلمات الحياة

الدكتور عبد السلام سرحان

« .. .. وهل كانت السعادة وتحقق الآمال الا بالسفر والارتحال ؟؟ !!
وهل وصلت قريش الى الغنى والثراء الا بجهد الرجال وصبر النساء ؟؟ ! »

بهذا النفح من الكلمات افتر ثغر العروس « آمنة » ، وبهذا الطيب من العبارات تحرك لسان الزوجة الآمنة ، ومن شفتيها الباسمتين تدفقت تلك القطرات العذبة الى أذنى « عبد الله » مؤذنة بالموافقة على رأى أبيه ، آذنة له أن يسافر لتحقيق أمانيه .

وتنزل الألفاظ العذبة على قلب الفتى بردا وسلاما ، وتنسج حول كبده الحرى غلالة من الثقة ، وتحيطه بلفائف موقظة ، وتحركه نحو شهب البعث وتسقيه كأسا من سلاف الاطمئنان ..

نعم انها تدفعه الى خمائل المجد ، وترفعه الى آفاق السؤدد ، وتحلق به فى جوزاء الرحباء ، وتطوف معه حول كعبة المستقبل المشرق ، وتمهد أمامه سبل العيش الرغيد .

لقد قرعت الحروف صفا نفسه ، ومست النقاط شغاف حسه ، فاهتز هزة الندى ، وتموج تموج الصدى ، وتفاعل مع موسيقى الايقاع ليعتلى أفراس الصبا ، ويشد رحال اليفاع .

غير أن قلبه كان معلقا بالفتاة ، وفؤاده كان يرفرف على جناحى قطاة ، فكانت عواطفه تنثنى اليها ، وأعطافه تنحنى عليها ، ونبضه يردد اسمها فى تتابع عجيب .. ولكنه المجد والوجد ، والعظمة والخلد ، والغاية والقصد .. والتجارة طريق الصدارة ، ومهيع الامارة .. والمال الحلال ، الذى يحقق الآمال ، ويخلق الرجال

فليرن ـ اذن ـ ببصره الى السماء ، وليشخص الى مراقى العلياء ، وليخرج مع لداته وانداده من خيرة الشباب ، كى يحتفظوا لقريش بمكانها فوق السحاب .

لقد كان لهذا الفتى قصة مع الزمن ، وكان لشبابه حديث مع التاريخ ، منذ اليوم الذى

أبت فيه « القداح » الا أن تخرج عليه مرات متوالية ليكون « الذبيح » الذى نذر أبوه عبد المطلب أن يسفح دمه ان بلغ أبناؤه عشرة ، لأن قريشا اعتدت عليه عندما بدأ يحفر البئر المباركة « زمزم » وليس معه الا « الحارث » ولده الوحيد آنذاك

ولكن الفتى الشاب كان فى رعاية السماء ، فضنت به أن يكون « كبش الفداء » وقبلت عنه مائة الناقة الحمراء ، كما فعلت بجده اسماعيل بن ابراهيم ، اذ فدته « بذبح عظيم » .

بعد هذا الحادث صعد عبد الله فوق آطام الشهرة ، وتفتحت له أكمام المجد ، وتوردت خدود حياته ، ولمع فى أفقه سنابرقه ، فملأ سمع الزمان وبصره ، ونشر الأثير مع الركبان خبره ، وتناوحت الحمائم بقصته ، وغردت العنادل بحكايته ، وكان لعذارى مكة مع الحادث شأن أى شأن .

لقد كان « عبد الله » شابا يختال فى برود الصبا ، ويرفل فى حلل الميعة ، ويميس فى أردية الفتاء ، وكانت نضارته تذيب الأرواح ، وتعطر الرياح ، ورجولته تمزق الحجب وتعتلى الطنب ، وسيمياؤه تأسر وتبهر ، ووضاءته تسحر وتقهر ، فلا عجب أن تتنافس الغوانى عليه ، ولا ريب أن تتواكب الكواكب اليه ، ولا بأس أن تنصب له الشباك ، وتوضع أمامه الشراك .

ولم يمنع زواجه بآمنة ضراوة المطاردة ، ولم يخفف اختياره لها حدة الهجوم عليه ، ولكنه عز على الخنا وعزف ، وصد عن الزنا وصدف ورد على المائلات المميلات ، باجادة طرق الانفلات .

تزاحمت المناكب لصيده ، وتلاحمت المواكب لقيده ، وآلت فاطمة بنت مر الخثعمية أن تناله ، واحتالت لتميل مماله ، فاستدعته الى دارها ، وراودته عن نفسها ، فاستعصم وخرج مذعورا ولسانه يتقاطر بعبارات الطهر وينساب بكلمات العفة ، ويتفجر بذلك العبير

أما الحرام فالممات دونه
فكيف بالأمر الذى تنوينه ؟

وهكذا أراد الله أن يذهب عنه الرجس ، ويطهره من الدنس ، ويعصمه من الذلل ، ويجعل بينه وبين الدنايا حجابا مستورا ، شأن آبائه الأماثل ، وأجداده الأوائل الذين لم تعرف الخطيئة الى أصلابهم سبيلا .

لقد جمع عبد المطلب أبناءه ، ووجه خطابه الى عبد الله ، فزوده بقلائد النصح ، وأهداه فرائد الارشاد ، ومنحه لآلىء الايقاظ ، ونفحه بعبير التوعية ، وخصه بدرر التوجيه ، وأمره أن يعد العدة للسفر ، ويهيىء نفسه للرحيل

ولم يكن أمام الابن البار الا الصدع بأمر أبيه ، والنزول على مشيئته ، فذهب من فوره الى بيته وقص على أهله القصص ، فآزرته آمنة وشجعته ، وشنفت سمعه بموافقتها ، وهزهزت فكره بعباراتها ، وكان لذلك الرضاب الساحر على نفسه من التأثير ما كان .

وعلى بركة الله سافر « عبد الله » بعد أن همت عيناه بوكيف الوداع ، وتخطط خداه بدموع الالتياع ، وهمت قدماه أن تتصلبا فى ذلك الموقف الرهيب .

سافر وفى النفس حاجات . وفى الضلوع أنات ، وتلفت نحو الحى مرات ومرات ، فحينا يصعد الزفرات ، وحينا يطارد الفمرات ، وكم حاول أن يملأ عينيه من مكة ومبانيها ، ويشبع ناظريه من مجاليها ومجانيها ، فان لم تسعفه الأشباح غنى بالأرواح ، وناشدها أن تذكره ، وتتابع فى كل مكان أثره !! .

كان احساسه الداخلى يتراقص أمام أضواء الحياة ، وكانت مشاعره تتراص على نضد المناجاة ، فبينا قلبه ينبض بآلام الفراق ، وفؤاده يتخلج بأنفاس الفواق ، اذا بنفسه تنساب على خط المواصلات بين مكة والشام ، لتتحسس ما هناك من منى أو هنالك من آلام .

ان نوازع الخير ملأت فراغه ثقة واطمئنانا ، ونوازع الشر شنت عليه حربا عوانا ، ولكنه بدا على الحوادث سيفا لا يفل ، وحديثا لا يمل وكان بين اخوانه السمت الذى يلزمهم الصمت والأسوة التى تستتبع القدوة ، والقائد الرائد الذى يهديهم سواء السبيل .

كان يرفق بالرفيق ، ويرق للرفيق ، ويهش للصحب . ويبش للركب ، ويسوس فى

فطانة ويكيس فى زكاته فتيسر له أن يقود الشباب الضارى ، ويوجه الفتاء الفاوى ، ويوجه القوى الصاعدة بفكر راشد وعقل حصيف .

وبينا « عبد الله » وزملاؤه يغذون السير ويتابعون الذميل ، كانت « آمنة » فى حياة حالمة ، ونظرات هائمة ، وفكر سابحة ، وظنون سائحة ، وحديث مع اللواعج عجيب

كانت تتنسم أرج الزوج الغائب ، وترشف قطرات الأمل المرتقب ، فتتهدج منها الأنفاس ويترجرج الاحساس ، ويحالفها السهاد ، ويجانفها الرقاد ، فتسمر بذكره ، وتسهر لخبره وتناجى النجم الثاقب حتى الصباح .

ولقد كان المنتظر أن تواصل آمنة طى آلامها فى سجل الزمن . وتنشق عبير المنى من نسائم القنن ، وتدفع عن قلبها أسباب الوجيب حتى يعود عبد الله رافع الراس ميمون الفدوات مبارك الروحات

غير أن الفلك اتخذ لها دارة جديدة ، وهيأ لها أسباب العروج الى ذروة المجد ، والارتقاء فوق أسباب السماء

لقد شع من مهدها نور لامع ، وتوسط خدرها كوكب ساطع ، وانتشر من حولها ضوء مثير ، وسرعان ما تبين أنها مصدر الاشعاع وأن من خيرها ينبلج الضوء ، ويتألق السنا ويتوهج الاشراق

نعم ، وتفتح البرعم فى زهرها، وانتج الطلع فى غرسها ، وجادت الشجرة بالثمرة ، وظهر العنقود فى الكرم ، وان كان لا يزال متواريا فى « ظلمات ثلاث » .

ان أملا باسما يرتبع فى أحشائها ، ومجدا حالما يتصعد بين جنبيها ، وطفولة حانية تتقلب فى حناياها ، وجنينا سعيدا يتدرب على الحياة بين أضالعها

ان هالة النورانية قد كشفت سرها ، وعبير الريحانية قد بين أمرها ، وبرق الأمومة قد لمع فى جبينها ، وان كانت لم تحس تعبا ، ولم تر وصبا ، ولم تشعر بآلام أمثالها فى تلك المناسبات

لقد انبثق الفجر فى باطنها ليكمل دورة الاشراق ، وتوهج السنا من داخلها ليتم طاقة الانطلاق وكأنما أرادت السماء شأنا لهذا الجنين ، فقد حومت حول أمه الأطياف ، وتتابعت نحوها الألطاف .. وتنزلت فى مكانها الملائكة ، لتسكب فى أذنيها سلسبيل البشريات وتنشر فى جوها الأرج ، وترذ عليها المسك الفتيت

ولهذا أحاطها عبد المطلب بالرعاية ، وأصفاها خالص العناية ، وتهلل وجهه بشرا ، وفاح حديثه عطرا ، وتفتح فمه عن ثنايا اللؤلؤ الضاحك ، وافترارة الثغر البسام

ان مكة كلها تئز بالفرح ، وتموج بالسرور ، وأهلها يقدرون وقع المفاجأة الطيبة على عبد الله حين يعود ، ويفكرون فى مجاملة عبد المطلب حينما يستهل الوليد الحفيد

أما آمنة فان هذا الحادث قد شغلها ، ولكنه أنعم بالها ، وحقق أملها ، وهى تضرع فى خضوع أن تقاسم عبد الله سرورها ، وترنو فى خشوع الى عودته سالما ليشاركها أعباء الحياة

لقد تعددت عقود اللؤلؤ فى جيدها، وانتشرت حبات اللجين على بردها ، ولمعت حياتها بين لداتها وأترابها ، ولكنها تنتظر فى لهفة أنباء المسافرين ، وتنصت فى رجفة لصوت العائدين وتكاد توقن انهم فى الطريق الى مكة يطوون الأفق ، ويسابقون الريح

وبينا هى تفكر فى الأمر وتدبر ، اذا بالطبول تقرع ، والأعلام ترفع ، والبشائر تسمع ، والأصوات تعلو بأن الرحلة على وشك الوصول وأن الطلائع ترى من المشارف، واذا بالسيدات يتنافسن فى ارتداء الزينات ، والرجال يتسابقون الى الاستقبال ، والأطفال يرتبعون فى مراح الفرح والمرح والبلد الحرام يلبس حللا قشيبة من البهجة ، ويتقلب على أعطاف السرور

ولقد كان حرى بآمنة الشابة أن تتنسم الأرج من بشريات الفرح ، وتشم العبق من الصوت الذى انطلق ، ولكنها — لأمر ما — لم تهتز للأنباء ، ولم تسأل عن الأسماء ، ولم يتفتح قلبها للخبر الذى ملأ الدنيا وشغل الناس .

انها ترتدى وشاحا من الوجوم ، وتكتسى غلالة من القلق ، وتلبس ثوبا من اليأس وتعلو وجهها سحنة من الحزن والألم الدفين

ان قلبها ينبض نبضات خافتة ، وشعورها يهتز اهتزازات ميتة ، وعقلها يسبح فى متاهات لا تكاد تنتهى حتى تبدأ من جديد

وبينما الناس فى عجب لجهلهم السبب ، اذا بالواقع المرير يحقق حدسها ، ويحلل نفسها ويكشف الستار عما خصها الله به من الهام ، وما منحها من قدرة فى صدق الظنون

لقد وصل الركب بدون عبد الله ، وتبين أنه خاصم الحياة ، ولكن عبد المطلب لم يكن قد عرف بعد ، ولهذا خرج مع المستقبلين ، وفتح ذراعيه ليعانق ولده ويقبل فلذة كبده ، ثم ضمهما ضمة شديدة ظهر أنها على الهواء ، وقبض بكفيه قبضة قوية ولكن على الماء ، فتدفق واكف دمعه وهطل ساجم عبرته ، وهتن وابل حزنه ، وسالت نفسه على ابنه حسرات

ويرخى الشيخ الزعيم أعصابه فى وقار ، ويطأطىء رأسه فى انكسار ، وتصطك أسنانه فى أسى ، وترتعد فرائصه فى أسف ، وتجمد عيناه فى ألم ، وينعقد لسانه فى ذهول ، ثم يدلف وسط المواسين والمعزين الى بيت عبد الله الذى افتقد ربه ، وغشيته موجة من السكون الموحش ، وعلته سحابة من الكآبة والحزن العميق .

لقد كانت صحة عبد الله تعز على الأمراض وتكبر على الأسقام ، فأبت الجراثيم الفتاكة الا أن تحتل جسمه وتهشم عظمه ، وتقصف عوده ، وتهتصر فوده ، وتستل روحه ، وقد أمكنتها الفرصة فى سفرته الى الشام ، فضربت عليه حصارها فى المدينة ، وفرضت ضده اسارها فى بيت أخواله بنى النجار ، وهناك اشتدت به الأزمة فتركه زملاؤه هناك أملا فى أن يلحق بهم بعد قليل .

لقد عظم على الموت أن يفلت منه « الذبيح » بمكة ، فآلى أن يدركه فى يثرب ، ليمتص مشاش ذلك الشباب الناضر ، ويذيب تلك الحيوية الدافقة ، فذوى غصنه اليافع ، وذبل ورده اليانع ، وجف ماؤه المترقرق ، وانقطع حديثه الرقراق ، قبل أن يتم من السنوات خمسا وعشرين .

أن عبد الله قد سكن المدينة الى الأبد ، وامتزج دمه بتربها الذكى ، واحتضن جسمه صعيدها الطيب وكأنما أحس انها ستكون مهاجر ابنه ومستقره ، فسبقه اليها ليدله عليها .

لقد ترك آمنة فى ميعة الصبا وريعان الشباب . تلذعها الفرقة ، وتكويها الحرقة ، وتلفحها نار الحزن الصامت ، وتبدلها الأيام بالآمال الباسمة دموعا ساجمة ، وآلاما لا تلين

ولو كان الأمر يتعلق بشخصها لهان الخطب وأجدى الصبر ، ولكن الذى يقض مضجعها ، ويسهد خفتها ويؤرق ليلها هو ذلك الجنين الذى ضن عليه الزمن برؤية أبيه ، وبخل بأن يجتمعا تحت سماء الوجود أكثر من شهرين ، بل لقد زاد شحه فأبى على عبد الله أن يعلم شيئا عن مجرد وجوده فى هذه الحياة

ان الأضواء فى عينى آمنة تتحول الى قتام ، والسحب المزدة تنقلب الى جهام ، وحياتها الحالمة تنتقل رويدا الى وادى الشقاء ، ولكن عبد المطلب كان الوالد البار والأب الشفيق ، فتدفق سيب حنانه ، وانثال صيب احسانه ، وتوالى ولى رعايته ، وانهل وبل عنايته ، وأصبحت آمنة وحملها شغله الشاغل وهمه الذى يطيل فيه التفكير .

وقد ضاعف من هذا الاهتمام أن الحمل كان ذا شأن عجيب ، وحياته فى بطن أمه كان لها وضع غريب ، اذ لم ترفيه ألما ، ولم تحس سقما وتضاعفت حولها الألطاف ، وتكاثفت عليها الأعطاف ، ورفرفت فوقها الأملاك ، واستدارت لها الأفلاك ، وهفهفت من أجلها الرياح وطابت لها الأرواح . وأحست أنها تحت ملاحظة السماء.

ولهذا انسابت الابتسامة على شفتيها ، ولمع السرور بين عينيها ، وشع الضياء على جبينها وتدفق الماء فى سمتها ، وسرت السعادة فى صوتها ، وسالت الهناءة مع كلماتها الرطاب ، فأقبلت على الحياة فى شغف ، ورأت أن عنايتها بالجنين اليتيم أحرى أن تكشف ما يحيط به من أسرار ، وترفع عنه ما لا يزال تحت الستار

وقبل أن تتم شهورها بقليل ، ظهر حادث الفيل ، وهجم أبرهة بجيوشه يريد هدم

الكعبة ، وتحويل العرب الى بيت آخر بناه ، وهناك تدخلت السماء وأرسلت الطير الأبابيل ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلتهم كعصف مأكول

وعقب انفراج الأزمة ، وانكشاف الغمة تواكبت قريش على البيت الحرام ، وتتابعت أرسالها نحو أكرم « مقام » ، وهناك رأس عبد المطلب جمعهم ، وقاد فى الندوة زمامهم ، فأخذ متكلموهم بأطراف الأحاديث وتقلب زعماؤهم على مطارف المجد الحديث

وبينما شكر الله يفيض على الشفاه ، والعرفان بفضله يسيل من الأفواه ، اذا بصوت هامس ينسكب فى أذن عبد المطلب مبشرا بحادث سعيد فى بيت عبد الله

كان الصوت حديثا عن برعم يتفتح ، وزهر يتفوح ، وأمل يبتسم ، وسعد يرتسم .. كان عن ضوء يلمع وشهاب يسطع ، وسنا يشرق . ونجم يتألق .. كان عن طلع يزهر ، وينع يثمر ، وندى يخضل ، وجدى ينهل .. كان عن حق أفلج ، وصدق انبلج ، وصبح يتنفس ، وعقل يتفرس

فليذهب عبد المطلب اذن من فوره ، وليسبق الريح لأداء دوره ، وليطب نفسا بذلك الهاتف الجديد ، ولينعم بالا بذلك المولود السعيد ، ولتقر عينه بتلك الدارة التى سيؤذن منها الفجر ، ويطلع فى فلكها البدر ، وترتفع بها الهامة وتستوى القامة ، ويشتعل منها الضوء ، ويفج النور ، ويتوهج الأفق ويحمر الشفق .

ان آمنة على سرير الميلاد ترفل فى أكرم مهاد تحف بها الأملاك ، وتهتز لها الأفلاك ، وتحيط بها أيد حانية ، وأرواح هادية ، وأخلاق عالية وقلوب راعية ، وآذان مصغية .

انها وسط هالة مشعة من أضواء السماء ، وبين كوكبة لامعة من خيرة النساء ، يرقبن حالها ، ويلاحظن أمرها ، وينظرن كيف يفارق النور مصدره ؟ ، وكيف يترك الكوكب سماءه ؟ وكيف تنفصل الدرة عن صدفتها ؟ ، انهن يجلسن مع سنا يغشى العيون ، ويرخى الجفون ويعشن فى جو من الأنوار يكاد يذهب بالأبصار
وما هى الا لحظات كالومض ، وخلجات كالغمض حتى تمت الكلمة ، وكملت النعمة ، وخرجت النسمة ، وأعلنت الجبال مولد محمد ابن عبد المطلب . فافترت الثغور ، وغردت الطيور ، وانتشى المجد ، وتبسم الجد ، وتناوحت الرياح بالبشر ، وسالت الأدواح بالخبر ، فأسهل وأنجد ، وصوب وصعد ، وطارت به الملائكة الى أطباق السماء ولبس الكون حللا من البهجة والرواء ، وامتدت الظلال الوارفة فوق مساحات شاسعة من صحراء الوجود

وقد اصطدمت الأنباء بايوان كسرى فهدمت منه الشرفات ، وبنار المجوس فأطفأت فيها اللهب ، وببحيرة « ساوة » فجففت منها الماء ، وكان ذلك اعلانا بالآيات وتثبيتا للعلامات وايذانا بانطواء الزمن وتبدل التاريخ .

أى سيدى رسول الله : ان مولدك الشريف كان نصرا للانسانية ، وفخرا للبشرية . وعيدا للمبادىء السامية فى دستور الحياة ، لقد استروحت الدنيا بنسائمك ، وتعطر الوجود بشذاك . وقبست الحياة من أضوائك ونهلت الأخلاق من مواردك ، ورشفت المكارم من رحيقك ، واستقت الحرية من نبعك واجتنت المساواة من جناك ، وبسق الاخاء فى دوحتك ، وازدهر البر فى ظلالك ونما الاحسان فى أرضك وتفجرت العدالة من شريعتك ، وازدهى السحر فى بيانك ، ولمع الاعجاز فى أدبك ، وانكمش البطش فى دولتك ، وازور الطغيان من صولتك ، وثرت البركات من فيضك ، وتتابعت الرحمات من أجلك ، وكنت دائما **« هدى ورحمة للعالمين »** .

أى سيدى رسول الله : لقد كنت يتيما لتكون رحيما ، وكنت أميا لتكون رسولا نبيا وان أمتك المؤمنة بك ، المتمسكة بدينك ، الحدبة على شريعتك ، المتطلعة الى مجدك ، لترنو مرة أخرى الى العيش فى ظلال القرآن ، والتمتع بلذائذ الايمان والاستمتاع بروائح الجنان . فى ظلال العمل بمبادئك . والسير على مناهجك

وانها لتتوجه الى رسولها الأمين ونبيها الكريم فى ذكرى مولده الشريف أن يسأل الله لها سدادا ورشادا وتوفيقا الى أهدى سبيل .

بطولات إسلامية

الأستاذ محمد فرج

بطل نهاوند

عندما أسلمت مزينة أصبح لواؤها يرفرف مع ألوية المجاهدين المؤمنين ٠٠ وسقط من مزينة عدد كبير من الشهداء ، وظهرت منها فى ميادين القتال بطولات خالدة ٠

وكان يقود قواتها فى الغزوات الكثيرة ، التى كان لها فيها نصيب ، أميرها ، وفارسها وبطلها ، **النعمان بن مقرن بن عائذ ٠٠** ظل يقود قومه فى جميع المعارك ببطولة ، وبسالة ، واقدام ، وكتب أصدق آيات التضحية ، وكان له فى كل المعارك القدح المعلى ٠٠ حارب المرتدين ، ثم ساهم فى حرب الفرس ٠٠ اشترك فى القادسية ، وأسند اليه سعد بن أبى وقاص فتح جند يسابور ، فاشتبك مع الفرس فى قتال هائل ، واقتحم حصونها واحدا بعد آخر ، ثم سار الى السوس حيث تجمعت قوات هائلة العدد من الفرس ، فقضى عليها ، واستولى على المدينة ٠٠ ثم أسندت اليه قيادة الجيوش الزاحفة الى كسكر فقادها ، وهزم الفرس ، واستولى عليها ٠

وسمع عمر بن الخطاب اخبار بطولاته ، فأمر بتوليته امارة كسكر ، ولكن رجل السيف وبطل الميادين ، لم يرض لنفسه أن يبقى أميرا على مدينة ، بعيدا عن الميدان ، ولهذا بعث الى عمر يطلب منه أن يبعثه مع أى جيش من جيوش المسلمين ، ليظل حياته مجاهدا فى سبيل الله ، لا يهمه أن يكون على رأس جيش ، بل يهمه أن يحمل سلاحه من أجل الاسلام كأى جندى بسيط ٠

وكان كسرى قد أيقن ـ بعد تلك الوقائع الدامية ، التى انتصر فيها المسلمون على الأعاجم ـ أن الدين الجديد ـ الذى يسوى فيه بين الراعى والرعية ، والذى يقيم مجتمعا كله طهارة وعدل واخاء ـ سيقضى على ملكه ، ولهذا قرر أن يظل فى مقاومته للعرب قبل أن يقوضوا ملكه ، فاستعد لخوض غمار معركة تكون الفاصلة ، وأعد العدة لموقعة نهاوند ، يداعبه أمل القضاء على قوات المسلمين ، حتى يحافظ على ملكه فيبقى ، وعلى دينه فتظل النار المقدسة ـ التى أطفأها الدين الجديد ـ تعبد ٠

وأقبل الأعاجم الى نهاوند فى تسعين ألف وقيل مائة ألف .

وقدر القائد العربى سعد بن أبى وقاص موقفه ، وبعث الى الخليفة عمر برأيه فى الموقف ، فجمع عمر أصحابه ومستشاريه ، ليعرض عليهم أمر المسلمين فى بلاد الأعاجم وقال لهم : « هذا يوم له ما بعده ، وقد هممت فى أن أسير فيمن قيل لى ، ومن قدرت عليه، فأنزل منزلا وسطا بين هذين المصرين ثم أستنفرهم ، وأكون لهم ردءا حتى يفتح الله عليهم ويقضى ما أحب ، فان فتح الله عليهم حببتهم فى بلدانهم » .

وأيد الصحابة عمر فى رأيه ، وعارض على بن أبى طالب ، فقد رأى أن يبقى الخليفة فى المدينة يرعى شئون أمته ، وأن يبعث قائدا يتولى الأمر بأجمعه ، وقبل عمر رأى على **« هذا هو الرأى »** ... ثم طلب من أصحابه **« أن أشيروا على برجل أوليه ذلك الثغر »** فقالوا « أنت أعلم بجندك وقد وفدوا عليك » **فقال « والله لأولين أمرهم رجلا يكون أول الأسنة اذا لقيها غدا » .**

ولما سأله الصحابة عن هذا القائد أجاب « النعمان بن مقرن المزنى » ووافق الصحابة على هذا الاختيار الموفق وقالوا « هو لها » .

وبعث عمر الى النعمان يوليه قيادة الجيش ويقول له **« بسم الله الرحمن الرحيم .. من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى النعمان بن مقرن ، سلام عليك فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو ، أما بعد .. فانه قد بلغنى أن جموعا من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة « نهاوند » ، فاذا أتاك كتابى هذا فسر بأمر الله وبعون الله وبنصر الله ، بمن معك من المسلمين ، ولا توطئهم وعرا فتؤذيهم ، ولاتمنعهم حقهم فتكفرهم ، ولا تدخلهم غيضة ، فان رجلا من المسلمين أحب الى من مائة ألف دينار ، فسر فى وجهك ذلك ، حتى تأتى ماه ، فانى قد كتبت الى أهل الكوفة ان يوافوك بها ، فاذا اجتمع اليك جنودك فسر الى الفيرزان ، ومن جمع معه من الأعاجم من أهل فارس وغيرهم ، واستنصروا أكثروا من : لا حول ولا قوة الا بالله ، والسلام عليك » .**

وكتب عمر الى عبد الله بن عبد الله نائب الكوفة أن يعد جيشا يبعث به الى نهاوند ليعمل تحت قيادة النعمان ، فأعد جيشا كثيفا يقوده حذيفة انضم الى جيش النعمان .

وبلغ جيش النعمان ثلاثين ألفا .

وتحرك به الى نهاوند ،حيث التقى جيشان .. أحدهما يقوده الداعون الى الخير العابدون لله وحده ، المؤمنون بكتابه ورسله ، والآخر تتولى الأمر فيه رءوس الكفر وطغمة الشيطان وعبدة النار .

وكان عمر قد أمر جند الأهواز أن يواجهوا جيوش الفرس فيشغلوها فى ميدان أخرى حتى تكون لدى القوات الرئيسية للمسلمين الفرصة ليتمكنوا من القضاء على جيش الفرس الرئيسى .

وبعث النعمان بثلاثة من رجاله الأبطال هم طليحة بن خويلد الأسدى، وعمرو بن معد يكرب وعمر بن ثنى ليستكشفوا مواقع الفرس وليأتوه بأخبارهم ، وعاد اليه الرجال الثلاثة وقد عرفوا مواقع العدو .

وبدأ النعمان فى الاعداد للمعركة.. فجعل نعيم بن مقرن فى المقدمة ، وحذيفة بن اليمان وسويد بن مقرن على الميمنة والميسرة ، والقعقاع ابن عمرو على المجردة ، ومجاشع بن مسعود على الساقة .

والتقى الجيشان .. الأول يقوده النعمان والثانى تحت قيادة أمير الفيرزان .. وبدأ القتال ، واشتد الصراع ، واندفع المسلمون الميامين فى وجه أعدائهم عباد الأرض والنار، فأجلوهم عن مواقعهم ، ولكن الفرس اعتصموا بخنادقهم ، فحصرهم المسلمون ومنعوا دخولهم أو خروجهم .

وطالت فترة الحصار ، وكان لابد من احراز النصر السريع . ولهذا اجتمعت هيئة أركان حرب الجيش الاسلامى ،وتحدث النعمان فقال « قد ترون المشركين واعتصامهم فى خنادقهم، وانهم لايخرجون الينا الا اذا شاءوا، ولا يقدر المسلمون على اخراجهم ، وقد ترون

ما فيه المسلمون من التضايق ، فما الرأى الذى نستخرجهم به الى المناجزة وترك التطويل » .

ورأى عمر بن ثنى أن « **التحصن عليهم أشد من المطاولة عليهم فدعهم وقاتل من أتاك منهم » .. ولما رفض هذا الرأى ، اقترح طليحة بن خويلد « أرى أن تبعث اليهم خيلا ليغبشوا القتال ، فاذا اختلطوا بهم رجعوا الينا استطرادا فانا لم نستطرد لهم فى طول ما قتلناهم ، فاذا رأوا ذلك طمعوا فينا وخرجوا فقاتلناهم حتى يقضى الله فيهم وفينا ما أحب » .**

واستقر الرأى على خطة طليحة ، وكلف القعقاع قائد الخيالة بتنفيذ الخطة ، فهجم على خنادقهم فخرجوا له منها وقد قرن كل سبعة فى قران « وألقوا حسك الحديد من ورائهم لئلا ينهزموا .

ولما خرجوا نكص القعقاع حسب الخطة الموضوعة ، فظن الفرس أن المسلمين ينهزمون أمامهم ، فاغتنموا الفرصة وبدأوا فى المطاردة . والمسلمون يتراجعون والفرس فى اثرهم حتى بعدوا عن حصونهم وخنادقهم ، واقتربوا فى ذات الوقت من القوات الأساسية لجيش المسلمين ، وكان النعمان قد أمر جنده أن يلزموا مواقعهم ، ويخفوا تشكيلاتهم حتى يأذن لهم .

وظل المشركون فى تقدمهم يرمون المسلمين حتى أفشوا فيهم الجراح ، ولجأ الناس الى النعمان يطلبون الاذن « ألا ترى مانحن فيه ؟ فما تنتظر أذن ؟ ائذن للناس فى قتالهم ، فقال « رويدا يامعشر المسلمين شهدت مع رسول الله القتال ، اذا لم يقاتل فى أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس » .

وحانت ساعة الزوال والنعمان بين المسلمين يذكرهم بماضيهم وبانتصاراتهم ، ويحرضهم على القتال ويمنيهم بنصر من الله الذى وعد به جنده المخلصين .

وقال النعمان لجنده « انى مكبر ثلاثا فاذا كبرت الثالثة فانى حامل فاحملوا ، وان قتلت فالأمر من بعدى لحذيفة » .. وأوصى جنده بمن يتولى القيادة بعد حذيفة اذا قتل .

وحانت ساعة القتال ، وتوجه القائد المؤمن الى ربه يستمد منه القوة والعون وقال « **اللهم اعزز دينك ، وانصر عبادك ، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على اعزاز دينك .. اللهم انى أسألك أن تقر عينى بفتح يكون فيه عز الاسلام واقبضنى شهيدا .. »**

وكبر النعمان ثلاثا وهجم هجمة رجل واحد وتصافحت السيوف . واندفع الفرسان يشقون الطريق فى وسط بحر من الدماء ، والنعمان على رأس الجند يهد الناس بسيفه ويطيح بالرقاب ، ويقتل أعداء الله ، ويقود جيشه الى الظفر والنصر ، حتى أصابه سهم من سهام الفرس فى خاصرته فسقط وسط المعركة شهيدا .

وأقبل نعيم بن مقرن فحل الراية وناولها حذيفة ، فأخذها منه وتولى القيادة وأمر أن يظل خبر مقتل النعمان فى طى الكتمان ، وأدار المعركة بقوة وحزم وحكمة ، حتى انهزم المشركون وولوا الأدبار ، ومن خلفهم المسلمون يطاردونهم ، وكان المسلمون قد حفروا خندقا كبيرا وقع فيه من الفرس مائة ألف ماتوا جميعا ، وهرب الفيرزان فتبعه نعيم بن مقرن ، والقعقاع الى الجبل ، ولحقوا به وقتلوه .

وارتفع لواء الاسلام خفاقا فوق نهاوند وأقام المسلمون الصلاة على أرضها ، ونعى نعيم أخاه القائد النعمان وقال « هذا أميركم قد اقر الله عليه بالفتح وختم له بالشهادة « **تلقى عمر نبأ النصر والاستشهاد ، فنعى النعمان الى المسلمين وهو يبكى حتى نشج ، وارتفع صوت عبد الله بن مسعود يقول « ان للايمان بيوتا ، وللنفاق بيوتا ، وان من بيوت الايمان بيت ابن مقرن » .**

وهكذا سجل النعمان نصرا كبيرا عظيما رائعا فى تاريخ الاسلام ، وخط ببطولة أعظم قصص البطولة والشجاعة ، وصور معالم القيادة الرشيدة المظفرة ، وأضاف الى سجل الأبطال المغاوير الذين ضحوا بأنفسهم فى سبيل الله سيرة رجل عظيم مجيد ، وبطل من أبطال الحرب ، حارب وجاهد ومات شهيدا بعد أن حقق للاسلام والمسلمين نصرا عظيما فريدا .

محمد

شقاوى

صلى الله عليه وسلم

فضيلة الشيخ إبراهيم أبو الخشب

لم يعرف فى تاريخ البشرية كلها رجل كهذا الرجل ، لفت جيد الزمن ، وشغل أذهان الناس ، وحير ألباب الفلاسفة ، وأدهش عقول المفكرين ، وتطلعت الانسانية كلها الى مافيه من مثل عليا . وصور رائعة . وأخلاق نبيلة وسجايا عظيمة .

فان الدراسات التى تناولته ، والآداب التى أخذت عنه ، والسلوك الذى رسمه ، والسياسة التى سنها للأفراد والجماعات . وللعامة وللخاصة . وللسادة أو للسوقة . وللآباء وللأبناء ، وللرجل وللمرأة ، فى حياة الأسرة أو حياة المجتمع كانت الدستور الذى كانت الانسانية بحاجة شديدة اليه ، ليرسم لها الصراط المستقيم الى مستقبل أفضل ، وعيش كريم .. وبخاصة اذا نظرنا الى تلك البلبلة التى كان عليها الناس من قبل ، والى تلك الجهالة الفاحشة التى كانت تضرب بجرانها فى الجزيرة ولا سيما فى المعانى الدينية اذ كانوا أشبه ببحر يموج ، أو ببر كان يغلى ، لاهدف يتجهون اليه ، ولاغاية يقفون عندها ، ولكنهم يعبدون

الشمس والقمر ، والنجوم والكواكب ، أو يؤمنون بالملائكة ، أو يتزندقون فلا يبحثون عن الاله ، ولا يدينون دين الحق ٠٠ وكان فيهم من تأثروا بالوثنية أكثر من غيرها من الأديان فنحتوا الأوثان وخضعوا للأصنام ، وذبحوا لها الذبائح واستقسموا عندها بالازلام ،وظلوا على تلك الحال ، حتى أنار الله بصيرتهم بالنور الجديد ٠٠ ولم تكن حياتهم العقلية أحسن من حياتهم الدينية ٠ لأن عقلية الأمم والشعوب ترتبط كل الارتباط بما اكتسبوه من العلوم ، وماحصلوه من المعرفة ، ونحن نغالط أنفسنا اذا ادعينا أن هؤلاء الأميين المضطهدين فى استقرارهم ، القلقين فى عيشهم ، المشتغلين الى حد ما بالأخذ بالثأر ، واشعال نار الحرب لأتفه الأسباب ٠ يجدون من فراغ البال ، وهدوء النفس ، واطمئنان الخاطر ، مايساعدهم على أن تكون لهم علوم ومعارف ، تجعلهم فى مصاف الدول التى أخذت من ذلك كله بنصيب ٠٠

وفى الحق أن للدهر أن يطأطىء رأسه لهذا الرجل اجلالا واحتراما ، لأنه اذا كان من السنن الالهية أن الله سبحانه وتعالى يؤيد أنبياءه ورسله بالمعجزة حتى لاينكر عليهم منكرمايدعون ، أو يكذبهمكذب فى مايقولون، فقد كان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو المعجزة التى تحدى الله بها خلقه ، وأعجز بها خصومه ، وصيرهم من أمره فى ذهول وحيرة ٠٠ !

ونحن لانشك ـ قليلا من الشك ـ أن أصحاب الدعوات الى مبدأ من المبادىء أو الى سياسة من السياسات ، لايصلون الى ذلك بذرابة لسانهم ، ونصاعة بيانهم ، وقوةحجتهم واستقامة منطقهم ، بمقدار مايصلون بسلطانهم ، ونصرة ذويهم ، وعصبية قرابتهم والاستعانة بالمال والغنى ، والنفوذ والتسلط

وصاحب هذه الرسالة لم تؤازره قرابة ،ولم تنصره عصبية ، ولم يساعده مال كان فى يده ولا نفوذ كان له ، ولا سيادة ورثها عن أبيه أو جده ، الى جانب الفقر الذى ابتلاه الله به واليتم الذى أتاحه له ، واذا كان هنالك ما يذل النفوس ، ويقتل الطموح ، ويقضى على بذور الخير وهى فى الابان ، فذلك هو الفقر أو اليتم أو هما معا ٠

وفى النبى الكريم تمكن الفقر ٠ وتسلط اليتم ٠٠ والمألوف فى الأطفال الذين تحيط بهم تلك الحياة ٠ وتتولاهم هذه الظروف ، أن يموت فيهم النزوع الى المجد ، والتوثب للمعالى ، والرغبة فى الكمال ، والتطلع نحو الغايات البعيدة ٠ والأهداف السامية ، الا أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الرغم من أن المقادير رمته بهاتين الداهيتين ، لم تلن قناته ، ولم تضعف عزيمته ، ولم يؤثر ذلك فى طموحه للبر ، ودأبه على الخير ، وعمله للسلام ، وجهاده للاصلاح ٠ وكفاحه لانتشال البشرية مما كانت ترزح تحته ٠ وتعانى منه ٠٠

أما سلوكه منذ نعومة أظفاره ، وسمته من لدن كان طفلا ، وحزمه وكياسته ٠ وكمال رجولته ، من أول يوم ارتاد فيه مجالس قومه، ومجالى عشيرته ، ثم حديثه اليهم بالفصل ، وحكمه فيهم بالعدل ، وشهادتهم له بالصدق ، ونظرتهم اليه بالاكبار والاعجاب ، وترقبهم أن مستقبلا باسما على ميعاد معه ٠ ومجدا تالدا يسعى اليه ، فأشياء أخرى كانت هى ـ كذلك ـ الشغل الشاغل الذى جعلهم لايعلمون متى تنكشف سحائبه عن هذا المطر الذى ستروى به تلك الأرض القاحلة ٠٠ فلما بلغ مبلغ الرجال وكان يقرى الضيف ، ويحمل الكل ويعين على نوائب الزمن ، ويبدو فى ثياب كبار النفوس والهمم ، هالهم أمره ، وعناهم شأنه ، وظنوا أن الأيام سوف تتمخض منه عن كسرى الفرس ، أو قيصر الروم ، ولا يزالون هكذا حتى سفه أحلامهم ، وأظهرهم فى ترهاتهم الباطلة ٠ وأفكارهم النازلة ، بمظهر المأفونين ٠ وهنالك قالوا لعمه أبى طالب : ان كان ابن أخيك يريد مالا أعطيناه ، وان كان يريد ملكا حققناه له ، على أن يتركنا وآلهتنا التى ندعوها ٠٠ وماكانوا يظنون ـ وهو ذلك الفقير المعدم ـ أنه سيرد عليهم بهذا

الرد « **والله ياعمى لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى مارجعت عن هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه** » وفى هذه الآونة تحولت حربهم الباردة الى التفكير فى قتله ليستريحوا منه .. ولا يعنينا هنا أن نسترسل مع الحوادث ، أو نعيد الى ذهنك تاريخا أنت تعلم منه الكثير ، انما يعنينا وقد ساقنا الحديث الى ذكر هذا الرد على قريش الجبارة القوية ، المتألهة الى أبعد الحدود ، أن نقول لك اننا بحاجة شديدة الى علماء الدنيا الذين تخصصوا فى دراسة طبائع النفوس ، ليدرسوا لنا هذا النص الخالد الذى صدر على لسان رجل كان يقف - وحده - فى ميدان حرب لم يتكافأ فيها طرفا الخصومة عتادا وسلاحا ، وجيشا واستعدادا . وقوة واقتدارا وجاها وبأسا ، وسلطانا ونفوذا ، بل انه فى هذا الوقت الذى دوت الدنيا بهذا الرد من محمد - صلى الله عليه وسلم - كان المسلمون من حوله قلة قليلة . وكان لقريش الهيل والهيلمان ، والسدانة على البيت الحرام ، والسيادة على العرب جمعاء .. وماكان يظن أن يؤول هذا القول من ابن عبد الله الا بأنه الحمق فى أجلى صوره ، والطيش فى أقبح أنواعه ، ولو أنه كان ردا وكفى لقلنا انه أسلوب المتورط ، وتخلص المأخوذ ، أو حيلة العاجز الذى لايعنيه سوى التماس العذر لنفسه على شكل من الأشكال غير ملتفت الى حكمته وسداده ، أو الى غير ذلك ، لكنه كان رد الواثق كل الثقة ، المطمئن كل الاطمئنان ، وفى الوقت نفسه كان رد الرجل الذى تتضاءل أمام عظمته تيجان الملوك والسلاطين « **الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى** » وماقيمة ذلك كله عند رجل رسم الله له الحقائق . وعرفه زيف الناس ، وزخرف الحياة ، وأفهمه أن هذه كلها مظاهر كاذبة . ومفاتن باطلة « **وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى** »

وعاملان قويان كان محمد - صلى الله عليه وسلم - يجعل لهما الاعتبار فى تلك العظمة التى تملأ جوانب نفسه ، وتضع الشمس فى يمينه ، والقمر فى يساره ، وتفيض على قلبه هذا الاحساس الضخم بالكفاية الكبيرة لتلك الوظيفة التى هو صائر اليها « الرسالة العظمى » ..

العامل الأول : ماضيه المشرق ، وتاريخه النظيف ، وقد صح أنه لما صعد الصفا والمروة ونادى بطون العرب « **تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا** » **قال لهم** « **أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟** قالوا نعم ماجربنا عليك كذبا ..

العامل الثانى .. أنه انحدر من أصلاب الطاهرين من الرجال والنساء .. وقد جرت عادة الناس أن يبحثوا عن هذه المعانى كلها فى الرجل الداعية ، أو المصلح الذى يتصدر قيادة الجماهير ، وعلى هذا فمن حق محمد - صلى الله عليه وسلم - بعد أن توفر له ذلك كله ،أن يظل على موقفه فى صلابة وكبرياء ، ثم هو مع هذا لايرجو سيادة ولا قيادة ، ولا يطلب جاها وسلطانا ، انما كان يؤمن بحق جند نفسه له ، وسخر جهده لتحقيقه ، والايمان بالمبادىء والمثل ، تنهار أمامه الاعتبارات ، ولا تقف فى وجهه العقبات ، ولا تحول دونه القوى الغاشمة .. والمتتبع لسيرة الصادق المصدوق على ماأحاط بها من شدائد واكتنفها من محن ، يؤمن ايمانا كاملا بأن جوانب البطولة فيه تسترعى الانتباه ، وتستدعى الاهتمام ، وتستحق الدراسة التحليلية الواعية ، وبخاصة اذا نظرنا الى أنها شدائد ومحن ، لم تكن من خصوم الدعوة وكفى . ولا من أعدائه الذين كانوا ينفسون عليه هذا الجاه الذى أتيح له . أو السلطان الذى جعله الله فى يده . ولكنها شدائد ومحن كانت تنبعث له حتى من أهل بيته والمقربين منه ، ممن يرجو فى جوارهم الراحة ، ويأمل عندهم الاستقرار . ويظن أنهم يساعدونه على أداء الواجب . والقيام بما تتطلبه الرسالة .. وكان منطق هذه العراقيل ، وهذه العقبات والشدائد ، أن

يستسلم محمد للضعف ، ويلجأ الى الاستخذاء ويميل الى الهرب من الميدان ، فلا تقوم له حجة ولا تدوى له كلمة ، ولا ترفرف له راية، الا أن الثقة التى لاتتناهى ، والايمان الذى لايتزعزع ، والاطمئنان كل الاطمئنان الى نبل الغاية التى يسعى اليها ، والغرض الذى يعمل له ، والقوة الخفية التى تسنده ، وتلك الثروة الهائلة من العظمة التى ملأ الله بها جوانب نفسه ، أنسته كلها مايتخيل غيره فى المجد ، ومايظن سواه فى الجاه ، وزعمه الزاعمون فى العزة والشرف ، وأنت لاتتصور أبدا انسانا من الناس يرفض رفضا باتا ان يتدلى القمر الى يساره ، وأن تكون الشمس فى يمينه ، الا لأنهما سيخلبان يديه من معنى أثمن منهما ، وشرف يعظمهما ، ولا يرضى عاقل أن يستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ..

ولو أردنا — لهذه المناسبة — أن نجرى وراء القلم لنحصى لك الجوانب الشامخة من حياة « **سيد الناس** » لما انتهينا الى بعض من كل ، أو الى غيض من فيض ، أو الى قطرة من بحر وحسبنا أن نلفت نظرك الى الآية الكريمة فى أدب ربه معه « **فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** » فانها ترفعه الى مكان القداسة ، وتسمو به الى درجة لايصل اليها أحد من مخلوقات الله على الاطلاق، لأن الرجل الذى يجعل سبحانه وتعالى حكومته قضاء ، ورأيه فصلا ، وحبه عقيدة تملأ القلب ، ويذعن بها الفؤاد، من غير حرج فى النفس ، ولا كراهية فى الخاطر ، لايكون الا رجلا قد اصطفاه خالقه ، وحباه مولاه ، وأعزه ربه ، ورفعه على الناس صاحب الملك والملكوت ..

والعجيب الغريب . أن يكون محمد — صلى الله عليه وسلم — مع هذه المكانة التى كان عليها من العظمة والمجد ، والرفعة والشرف ، والجاه والسلطان ، متواضعا أشد التواضع ، جامعا لخلال المكارم ، يعفو ويصفح ويقبل العذر ، ويقيل العثرة ويتناسى الاساءة ، ويؤثر سواه على نفسه ، ويجود للفقراء بما فى يده ، ويعلن لأصحابه فى كل مناسبة أنه بشر يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ، وينادى القاضى والدانى بقوله « **انكم لاتسعون الناس بأرزاقكم فسعوهم بأخلاقكم** » ليعطيهم من نفسه أكثر مما يعطيهم من هديه ودرسه « **كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون** » وحاشا لمحمد — صلى الله عليه وسلم — ألا يعطى الناس من نفسه أكثر مما يعطيهم من درسه ، أو يأمر الناس بالبر ثم ينسى نفسه ، أو يكذب فعله قوله .. وهو الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه . وصدق فيه قوله جل جلاله « **وانك لعلى خلق عظيم** » ولم يصح فى التاريخ

أن أحدا عاب خلقه ، أو شكا من سلوكه ، أو ذم تصرفه ، أو انتقد معاملته لقومه وأهله . وكفاه تلك الشهادة الخالدة على الزمن « **ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** » فهو لم يكن جبارا ولا متكبرا ، ولا قاسيا عنيفا ولا شديدا صلبا ، بل كانت دعوته بالحسنى، وهدايته بالرفق ، واصلاحه بالحزم ، وارشاده بالحجة ، وتوجيهه بالمنطق ، ونصحه باللين ، وسياسته بالحلم ، وعظمته الضخمة جاءت من أن عفوه كان عن مقدرة ، وبذله كان عن غير غنى ، وتواضعه لم يكن عن صغار ، وتسامحه لم يكن عن عجز وسموه لم يكن عن كبرياء وهكذا كل عظمة لا يفرضها أصحابها فرضا ، ولا يأخذونها اغتصابا ، أو يملكونها بحكم القانون ، ورحم الله خليفته عمر بن الخطاب الذى كان مع افتراشه للمدر ، ونومه على التراب ، لايدانيه فى علو قدره الملوك ..وصلى الله على محمد فى يوم مولده وكل يوم من أيامه وجعلنا ممن يتبعون سننه ويهتدون بهديه ، ويؤمنون به ايمانا لاتزعزعه أعاصير الفتن ، ولا أهواء الناس ، ولا شهوات الدنيا ، ولاحب المال ولا رغبة السلطان .

ممالك اسلامية قديمة

الأدارسة

الأستاذ عبده بدوى

تمثل هذه الدولة فترة من فترات الصراع الذى قام بين ((الشيعة)) من جانب ، وبين الخوارج والعباسيين من جانب آخر ، فقد عاش العالم الاسلامى فى ضوء هذه التيارات التى تمت بأسباب الى الدين ، وتمثل فى الوقت نفسه جانبا من جوانب الصراع على المكاسب السياسية فى هذه الفترات البعيدة .

ذلك أنها كانت تلتقى جميعا فى الخلاف حول « الخلافة » وطبيعتها ، وأحقيتها ، وبتعبير حديث : بين الملكية والجمهورية وصلة كل منهما بالله وبالناس ، فالشيعة كانت تقصر حق الخلافة على البيت العلوى ، وتذهب فى هذا بعيدا حين تبعد بالامام عن « النمطية الانسانية » حتى لا يستند فى حقه على الجماهير ، وانما يستمد سلطانه مباشرة من السماء .

وفى الوقت نفسه كان « الخوارج » يؤمنون بحق « الانسان العادى » فى أن يقف على قمة التنظيم الاسلامى ، حتى ولو كان هذا الانسان عبدا أسود .

والى جانب هؤلاء وهؤلاء نرى الامويين والعباسيين يدعمون سلطانهم بالسيف ، ولا يقفون طويلا عند حدود الجدل الدينى المثار ، ذلك أنهم اندفعوا بكل قواهم الى التنظيم السياسى والحربى ، وبهذا وحده استطاعوا أن يكسبوا قضية « الحكم » الى

جانبهما فى الفترة المبكرة من تاريخ الاسلام ، وقد كان طبيعيا من وجهة نظرهما السياسية، أن يفتحوا عيونهم على فئتى الخوارج والشيعة معا ، وأن يعملوا على تمييع تلك القضايا التى تنادى بها الخوارج والشيعة .

على أنه كان هنـــاك نفر ـ من الممثلين للدعوتين ـ يقف بصلابة ليدافع عن معتقداته، ولكن القائمين بالحكم كانوا سرعان ما يبطشون بأصحاب هذه الآراء ، وبالملتفين من حولهم ، مما كان يجعل بعضهم طعـــاما للسيوف ، وبعضا آخر فى هرب منها .

وعن طريق هؤلاء الهاربين الذين كانوا يمثلون بعض قضايا العصر حملت هذه القضايا الى العالم الخارجى ، وقد كانت افريقية من هذا العالم الخارجى الذى انفعل بهـذه الأفكار الوافدة ، ووقف يدافع عنها فى الوقت الذى كانت تفقد فيه حرارتها فى العالم الآسيوى ، وقد كان من أثر هذا الاهتمام ظهور أول دولة « شيعية » فى التاريخ على مسرح افريقية ، وفى مراكش بالذات .

وقد بدأت بذور هذه الدولة ـ التى سميت دولة الادارسة ـ فى عهد خلافة (الهادى بن المهدى ١٦٩ ـ ١٧٠ هـ ، ٧٨٥ ـ ٧٨٦ م) .

ذلك أنه فى عام ٧٨٥ خرج الحسين بن على ابن الحسن بن على بن أبى طالب فى المدينة على حكم العباسيين ، وأعلن أحقية بيته فى الحكم ، وأن العباسيين ما عادوا يستطيعون القيـــام بعبء رسالة الاسلام ، وقد كان العـلويون

يجدون دائما ـ تطبيقا للقانون العاطفى ـ من يناصرهم ، ويخرج معهم على أساليب الحكم القائم ، رغم معرفتهم أن سيوف الحكم القائم لا تأخذها هوادة بهــم ، ولكنهم حين رأوا « الحسين بن على » يعبر عن وجهة نظره فى الحكم بصوت متهدج ، وجلال عميق نراهم يسارعون بالالتفاف من حوله ، ويحاربون معه والى المدينة فينتصرون عليه ، ثم يسيرون الى مكة فينضم اليهم كثـير من المستضعفين وبخاصة العبيد ، ولكن العباسيين يتمكنون منهم جميعا ، ويختمون القصـــة بتعليق رءوس مائة ثائر فى مقدمتها رأس « الحسين ابن على بن الحسن » ليدخل الخوف منهـا قلوب الناس .

وقد شهد هذه النهاية الحزينة للحسـين عمه « ادريس » ورأى أنه لم يعــد له فى الجزيرة العربية مقام ، وكان أن أسرع بالهرب، وبعد أن هدأت نفسه رأى أن يواصـل سيره الى مصر ، على أن فزعه سرعان ما هدأ حين علم أن « واضح » والى القاهرة يأخذ بمبادىء الشيعة ، وينتصر لهم فى غير ضجة ، ومن هنا لم يحس بالخطر حين سمع أن « واضحا » يبحث عنه ، ثم حين دخل عليه فى المكان الذى يقيم فيه ، وقد كان لقاء مشجيا أحس فيـه كل منهما أنهما يتلاقيان عند أفكار واحدة ، ويأخذان بوجهة نظر لن يحيدا عنها مهما كانت المخاطر .

وقد كان فيما قاله واضح : ان الحالة فى مصر ليست مهيأة لاعلان ظهوره والدعوة له ، وأنه يرى أن من الخير أن يتوجه الى المغرب الاقصى ، وقد نفذ ادريس هـذا ورأته مصر يخرج منها متنكرا ، وليس من ورائه أحـد سوى تابع له مخلص يسمى « راشد » ، على أنه ما لبث أن استقر أخيرا فى مدينة « وليلى » بالمغرب عام ١٧٢ هـ .

وهناك استطاع أن يتقابل مع الزعيـم البربرى « اسحق بن محمد بن عبد الحميد » وأن يحدثه عن نفسه ، وعن أسرته ، وعن ابن أخيه المقطوعة رأسه فى مكة ، وعن حق أسرته فى « الحكم » ، وأن من الواجب أن ينبـذ البربر طاعة العباسيين ، وأن يحيطوا بالشيعة، ويكونوا لها سيفا يضرب ، وعلما يرفع .

وقد أنس الزعيم البربرى الى هذا الحديث، وأحس له بسعادة غامرة ، وكان أن تحدث فى هذا الشأن الى بقية زعماء البربر ، فكان أن سمع منهم أنهم لا يدينون بآراء الشيعة لأنهم يميلون الى آراء أهل السنة فى مسائل الدين، ونظرتهم الى الخلافة ، ولكنهم ناقمون علـى العباسيين، ويرون أن هذا يكفى ليحركهم الى القيام بأية مغامرة جديدة .

وقد سعد ادريس بما سمع ، ودفعه الى هذا دفعا أنه علم أن « هارون الرشيد » الذى

كانت الخلافة قد آلت اليه قد أمر بقتل واضح لانه سهل له أمر الخروج من مصر ، وانه قد بدأ يرصد تحركاته ، ويتسقط أخباره .

وكان أن بكر فى الذهاب الى الزعيم البربرى اسحق ، ووضعا معا خطة اقامة أول دولة شيعية فى التاريخ الاسلامى ، وكان أن جمع اسحق الناس ، وعرفهم بادريس ، وخططه ، وطلب منهم الرأى ، فكان أن قالوا « الحمد لله الذى أكرمنا به ، وشرفنا بجواره ، وهو سيدنا ونحن العبيد ، فما الذى تريده منا » فرد اسحق « تبايعونه » فوافق الجميع .

وبهذا أعلنت دولة الادارسة فى أحضان قبائل أوربة ، ومغيلة ، وصدنية ، وزناتة ، والبربر فى عام ١٧٢ هـ .

على أن مطامع ادريس لم تقف عند هذا الحد ، لأنا نراه يضع فى مخططه العمل على انتشار الاسلام ، وتأكيد مذهب الشيعة ، وكان أن غزا « تامسنا » ثم سار الى « تادلا » التى ما كاد يصلها حتى أعلن من لم يكن قد أعلن اسلامه بعد اسلامه ، أما الجيوب التى استعصت عليه فقد عاد اليها ثانية .

ثم كان وقوع « تلمسان » ضربة عنيفة هزت الخلافة العباسية ، وكان أن درس « هارون الرشيد » فكرة غزو دولة الادارسة، **وكان مما قاله فى هذا الشأن : ان تلمسان باب افريقية ومن وضع يده على الباب يستطيع دخول الدار .**

على أنه عدل عن فكرة ارسال جيش لبعد الشقة ، والخوف من وقوع هزيمة له فى هذه البلاد مما يعرض هيبته للخطر ، وكان أن وقع فريسة القلق ، والغضب ، على أنه سرعان ما انتهى مع وزيره « يحيى بن خالد البرمكى » الى حيلة ماكرة ، انتهيا منها ، حين تحدثا فى أمر ادريس الى مولى يسمى « الشماخ » ، ثم أصدرا أمرهما بتزويده بما يريد ، ثم سلسلا فى نفسه الآمال العذبة ، ثم همسا له بما يريدان تنفيذه همسا .

وعلى طول الطريق من بغداد الى تلمسان كان « الشماخ » قلقا ، مجهدا ، غارقا فى التفكير ،وما كاد يصل الى تلمسان ، ويقابل « ادريس » حتى دخل اليه من الباب الفكرى الذى كان مفتوحا للجميع ، اذ انه أعلن فى خشوع أنه متشيع لآل البيت ، وناقم على العباسيين ، وأنه يريد خدمة ادريس بما فى قلبه من علم ، وما على لسانه من حجج ، وقد وصل بدهائه ، وحسن حديثه ، ووصوله الى ما يريد بسرعة .. الى قلب ادريس ، حتى أنه كان لا يتناول طعامه الا معه .

ومع انه أحس بكثير من العذاب النفسى ، الا أنه سرعان ما كان يهدهد ضميره ، ويخنق عواطفه ، وقد تمكن من هذا تماما حين غاب « راشد » فى أحد الأيام عن مجلس « أدريس » فقد رآها « الشماخ » فرصة سانحة ، فتحدث ، وتظرف ، وبالغ فى الخشوع وفى الابتسام ، وفى وسط هذا كله أطرق بعينيه ، ثم أخرج قارورة من الطيب المسموم، ثم رفعها فى وقار الى « ادريس » ، ثم واصل حديثه : « انها من أجود ما عرف من الطيب فى العالم ، وانه رأى أن يخص بها الامام ادريس ، وأنه يدعو الله الا يرفض هديته ، وكان أن ابتسم « ادريس » ، وتناولها منه ، ثم رفعها فى تؤدة الى انفه ليشمها ، وكان أن صعد السم الى رأسه ، وسقط مغشيا عليه .

وما كاد الشماخ يرى هذا حتى بادر الى بيته ، ثم أسرج فرسه ، وانطلق به يعدو وهو يرسم لنفسه فى بغداد صورة زاهية .

ولما كان « الشيعة » يؤمنون بنظام الوراثة فانهم انتظروا حتى وضعت « كنزة » البربرية مولودها منه ، وقد جاءت بولد سموه هو الآخر ادريس حين رأوه صورة ناطقة من أبيه ، وكان هذا فى عام ١٧٧ هـ ،وبمرور الأيام أصبح « ادريس بن ادريس » اماما تزهو به العدالة ، وقد جعل من أساليب سيادته التأكيد للعروبة فى هذه البلاد ، حتى أنه حين ضاقت بوفودهم مدينة « وليلى » نراه يختط من جديد مدينة « فاس » ، ومن فاس هذه تحرك لغزو « المصامدة » و « نغزة » ، وكان هدفه من هذا القضاء على دعوة « الخوارج »

التى كانت تنتشر فى حماس ، والتى كانت تصور حكمه على أنه ارستقراطية عربية ، ثم كانت قمة نجاحه حين وازن فى المناصب بين البربر والعرب ، وحين ضم المغرب الأوسط الى المغرب الأقصى ، وخلصهما تماما من التبعية للعباسيين .

وقد سارت الدولة على هذا الأساس ، واحست بالازدهار حين انضم اليها اللاجئون من أسبانيا ، وعملا معا جنبا الى جنب من أجل الاسلام ونشره فى هذه المنطقة .

على أن من جاءوا بعد ذلك من الحكام أخذ الضعف يتسرب الى نفوسهم ، وأصبحوا فى مستوى لا يرتفع الى مستوى الأحداث ، ومن هنا أخذت الأوراق الخضراء تتساقط عن هذه الدولة ، ففى عهد « محمد بن ادريس » (٢١٣ – ٢٢١ هـ ٨٢٨– ٨٣٥ م) رأينا اخوته يخرجون عليه ، ويفوتون التقدم على الشعب بالصراع بين بعضهم بعضا ، ثم يتولى من بعده الحكم « على بن احمد » وعمره تسع سنوات ، ثم يظهر فى عهد « يحيى بن محمد ابن ادريس » متنبىء يقلق بال الدولة من حوله ، ثم يأتى « يحيى بن يحيى » فيخلع عنه رداء الجلال ، وكان من حماقاته هجومه على فتاة يهودية فى حمام عام ، وحين يزداد تداعى الدولة فى عهد « على بن أحمد بن ادريس » نرى الخوارج يستعيدون نفوذهم ويعملون على تقويض الدولة ، وفى عهد « يحيى ابن القاسم » تقع الدولة فى صراع مع عبد الرازق الصفدى وفى عهد يحى بن ادريس بن عمر بن ادريس يقع صدام قوى يستطيع فيه عبيد الله المهدى مؤسس الأسرة العبيدية تصديع بنيان الدولة ، ثم تساعد على عملية التصديع هذه تلك القوى التى كانت تسمى « آل أبى الغافية » ، ومع انها كانت شبه محاصرة بالفاطميين فى مصر ، والأمويين فى الأندلس، الا أن الضربات الأخيرة والقاضية كانت على يد جيش الحكم الثانى خليفة قرطبة فى الفترة التى تولاها (٩٦١ – ٩٧٦) .

على أن ما يذكر لهذه الدولة انها استطاعت أن توحد قبائل متنافرة تحت رايتها ، وانها رجحت فى هذه المنطقة قوى الشيعة على قوى الخوارج ، واستطاعت أن تنشر الاسلام فى مساحات كبيرة ، وأن تؤكد للعروبة فى تلك البلاد ، وأن تحل لغتها رسميا محل لغة البربر ، وأخيرا أن تحقق حلما أثيرا مبكرا من أحلام الشيعة لأول مرة فى التاريخ الاسلامى .

الرجل الذى هزم إمبراطوريتين

خالد بن الوليد

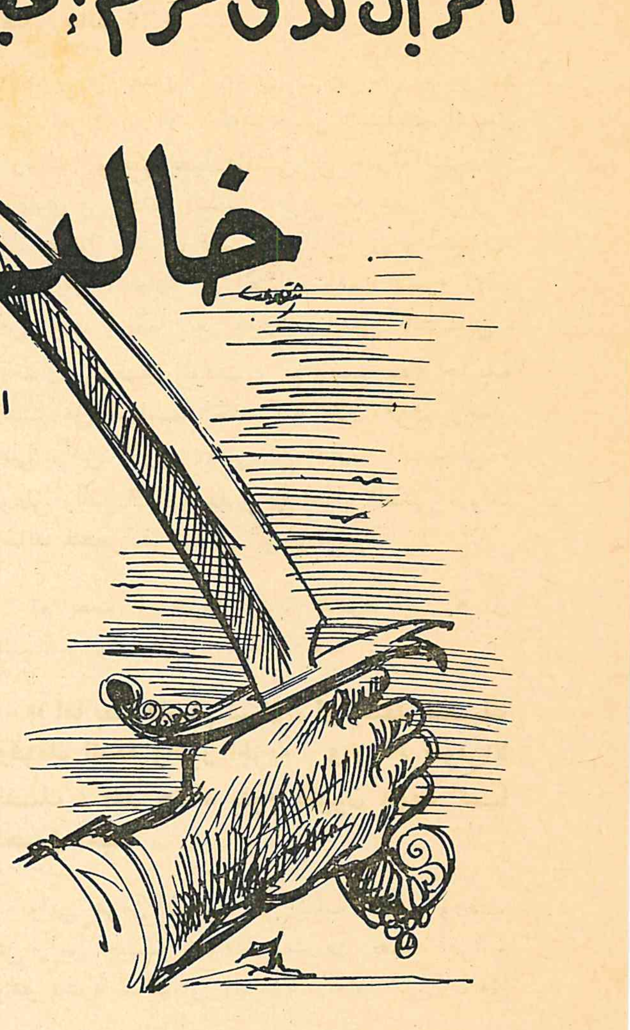

الاستاذ عبد العزيز الإسلامبولى

— ١ —

لاخلاف بين مؤرخى العالم ، على أن خالدبن الوليد ، يقتعد مقعد الصدارة فى التاريخ العسكرى ، قديمه وحديثه ، فهو بحق أعظم قائد عرفه العالم فى الحروب ، وأشجع فارس تخلعت لذكره القلوب ، وحسبه شرفا ومجادة أن يكون قائد الخيل فى بنى مخزوم ، وهم من قريش فى الذؤابة ، وأن يعقد له لواء القبة ، حيث تجمع فيها أموال قريش للحرب ، فى الجاهلية ، فلايصرف منها شىء بغير أمره ، وهو شرف لم يكن يطاوله شرف ، الا فى القليل من المناصب والأعباء .

((انت سيف الله ، سله على المشركين))

محمد صلى الله عليه وسلم

((يامعشر قريش ، عدا أسدكم على الأسد ، فغلبه على خرازيله ، أعجزت النساء أن يلدن مثل خالد ! »

أبو بكر الصديق

((أمر خالد نفسه . رحم الله أبا بكر ، كان أعلم بالرجال منى !»

عمر بن الخطاب

وهذا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لم يكن يحسب لأحد حسابا فى الحرب لغير خالد ، ودليل ذلك ماحدث فى موقعة أحد ، حين شغل المسلمون بعد انتصارهم بالغنائم ، فأخذتهم خيل خالد بن الوليد من ظهورهم ، وكان هو قائد المشركين ، فدارت الدائرة على المسلمين ، وأضطرب حبلهم ، وكان النبى — صلى الله عليه وسلم — قد أمر الرماة الا يبرحوا أماكنهم ، وكأنما أراد — صلى الله عليه وسلم — أن يحذرهم من خالد ، وهو أعلم بابن الوليد منهم أجمعين .

لذلك لم يكن عجبا ، حين هداه الله الى الاسلام ، قبيل بلوغه الثلاثين من سنى حياته ،

أن يعهد اليه النبى - صلى الله عليه وسلم - بشرف القيادة العامة ، فى أول غزوة من غزوات بلاد الروم ، بعد أن استشهد فيها ثلاثة من أكبر قواد المسلمين وهم : **زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبى طالب ، وعبد الله بن رواحه ،** فاذا به يختط خطة جديدة ، ويداور بالجيش مداورات ريع منها اهل الروم ، ثم يأخذهم باليمين وبالشمال أخذ عزيز مقتدر ، ويزلزل بهم وبخيولهم زلزالا شديدا ، ثم ولوا مدبرين وارتفعت راية المسلمين ، بعد أن كسر خالد فى هذه الواقعة تسعة سيوف ، ونال المسلمون من الغنائم شيئا فاق الحصر والعد ، وصدقت كلمة رسول الله ، فقد قال له « **أنت سيف الله سله الله على المشركين ، » ودعا له بالنصر .**

- ٢ -

ولما قامت حروب الردة ، لم يجد خليفة رسول الله كفئا لمحقهم وسحق المتنبئين منهم غير ابن الوليد ، وقد صدقت فراسة - أبى بكر - رضى الله عنه - فانه لم يدع لهم بابا للنجاة الا سده عليهم ، ولاطريقا للفرار الا أغلقه فى وجوههم ونزل عليهم كالصاعقة ، وأذاقهم بأس الله فى مواقف عدة ، كانت جميعها حزما وعزما ، واحكاما وتدبيرا ، ونجدة وشهامة .

- ٣ -

ثم وجهه الصديق - رضى الله عنه - الى العراق ، فأقام بها للحرب سوقا تجعل الولدان شيبا ، وأطاح بملك الأكاسرة ، وحطم تيجان بنى ساسان ، وأعلى كلمة الاسلام فى كل موقعة حتى لقد دهش العالم كله ، من تحقق هذه المعجزة على يد هذا العربى البسيط ، بل لقد ذهل المسلمون أنفسهم ، وهم يرون ابن الوليد ينتقل من نصر الى نصر ، ومن بلد الى بلد ، ومن ثغر الى ثغر ، ومن بادية الى بادية ، لايدع أمامه سبيلا لعدو ، وتحدث بعضهم الى أبى بكر - رضى الله عنه - فى هذا ، فقال كلمته الباقية على الزمن ، متمدحا متسائلا تساؤل العارف :

« يامعشر قريش عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خرازيله أعجزت النساء أن يلدن مثل خالد ؟! »

ويذكر بعض المؤرخين أن أبا بكر لم يوجهه الى العراق ، الا لانقاذ جيش المسلمين الذى أرسله أبو بكر بقيادة المثنى بن حارثة الشيبانى وعدى بن حاتم الطائى ، ويرجح هذا الرأى ، أن خالدا بعد أن قضى على المرتدين والمتنبئين ، سار من اليمامة الى العراق ومعه عشرة آلاف من الجند ، فلما بلغ الحدود ، التقى بالقائدين ، وتدارس معهما الموقف ، ثم وضع خطة جديدة قسم على أساسها الجند كله ثلاث فرق وجعل على رأس الأولى المثنى بن حارثة الشيبانى ، وعلى رأس الثانية عدى بن حاتم الطائى ، وأما خالد فجعل فرقته فى المؤخرة .

ثم بعث الى هرمز كتابا يدعوه فيه الى التسليم والسلام ، ويقول فيه :

« أما بعد فأسلم تسلم ، أو اعتقد لنفسك وقومك الذمة وأقرر الجزية ، والا فلا تلومن الا نفسك ، فقد جئتك بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة »

وأبى هرمز أن يرد على كتاب خالد ، ووقف على رأس جيشه ، وقد بيت فى نفسه أمرا ، وهو دعوة خالد الى المبارزة ، فاذا لبى ، وهو متحقق من ذلك ، فسيأخذه اثنان من قواد الفرس غيلة وغدرا ، وبذلك يضمن النصر كل النصر ، لأنه يعلم علم اليقين ، أن موت خالد الذى لايغلب ، كفيل بانهاء المعركة فى مصلحة الفرس ،

والتقى الجيشان ، ووقف هرمز بين اثنين من امراء فارس ، ونادى : أين خالد ؟ وأسرع خالد فنزل عن جواده واتجه اليه كالسهم واختلفا ضربتين ، وأحاط فرسان العجم يهمون بقتل خالد ، وانقاذ هرمز من بين يديه ، فاذا بخالد يعجله بضربة يستل بها روحه ، وينقض على عصابته انقضاض الأسد الهصور ، لايدع ولايذر وركب أكتافهم الى الليل ، وجيش المسلمين من ورائه حتى تم النصر المؤزر .

ونلاحظ هنا أمورا ثلاثة :

أولا - أنه قلب الخطة الحربية التى رسمها القائدان اللذان توليا القيادة قبله ، رأسا على عقب . فهل كانت من الاحكام بالمكانة التى حققت النصر ؟ حسبنا أن نقرأ فى هذا شهادة مؤرخ أجنبى هو الأستاذ (ول ديورانت) ، حيث يقول فى صدد معارك خالد بن الوليد وجيوشه .

« كان قادة المسلمين من صحابة النبى المتحمسين ، يصلون لله وهم يحاربون ، ويصلون أكثر مما يحاربون ، وقد بعثوا فى قلوب أتباعهم على مر الأيام روحا حماسية قوية ، اعتقدوا معها أن الموت فى الجهاد يفتح لهم أبواب الجنة ..

« ولقد كانت جيوش العرب خيرا من جيوش الفرس والروم نظاما وأحسن قيادة ، يألفون المشاق وينالون جزاءهم من الفىء ، لقد كان فى وسعهم أن يحاربوا وبطونهم خاوية ، ويعتمدوا على النصر فى الحصول على طعامهم ..

« وكان العرب فرسانا مهرة لايضارعهم فى مهارتهم خيالة الفرس والروم ولم يكن فى العصور الوسطى انسان أو حيوان يستطيع أن يقاوم صيحاتهم الحربية العجيبة ، أو حركاتهم العسكرية المحيرة ، أو سرعة كرهم وفرهم ..

ثانيا - أنه كان يخير المشركين فى واحدة من ثلاث : الاسلام ، أو الجزية ، أو الحرب . وفى هذا أكبر برهان على دحض الأكذوبة التاريخية التى نسج خيوطها أعداء الاسلام ، وهى أنه دين لم يقم بغير السيف .

ثالثا - شجاعة خالد التى تسنمت الذروة فاذا أضيفت الى رجاحة عقله ، وحسن تدبيره تحقق ماقام به أصحاب التاريخ العسكرى من عقد موازنات انتهوا فيها الى تقدمه على الاسكندر الأكبر ، وهانيبال ، ويوليوس قيصر ، وبونابرت ، وجنكيز خان ، وكمال اتاتورك ، وغيرهم « فقد كان - كما يقول ديورانت - **كل نصر يتطلب نصرا جديدا حتى أصبحت الفتوحات العربية - التى كانت أسرع من الفتوح الرومانية ، وابقى على الزمان من الفتوح المغولية - أعظم الأعمال اثارة للدهشة فى التاريخ الحربى كله »**

ولما أراد الله للمسلمين أن يفتحوا الشام ، وأن تدول الامبراطورية الرومانية الشرقية ، اندلق سيف الله المسلول من غمده بأمر خليفة المسلمين ، أبى بكر الصديق ، مندفعا الى الشام على رأس أربعين ألفا ، فى حين كان جيش الروم مائتى ألف وأربعين ألفا ، مابين مقيد بالسلاسل ، ومعقول بالعمائم ، حتى لايفروا ولم يكن العرب - قبل خالد - يقاتلون أعداءهم متساندين ، فلم تكن لهم قيادة عامة يرجعون اليها ، ويتلقون الأوامر منها ، وانما كان الشأن بينهم أن يتولى كل رئيس قبيلة من قبائلهم أمر أصحابه .

وظل خالد لايفصح عن خطته التى اعتزمها حتى بلغ اليرموك ، فجمع رؤساء الجيش وقادته الأدنين ، ثم خطب فيهم خطبة تعد من أروع الخطب العسكرية ، قال فيها :

« ان هذا يوم من أيام الله ، لا ينبغى فيه الفخر ولا البغى ، أخلصوا جهادكم وارضوا الله بعملكم فان هذا يوم له ما بعده ، ولا تقاتلوا قوما على نظام وتعبية (وهى تدبير أمر الجيش وجمع شمله) وانتم متساندون ، فان ذلك لايحل ولاينبغى . وان وراءكم من لو يعلم علمكم - أى الخليفة - حال بينكم وبين هذا ، فاعملوا فيما لم تؤمروا به ، بالذى ترون أنه رأى من واليكم » .

ثم أمر بأن يتولى كل زعيم قوم منهم أمر الجيش كله يوما ، وأن يكون هو أول زعيم لأول يوم ، فأجابوا بالسمع والطاعة ، وهم يظنون أن الأمر لايعدو مايحدث كل مرة ، وخرج الروم فى تعبئة ونظام لم يشهد العرب نظيرا لهما ، وخرج العرب فى تعبئة ونظام لم تعرفه العرب قبل هذا اليوم ، ولم يشهده الروم كما شهدوه اليوم .

فجعل خالد على كل جزء من الجيش رجلا من المعروفين ، بعد ان قدم فى نظامه وأخر وجعل أبا عبيدة قائدا للقلب ، وعمرو بن العاص قائدا للميمنة ، ويزيد بن ابى سفيان للميسرة ،

وعكرمة بن أبى جهل قائدا للساقة – وهى المقدمة وعين أبا الدرداء قاضيا ، وأبا سفيان مؤرخا ، وجعل كلا من القلب والجناجين كراديس ، على كل واحد منها رجل من الفرسان الشجعان فى نظام يروع القلب، ويوهم بالكثرة، فيختلط أمره على العدو ويظن أن عدد الجند يفوق ماقدر أضعافا مضاعفة .

ثم التحم الناس ، واشتد القتال بين الفريقين واذا برسول من الخليفة يقدم على خالد ، ومعه كتاب يخفيه عن الناس ، وهم يسألونه : ماوراءك ، فيقول : الخير والأمداد ، حتى بلغ ابن الوليد ووضع الكتاب بين يديه ، فاذا فيه نبأ وفاة أبى بكر – رضى الله عنه – وانتقال الخلافة الى عمر بن الخطاب ، وأمر بعزل خالد ، وتعيين أبى عبيدة قائدا عاما .

وما أحسن قول (ديورانت) معلقا على هذا التصرف بقوله :

((لقد نظر القائد الباسل الى مسألة تنحيته نظرة ملؤها الشهامة ، وهو أجمل من الشهامة ، فقد وضع نفسه تحت تصرف أبى عبيدة ، بلا قيد ولاشرط . وأوتى أبو عبيدة من الحكمة ماجعله يتبع مشورة خالد فى شئون الحرب ، ويعارض قسوته بعد النصر))

أجل هذا موقف خالد من أعظم مواقف خالد، انه عمل لانظير له فى تاريخ الحرب منذ أقدم التاريخ حتى الآن ، ان الانسان ليعجز عن ادراك المنزلة التى سمت اليها نفس خالد ،فلو أنه احتج على هذا الأمر ، أو أبدى تذمرا منه ، أو بدرت منه بادرة غيظ أو غضب ، لالتمس الناس له عذرا وأى عذر ، ولكن القائد العظيم ظل فى اخلاصه مع الخليفة ، حريصا على طاعته ، فتصرف تصرف الخبير الحكيم ، فأخفى الكتاب خشية أن تضعف قلوب الجند ، ويدب التفرق بين المسلمين .

واشتدت الحرب حين حمل الروم حملة زحزحوا فيها المسلمين اول الأمر عن مواقعهم ثم كر المسلمون عليهم ، واشتد عليهم البأس فتضعضعوا ، ورأى خالد ان يقود بنفسه القلب ، حتى كان بين خيلهم ورجلهم ،ومازال ينقض على الروم ذات اليمين وذات الشمال ، حتى انهزمت الخيالة ، وفروا تاركين الرجالة تحت رحمة ابن الوليد ، وأخذ هؤلاء يتلقون ضرباته صرعى بسيوف المسلمين تحت سنابك خيلهم ، حتى تم النصر للمسلمين ، ورفع خالد علم التوحيد مرفرفا فوق رءوس الشرك وتيجان الرومان ، التى تهاوت فى الشرق ، ايذانا بنهايتها فى الغرب .

وقام خالد الى أبى عبيدة الجراح ، حيث أدى اليه تحية الجندى المخلص الى قائده ، ثم سلم اليه كتاب أمير المؤمنين ، وأسلم اليه القيادة ، وأبى أبو عبيدة الا ان يحترم رأى خالد ، وينفذ خطته ، وأن يستشيره فى كل أمر ، ومازال خالد جنديا فى نفس قائد ،وقائدا فى صورة جندى حتى فتح أكثر مابقى من بلاد الروم ، وحتى اضطر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، أن يعيد اليه الأمارة وقيادة الجيش ثم يسجل على نفسه قولته المخلدة وهى :

((أمر خالد نفسه ، رحم الله ابا بكر ،كان أعلم بالرجال منى !)) ولم يزل أميرا حتى توفى وفى بعض الروايات انه استمر يقاتل بين يدى أبى عبيدة ، حتى تم فتح الشام سنة (١٤هـ) فرحل الى المدينة ، ثم دعاه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ليوليه قيادة جيوش المسلمين ، فأبى .

ذلكم هو خالد بن الوليد العربى القرشى المخزومى ، أعظم قائد عرفه الشرق والغرب ، فى القديم والحديث ، باجماع المؤرخين عامة ولاسيما علماء التاريخ العسكرى .

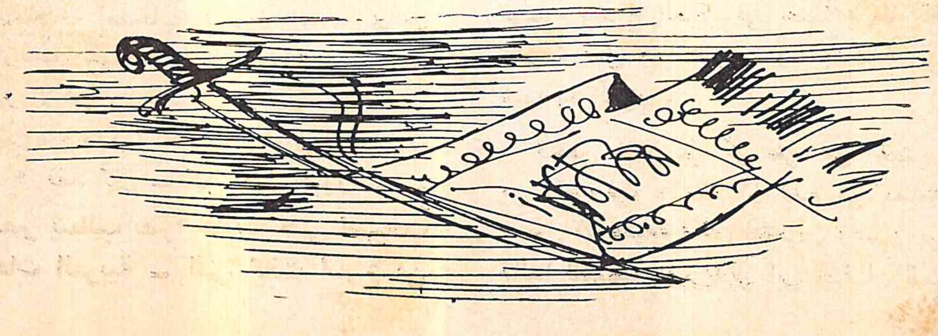

مولد النور

الدكتور حسن جاد

شاقَ الوجودَ صباحُه المتألِّقُ ... يومٌ بمَولد نور طه يُشْرِقُ
سرٌ حَوتْه من السماءِ سَريرةٌ ... نَشْوَى بأنوار النبوَّةِ تَخفِقُ
يَنْسابُ فى الأَصلاب وهى مَجامِرٌ ... طِيبًا يَفوحُ به الزمانُ ويَعْبقُ
تَتَساءَلُ الدنيا : متى ميعادُه ؟ ... ويُمِضُّها شَوقٌ إليه مُؤَرِّقُ
وتَبِيتُ تحسُد يومَه أيامُهـا ... وتودُّ لو عَجِلتْ إليه فتَلحَقُ
والكَونُ مشبوبُ الضِّرام مُفزَّعٌ ... قد لفَّهُ ليلُ الضلال المُطْبقُ
والحقدُ يُوغِلُ فى النفوس ضَراوةً ... والشرُّ يَغلى فى الصدور ويَمْرُقُ
والناسُ فوضى لا ترى مِن بينهم ... إلا عَبيدَ حجارةٍ لا تَنْطِقُ
جَهلٌ وَظُلْمٌ عارمٌ وسفاهَةٌ ... وتَنَابُزٌ وتَحلُّلٌ وتَفرُّقُ
ضَلُّوا عن الحقِّ القويم وصَدَّهُم ... داعٍ إلى عَصبيَّةٍ يَتَمَشْدَقُ
وإذا ادْلَهَمَّ الليلُ واعْتكَر الدُّجى ... لم يَسْتَبِنْ نورَ السماءِ مُحَدِّقُ

* * *

حتى أراد اللهُ رحمةَ خَلْقِهِ | واللهُ يَلطفُ بالعباد ويَرْفق
في ليلةٍ نشر الربيعُ لواءَه | وسرى النسيمُ بها عبيراً يُنْشَقُ
والأُفْقُ عِطْرِيٌّ الفضاءِ كأنما | في كل ناحيةٍ بخورٌ يُحْرَقَ
وازَّيَّنَتْ قُبَبُ السماءِ بموكب | فيه الملائكةُ الكرامُ تحلَّقُوا
والأَرضُ عُرْسٌ والرُّبَا مَجْلُوّةٌ | فاحَ العَرارُ بها ورَفَّ الزَّنْبَق
والرَّمْلُ نشوانُ المنى مُتهامِسٌ | والليلُ هَيْمَانُ الرُّؤَى مُتَشَوِّق
والشِّركُ لَهْفَانُ السُّؤَالِ وقَيْصَرٌ | حَيْرَانُ مَبْهورٌ وكِسرى مُطْرِق
شَقَّتْ مِن الأَبد الفضاءَ وجَلْجلتْ | بُشرى تَهُزُّ المشركين وتَصْعَق
طارَتْ بألباب الحُداةِ فوَقَّفوا | وتَلفَّتَتْ طربًا إليها الأَيْنُق
وهوَتْ لِرَوْعتِها الغرانيقُ العُلاَ | واندكَّ إيوانٌ وزُلْزِلَ جَوسَقُ
والنورُ يَهزِمُ في الشِّعابِ ظلامَها | ويُغيرُ منه على البطائح فَيْلَقُ
وأشاعَ في الدنيا بَهاءَ جلالِه | فجرٌ عليه من النبوَّة رَوْنَق
وُلِدَ الهُدَى والنورُ فانجابَ الدجى | عنها وطالَعَها الصباحُ المشْرِقُ

* * *

يامَن أعادَ إلى الوجود شبابَه | فكأنَّما وُلِدَ الربيعُ المُونِقُ
وجَرى على فَمِه البيانُ وهَدْيُه | نَبْعًا تَفجَّرَ أو حَيًا يتدفَّقُ
أَلَّفْتَ ما بين القلوب فلم يَعُدْ | باغٍ يُصاوِلُ أو مَغيظٌ يَحنِقُ
وفَتَحْتَ إسْعادًا وكم مِن فاتحٍ | في فَتْحِهِ حلَّ الشقاءُ المُحْدِقُ
ما كان إلا للسعادة والهدى | رُمْحٌ يُسَدَّدُ أوحُسامٌ يُمْشَقُ
وبَنَيْتَ مُلْكًا باذِخًا بشريعة | تَسَعُ الحياةَ جديدُها لايَخْلَقُ
الحقُّ والسَّلم الموطَّدُ أُسُّها | والعدلُ خفَّاقٌ عليها يَسْمَق

لا جاه إلا الصالحاتُ ولا غِنىً إلا أَصابَ الحقَّ فيه المُمْلِقُ
إن الذين تَنكَّبُوا دُستورَهـــا ضلُّوا الطريقَ إلى السلام وأخفقوا
وإذا استبدَّتْ بالسلام مطامعٌ كان البشيرُ به غرابًا يَنْعَقُ

* * *

يارَبُّ هذا الغربُ فى غُلَوَائه غاض الوفاءُ به وضاع الموثِق
يتصارعون على مبادىءِ غابة خَرْقاءَ يَزْأَرُ فى دجاها أَخرقُ
ذَرِّيَّة الأَنياب ضارية الشَّرى يُسْبَى بها الحَمَلُ الوديعُ ويُسْرَقُ
مَشْبوبة الأَحقاد كلُّ فريســـةٍ عَزْلاءَ يَشْويها لظاها المُحْرِقُ
وبنو العروبة فى تصدُّع شملهم جَوْعَانُ محرومٌ وعَانٍ مُوثَقُ
ناموا على المجد القديم فإن صَحَوْا فعلَى أَدِيمٍ بينهم يَتمزَّقُ
يُغْزَوْن فى أَوطانهم وسلاحُهم خُطَبٌ عَلَى خَطْب الزمان تُنَمَّقُ
والنَّادباتُ من القوافى وَحْدَها لا يُشْتَفَى جُرْحٌ بها أَو يُرْتَقُ
الأُمَّةُ العزْلاءُ أين مكانهـــا مما يصول به القوىُّ الأَحمَقُ ؟
السيفُ أَبلغُ فى الحقيقة مَنْطِقًا إن كان لا يُجْدى الحقيقةَ مَنْطِقُ
والحقُّ إن أَعْياهُ صِدقُ مُدافِعٍ فالمِدفَعُ الرنانُ منهُ أَصْدَقُ
والخيلُ أَفصحُ مِن خيالٍ شاعرٍ يَختالُ فى أُفُق المنى ويُحَـــلِّقُ
مَجْدُ العُروبة وحْدةٌ وتَسَلُّحٌ فالسيفُ أَجدى والتضامُنُ أَخْلَقُ

* * *

يارَبُّ إن عزَّ الرجاءُ فلم يزل يُومِى إليكَ مَغَرِّبٌ ومُشَرِّقُ
طَهِّرْ رحابَ الأَرض مِن أَرجاسها وأَعِدْ لواءَ العدلِ فيها يخفِقُ
والْطُفْ لأَجل محمَّدٍ بشعوبه واكشِف بفضلك ما يعانى المَشْرِقُ
وانصُرْ (جمالًا) قائد العرب الذى بكفاحِه آمالُنا تَتَحقَّـــقُ

يا أحب أحباء الله

الدكتور محمد مصطفى حلمى

حبذا عقد سؤدد وفخار
أنت فيه اليتيمة العصماء
ومحيا كالشمس منك مضىء
أسفرت عنه ليلة غراء
ليلة المولد الذى كان للدين
ن سرور بيومه وازدهاء
وتوالت بشرى الهواتف أن قد
ولد المصطفى وحق الهناء

« البوصيرى »

ها نحن أولاء — يا رسول الله — فى ربيع مولدك الذى طلع فيه على الوجود محياك، فملأه نورا من أنوار هداك، لأنه كان مطلع الحياة التى غيرت وجه الحياة، ومنشأ الانسان الذى هو أكمل انسان، ومبدأ السيرة التى أصبح صاحبها المثل الأعلى لكل من اقتدى به، والمورد الأحلى لكل من أقبل عليه : لأنك لم تكن مخلوقا كغيرك من المخلوقين، ولا نبيا كغيرك من النبيين، ولا مرسلا كغيرك من المرسلين، وانما كنت أكرم خلق الله، وأعظم أنبياء الله، وخاتم رسل الله، وكنت الى هذا كله حبيب الله وصفيه، وخليل الله ونجيه، فما أزهى وأزهر مطلع مولدك يا رسول الله .. وما أزكى وأنور سريرتك يا أحب أحباء الله .. وماأنقى وأعطر سيرتك يا أصفى أصفياء الله ..

وها هى ذى ذكرى مولدك النبوى الشريف فى ليلة الثانى عشر من ربيع الأول فى كل عام، ما لاحت لوائحها الألفة، ولا فاحت روائحها

العبقة ، الا ألممت بسيرتك العطرة ، أستشرق أنوارها فأستهديها ، وأستعمق أسرارهـــا فأستوحيها ، وأرانى ما فعلت ذلك عاما بعد عام ، الا وجدت فيه نعم المعين الذى لا يخذل المستعين به ، والا أصبت عنده نعم المعين الذى لا يظمأ الناهل منه ، والا كان لى من كل ماصدر عنك من أقوال وأفعال وأحوال القدوة الحسنة ، وفى كل ما فاض منـــك من أفضال وخـــلال وخصال الأسوة الصالحة : ذلك بأن الله - عز وجل - قد قومك أقوم تقـويم ، وكرمك أكرم تكريم ، وخصك بأخص الخصائص ففطرك على خلق عظيم • وليس من شك فى أنه ما اقتدى بك مقتد ، ولا اهتدى بهديك مهتد ، الا كان بمنجاة من غوائل المحن والخطوب ، وبمـــأمن من عوادى الفتن والكروب •

وها أنا ذا أقف اليوم كما وقفت بالأمس ، مع سيرتك يا رسول الله ، أتدبر ألفاظهـــا ومعانيها ، وأتفكر فى أغراضها ومراميها ، فاذا هى سيرة محب أحب الله فاهتدى بهـداه ، وسيرة محبوب أحبه الله فاجتباه واصطفاه : ذلك بأنك يا أحب المحبيـــن لله ، ويا أحب المحبوبين من الله ، قد حييت حياة روحيـــة خالصة لوجه الله ، فلم تخش أحدا من خلـق الله ، ولم تفرط فى حق من حقوق الله ، وانما أسلمت وجهك لله ، وتوكلت فى كل أمرك على الله ، وأحققت الحق وأزهقت البـــاطل فى سبيل الله ، فكانت حياتك بهذا كله حياة جهاد وجلاد وصبر أقيمت على دعائم من الخلق القوى والايمان النقى : جاهدت النفس والشيطان ، وجاهدت الاثم والعدوان ، وجاهـدت البغى والطغيان ، وجاهدت الظلم والظالمين ، وجاهدت الشرك والمشركين ، وصبرت على أذى المستهزئين الذين ضلوا فانحرفـــوا ، وآذوا فأسرفوا ، وأخذوا يدبرون لك ، ويأتمرون بك ، ويحاولون النيل منك ، وأنت كما أنت ، صامد صـــابر محتسب ، لا تيـأس ولا تبتئس ولا تكتئب ، ولا تشكو الا الى الله ، ولا تستعين الا بالله ، ولا تصبر نفسك الا بالله ومع الذين يدعـون الله •

على أن القوم ما فتئوا يتمادون فى الشر ، ويغرقون فى البغى ، ويمعنون فى الاستهزاء ، ويسرفون فى الايـــذاء ، وما فتئت - يا أكرم خلق الله على الله - تقيم على أمر الله ، وتؤدى الى قومك النصح والارشـــاد من لدن الله ، وتهديهم سواء السبيل الى الله ، وتأخذ نفسك باحتمال ما تلقى منهـــم من التكذيب والأذى والاستهزاء ، حتى أنزل الله - سبحانه - عليك قوله :

« فاصدع بما تؤمر ، وأعرض عن المشركين ، انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون » •

كل أولئـــك وأنت تأخـــذ العفو ، وتأمر بالعرف ، وتعرض عن الجاهلين ، حتى أعـزك الله ونصرك ، وأعز بك الاسلام ونصر على يديك الحق المبيـــن ، وكيف لا يكون ذلك كذلك ، وأنت - يا أعز خلق الله على الله - كما وصفك شمس الدين النواجى فقال :

محمد المختـــار أشرف من دعـــا
الى الله وانقـــادت اليه الشرائع
نبى كـــريم طاهر ومطهـــر
رءوف رحيم خاشع متواضـــع
بشير نذير صادق ومصـــدق
سراج منير فى دجى الغى لامع
أتانا ودين الكفر أسود حالك
فأصبح والاسلام أبيض ناصع

وكيف لا يكون ذلك كذلك أيضـــا وأنت - يا أصبر خلق الله على البأساء وأشكرهم عـلى النعماء - كما عدد البوصيرى فضائلك الغر ، وشمائلك النضر فقال :

رحمـــة كله وحزم وعـــزم
ووقار وعصـــمة وحيـــاء
لا تحل البأساء منه عرى الصبـ
ــر ولا تستخفه الســـراء
كرمت نفسه فما يخطر السو
ء على قلبه ولا الفحشـــاء
عظمت نعمـــة الاله عليـــه
فاســـتقلت لذكره العظمـــاء
جهلت قومه عليـــــه فأغضى
وأخو الحلم دأبه الاغضـــاء
وسع العالمين علما وحلمـــا
فهو بحر لم تعيه الأعبـــاء
معجز القول والفعال كريم الخلـ
ـــق والخلق مقسط معطـــاء

وها أنت ذا – يا خاتم رسل الله – قد استودعك الله أمانته ، وحملك رسالته ، وسرت سيرتك فى أداء هذه الرسالة وتلك الأمانة ، فما تصفحت صفحة من صفحاتها ، ولا استروحت نفحة من نفحاتها ، الا وجدت فيها عظتى وعبرتى ، والا اتخذت منها قدوتى وأسوتى ، والتمست عندها عضدى وقوتى ، وعزائى وسلوتى ، وذلك كله وكثير غيره من ثنايا ما اشتملت عليه من الأسرار الالهية ، وما فاضت به من الأنوار القدسية ، وكل أولئك انما هو آيات مشرقات ودلالات صادقات على أن الله ما كان لينصر عليك المشركين الضالين ، ولا الظالمين الآثمين ، ولا الباغين الطاغين ، وأنت ما أنت من دعوة الى الحق المبين ، ومن تمسك بالكتاب الذى أنزله عليك رب العالمين ، هدى ورحمة للمتقين .

نعم ، لقد أوذيت وحوربت واستهزىء بك وسخر منك ، وأريد بك الشر والقتل أكثر من مرة ، وأنت فى كل مرة تحرسك عناية الله يا حبيب الله وصفيه ، وتحفظك رعاية الله يا رسول الله ونجيه : ذلك بأن ربك هو الحق، ودعوتك هى دعوة الى الحق ، وأنت فيما تدعو اليه وتتمسك به انما تدعو الى الحق وتتمسك بالحق ، وخصومك طغاة بغاة ، وبالباطل سعاة وللشر دعاة ، ولا يمكن أن يظهر باطل خصومك على حقك وحق ربك ، ولا أن تغلب ظلمة شركهم وشكهم على نور توحيدك ووحدانية ربك ، ومن هنا كان ماكان من تأييد الله لك وانعامه عليك، بقدر ما كان من خذلان الله لخصومك وهزيمته لهم من دونك ، وأى شىء أدل على هزيمة ربك لخصومك وخذلانه لهم ، ونصرته لك واظهارك عليهم ، من قصص المستهزئين معك ، ومن سيرتك معهم وموقفك منهم ..

فهذا هو أبو جهل ، وكان أشد المستهزئين وأمعن المعتدين ، لقد قال يوما : يا معشر قريش .. ان محمدا قد أتى ما ترون من عيب دينكم وشتم آلهتكم وتسفيه أحلامكم ، وسب آبائكم، انى أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر لا أطيق حمله ، فاذا سجد فى صلاته رضخت به رأسه، فأسلمونى أو امنعونى ، وليصنع بى بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم .

فلما أصبح أخذ حجرا كما وصف ثم جلس لك يا رسول الله ينتظرك ، وغدوت – عليك السلام – كما كنت تغدو لصلاتك ، وقريش فى أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل ، فلما سجدت – عليك السلام – احتمل أبو جهل الحجر ، وأقبل نحوك ، حتى اذا دنا منك رجع منهزما ممتقعا لونه من الفزع ورمى حجره من يده ، فقام اليه رجال من قريش فقالوا : ما لك يا أبا الحكم ؟ قال : قمت اليه لأفعل ما قلت لكم ، فلما دنوت منه عرض لى فحل من الابل ، والله ما رأيت مثله قط ، هم بى أن يأكلنى ، ولما ذكر ذلك لك – يا حبيب الله ، ويا مؤيدا بروح من عند الله – قلت : ذاك جبريل ولو دنا لأخذه .

وهؤلاء هم الوليد بن المغيرة وأمية بن خلف وأبو جهل بن هشام ، قد مررت بهم – يا آثر خلق الله عند الله – ذات يوم، فاذا هم يغمزون ويهمزون ، ويسخرون ويستهزئون ، ولكن ربك الذى نصرك وخذلهم ، وأعزك وأذلهم ، ووعدك وتوعدهم ، أنزل عليك قوله عز وجل : **« ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون ، قل سيروا فى الأرض ، ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين »** .

وهذا هو أمية بن خلف ، ما كان ليراك الا همزك ولمزك ، ولكن مولاك الذى حفظك ورعاك، هدده وتوعده بالويل وسوء العقبى ، بقدر ما أمنك ووعدك وكتب لك الحسنى ، وذلك فى قوله سبحانه وتعالى :

« ويل لكل همزة لمزة ، الذى جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخلده ، كلا لينبذن فى الحطمة وما أدراك ما الحطمة ، نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة ، انها عليهم مؤصدة فى عمد ممددة » .

كل أولئك وكثير غيره مما خلعت به سيرتك من أعظم المواقف ، وما انطوت عليه من أكرم المعانى ، وما ضربته بها من أكمل الأمثال ، وما أقمته عليها من أجل الأعمال ، ما ألممت به ، ولا وقفت عنده ، ولا أعملت عقلى فيه ، ولا ملأت قلبى بمعانيه ، ولا استنرت به كلما

غشيت الغواشى ، ولا فزعت اليه كلما عدت العوادى ، الا أصبت منه قوتا لقلبى ، وروحا لروحى ، وجلاء لعقلى ، وصفاء لضميرى ، والا ألفيت عند مشكاتك الضياء الذى يبدد الظلمات والدواء الذى يفرج الكربات ، والقوة التى يستمد منها المظلوم عونه على محو الظلم وتشتيت شمل الظالمين ، والعبرة التى يستهديها المهضوم فيما هو بسبيله من صد الهاضمين ٠٠ وكيف لا يكون ذلك كذلك وأنت – يا خير من اصطفاه الله – المنهل الصافى الفياض بكل معانى الجهاد والكفاح، والبلسم الشافى لكل الآفات والجراح ، بل وكيف لا يكون ذلك كذلك وأنا فى كل مواقفى منك ومن الحياة على تعاقب الظروف وتتابع الصروف ، انما ألجأ اليك داعيا ، وألوذ بك مناجيا ، وذلك بما وجهه اليك – صلاة الله وسلامه عليك – صفى الدين الحلى من خطاب فى قوله :

أيا صادق الوعد الأمين وعدتنى
ببشرى فلا أخشى وأنت بشيرها
بعثت الأمانى عاطلات لتبتغى
نداك فجاءت حاليات نحورها
وأرسلت آمالا خماصا بطونها
اليك فعادت مثقلات ظهورها
اليك رسول الله أشكو جرائما
يوازى الجبال الراسيات صغيرها
كبائر لو تبلى الجبال بحملها
لدكت ونادى بالثبور ثبيرها
وغالب ظنى بل يقينى أنها
ستمحى وان جلت وأنت سفيرها

أما بعد :

فهذه – يا أحب أحباء الله – صفحة ناصعة من صفحات حياتك الحافلة « ونفحة رائعة من نفحات ذاتك الكاملة ، وخليق بالذين يتعرضون لهذه النفحة ، ويعرضون لتلك الصفحة ، أن يعملوا قلوبهم وعقولهم وأرواحهم وضمائرهم فيها ، وأن يلتمسوا قدوتهم وقوتهم وطمأنينتهم منها ، فعندها سيجدون الضياء الذى يبدد الظلمة ، والدواء الذى يفرج الكربة، لأنك – صلوات الله وسلامه عليك – انما كتبت صفحات سيرتك العطرة بحروف من نور من أنوارالله، وصدرت فى كل ما اشتملت عليه عن آية من آيات الله ، ولأنك فى ذاتك وصفاتك ، وفى أقوالك وأفعالك ، وفى كل ما انطوت عليه نبوتك من المعانى انما كنت – ولا زلت – وستظل آية الله التى تبقى على الزمن ، بل التى هى أبقى على الزمن الباقى من الزمن ٠

أيا آية الله التى قد تبلجت
على خلقه أخفى الضلال ظهورها
عليك سلام الله يا خير شافع
اذا النار ضم الكافرين حصيرها
عليك سلام الله يا من تشرفت
به الانس طرا واستتم سرورها
لأنك سر الله والآية التى
تجلت فجلى ظلمة الشك نورها

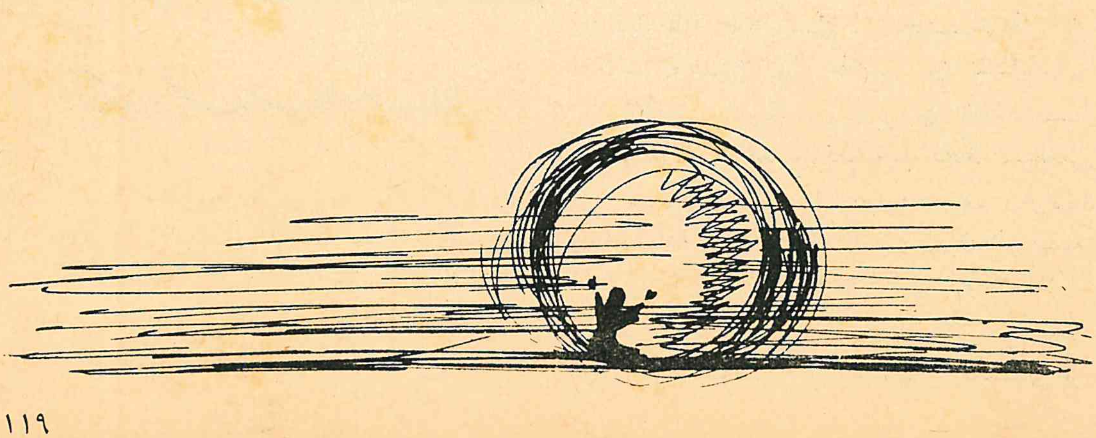

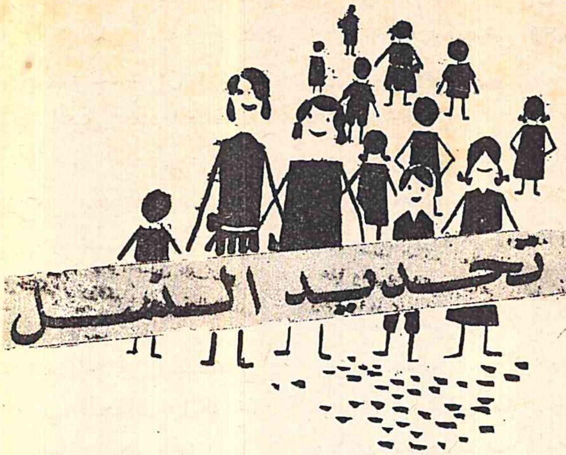

ردٌ على مقال .. تحديد النسل

١ ـ قرأت فى هذه المجلة الاسلامية الجامعة « منبر الاسلام » مقالا للسيدة الفاضلة « مفيدة عبد الرحمن » تذهب فيه الى أن حكم الشرع فى مسألة « تحديد النسل » انما هو التحريم لا الاباحة .

وقد لاحظت أن السيدة الفاضلة قد أخطأت وجه الحق فيما ذهبت اليه ، فى مقالها فى عدة مواطن .

الدكتور محمد سعاد جلال

أولها ـ فى تاريخ هذه المسألة ونشوئها المذهبى : فقد أشارت الى أن القول باباحة « تحديد النسل » صدى للأفكار الغربية التى تتسم بالالحاد واللادينية ، والبعد عن جو الشرق الذى يتميز بالدين والروحانية . فان الغربيين يخافون من تقلص مادة العيش فى العالم وذهاب خيراته ، مع أن الله تكفل برزق الانس والجن ، والحيوان ـ كثرت أم قلت ، كذا قالت .

وتصوير نشوء مسألة تحديد النسل على هذا الوجه خطأ وظلم ، ذلك أن مسألة «تحديد النسل » ظهرت فى العصر الأول على عهد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والصحابة ، بل وكانت موضوع جدل مذهبى بين المسلمين ، واليهود فى المدينة ـ وينبنى على ذلك أنها كانت موضوع بحث ونظر عند فقهاء المسلمين من بعد فى العصور المتتابعة .. ولقد تناولها ببحث خاص الامام الغزالى فى القرن الرابع الهجرى ، كما تناول الكلام فيها بتوسع الامام شمس الدين بن القيم ، بل وتمادى فى البحث حتى عرض لموضوع « الاجهاض » فنقل عن

الامام علي – رضى الله عنه – أنه يبيح «الاجهاض» اذا لم يبلغ عمر الحمل ثلاثة أشهر .

ونحن وان كنا لا نأخذ بمثل هذا القول الا أننا ذكرناه لبيان امتداد النفس عند الأولين فى حرية البحث والنظر فى المسائل الفقهية .

فبان لك من الكشف عن أصل هذه المسألة فى تاريخ الفقه الاسلامى ، انها مسألة اسلامية أصيلة ، من عهد السلف ، وليست نتاجا « غربيا » تلقفه الذين يقولون باباحة « تحديد النسل » من الفقهاء المعاصرين . كما سنوافيك بعد بتمام التفصيل لهذه المقدمة .

وثانيها – أن السيدة الفاضلة خلطت فى مقالها بين أمرين لا يجوز الخلط بينهما – وهما أحكام الله القدرية التابعة لقدر الله ومشيئته فى تصريف أحوال خلقه ، وبين أحكامه التكليفية التى خوطب بها العباد ، وانبنى على خطابهم بها مسئوليتهم فى الدنيا ، وجزاؤهم فى الآخرة ، وهى التى تكون مناط التحليل والتحريم .

فأما أحكام القدر ، كالخلق ، والرزق ، والاحياء ، والاماتة ، والامراض والشفاء ، والعطاء والمنع ، والهداية والاضلال . فهى من شئون الله سبحانه وتعالى وحده ، والعباد غير مكلفين بمضمونها وغير مسئولين عن حصولها اذا حصلت ، ولا عن عدم حصولها اذا لم تحصل ، لأنها خارجة عن قدرتهم وقائمة فوق امكانهم . وليست مناطا للتحليل ولا للتحريم .

مدار الأحكام التكليفية عالم الأسباب والمسببات ، ومدار الأحكام القدرية ما هو فوق الأسباب والمسببات من شأن الله .

ومن خاصة الأحكام التكليفية ، أنه لا يجوز تعليقها على الأحكام القدرية ، فاذا كان الله هو « الرزاق » وأنه تكفل برزق العباد ، فلا ينبنى على ذلك جواز قعود العبد عن السعى فى طلب الرزق .. واذا كان « الامراض » من أحكام الله القدرية فلا يجوز أن نترك أسباب الوقاية والحماية لأنفسنا ، من هجوم المرض علينا .

وفى مثل ذلك يقول عمر بن الخطاب وقد أبى أن يدخل الشام عام الوباء « **نفر من قدر الله الى قدر الله** » .

وهكذا فى أى مسألة من هذا القبيل .

والتمييز بين أحكام الله القدرية وأحكامه التكليفية مما يحتاج الى رسوخ فى علم الشريعة .

وقد وردت فى القرآن الكريم آيات تتعلق بأحكام الله القدرية ، وآيات أخرى تتعلق بأحكام الله التشريعية التكليفية، وان الاستدلال بأحد القسمين مكان الآخر خلط لا يستقيم عليه بيان الشريعة .

أنتقل بعد ذلك الى الآيات القرآنية التى سردتها الأستاذة الفاضلة نجدها من قبيل الآيات التى تصور أحكام الله القدرية لاأحكامه التكليفية فلم تتم بها الحجة ، وزاد هذا الخطأ خطأ ان الأستاذة الكاتبة كانت تسرد الآيات سردا من غير أن تقف هنيهة لتبين لنا وجه الاستدلال بها على المطلوب من هذه الآيات المستكرهة على مواضعها كانما تشد بالسلاسل والأغلال وعلى القارىء – بعد ذلك – أن يضرب « الرمل » وينظر فى النجوم ليعرف جانب العلاقة بين الدليل والمستدل عليه – واليك بعض الأمثلة :

أ – ذكرت الأستاذة الكاتبة فى الاستدلال على تحريم « تحديد النسل » قوله تعالى : « **الله الذى خلقكم ثم رزقكم** » **ثم قالت** « **فأتبع الخلق بالرزق** » : آمنا وصدقنا – أن الله خلقنا ثم رزقنا – فأين علاقة هذا الكلام « بتحريم تحديد النسل » على الخصوص :

ان الباعث أحيانا على « تحديد النسل » قد يكون هو الاحتياط لكفاية العيش لعدد معين من المواليد ، فهل نقول ان هذا الاحتياط ينافى أن يكون الرزق من الله ؟ بل الرزق – فى نهاية ارتباط الأسباب بالمسببات – هو من الله ، سواء احتطنا أو تركنا الاحتياط وليس فى الآية ما يدل على طلب ترك الاحتياط أو التصرف حسبما تمليه ظروف الواقع المحيط بنا .

ثم ان هذه الآية تتعلق بحكم قدرى مؤداه – أن الله منفرد بالخلق والرزق – وذلك فى

مقام الامتنان بنعم الله على عباده . والرد على الذين اتخذوا من دون الله شركاء ، لا يخلقون ولا يرزقون ، بدليل تمام الآية :

« **الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ سبحانه وتعالى عما يشركون** » .

ثم ان دلالة الآية على حصول الرزق من الله لم يمنع أن يوجد فى أجزاء كثيرة من العالم ملايين من الناس يموتون جوعا وفقرا ، وعوزا .

واذا لم يكن من كفالة الرزق من الله ما يمنع مصارع هذه الملايين تحت مطرقة الحاجة والألم . فقد تعين أن يحتاط كل انسان لنفسه ، ولمن تلزمه حمايتهم، بالوسيلة الملائمة دون الوقوع فى المأساة المحتملة .

ومن العبث الواضح حينئذ أن نصد أى انسان عن حماية نفسه وأولاده ، وأن نصرفه عن التدبير الذى يحتمه عليه واقعه بدعوى أن الله تكفل بالخلق والرزق :

هذا الكلام له خبئ
معناه ليس لنا عقول

قلنا لكم ان الحكم القدرى فى بيانات الشرع لا يمنع تصرف الانسان لنفسه .

ب ـ واستدلت الكاتبة أيضا على تحريم « تحديد النسل » بقوله تعالى « **نحن نرزقكم واياهم** » ، « **ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين** » .

وعلى طريقة الكاتبة الفاضلة ذات الدراسة القانونية ـ لم تذكر لنا العلاقة بين هذه الآيات ، وبين افادة « تحريم النسل » افادة استدلالية مباشرة .

تفهم كلمات الرزق فى هذه الآيات على نحو ما فهمت به فى المثال السابق : ويضاف الى ذلك أن الآيتين الأوليين نزلتا فى الرد على مشركى العرب الذين كانوا يقتلون أولادهم خشية املاق . وليس الامتناع عن الانسال قتلا ولا هو بمنزلة القتل ، لأن القتل ازهاق روح موجود فعلا ، وأما الامتناع عن الانسال فليس كذلك : وقياس ما لم يوجد سبب وجوده على ما وجدت ذاته بالفعل، والتسوية بينهما فى الحكم خطأ فى القياس.

وقد حصل هذا الوهم لبعض الناس فى حضرة عمر بن الخطاب ـ فظن أن الامتناع عن النسل ببعض الأسباب المؤدية اليه ـ بمنزلة « الوأد » أى القتل فرد عليه الامام على ـ رضى الله عنه ـ بقوله : « لا تكون « موءودة » الا بعد سبع » . يشير بذلك الى الأطوار السبعة التى يمر بها الجنين فى بطن أمه حتى يتم خلقه ـ وهى المذكورة فى قوله تعالى : « **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين (١) ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين (٢) ثم خلقنا النطفة علقة (٣) فخلقنا العلقة مضغة (٤) فخلقنا المضغة عظاما (٥) فكسونا العظام لحما (٦) ثم أنشأناه خلقا آخر (٧) فتبارك الله أحسن الخالقين** » : فبطل ما ذهبت اليه السيدة الكاتبة ومن يشاكلها فى اساءة تأويل هذه الآيات وحملها على غير معناها .

وليس فى استطاعتنا أن نتتبع سوء التأويل والخروج عن الموضوع فى جملة الآيات التى سردتها الكاتبة سردا ـ فان ذلك تطويل واملال فى غير فائدة ـ ويكفى أن ضربنا الأمثال السابقة ليقاس عليها غيرها .

وثالثها ـ ان السيدة الكاتبة ـ أعطت للبابا حق التشريع للأمة الاسلامية وجعلت رأيه فى « تحديد النسل » حجة على المسلمين ، بل على بعض العلماء الذين يتزعمون القول بوجوب « تحديد النسل » وهذا من أكبر الخطأ الذى يقع فيه من لم يحط علما بأسرار الشريعة الاسلامية :

ذلك ان الأصل المقرر فى الشريعة الاسلامية مخالفة أهل الكتاب وعدم متابعتهم فى أقوالهم وأعمالهم وأزيائهم وشاراتهم مما اختصوا به ـ وقد كتب فى هذا المعنى ـ شيخ الاسلام ابن تيمية ـ رضى الله عنه : كتابه القيم « اقتضاء الصراط المستقيم » ونبه فيه الى وجوب مخالفة أهل الكتاب وعدم متابعتهم فيما كان من شأنهم ، وشعارا مميزا لهم : لكن السيدة الفاضلة تحتج علينا برأى « البابا » فى تحريم « تحديد النسل » أن مقتضى الشريعة مخالفة رأى البابا لا الأخذ به ، فضلا عن أن يكون حجة فى مقابلة آراء علماء الشريعة عندنا ـ ولكن يظهر أن السيدة الفاضلة كما عهدناها

فى مناسبة سابقة تؤثر أن تدخل التشريعات غير الاسلامية على الحياة الاسلامية ٠

ثم انى لأسائل السيدة الفاضلة عن العلماء الذين يقولون « بوجوب » تحديد النسل ، انى أتابع هذه القضية منذ سنة ١٩٣٧ — وأعرف المتكلمين فيها ولا أعلم عالما أوجب « تحديد النسل » وكل من تكلم فى الموضوع انما كان يذهب الى الاباحة ، لا الايجاب ، أم ترى أن السيدة الكاتبة تجازف فى كلامها ٠

على أنى أنبه السيدة الكاتبة — الى أن رأى « البابا » الراهن فى هذه القضية انما هو رأى مستأنف ، لأن « الكاثوليك » كان لهم رأى آخر فى هذا الموضوع — أعلنوه فى مؤتمر «لاميث» وهو المؤتمر الذى عقدته الطوائف المسيحية لعرض المشكلات الانسانية الناشئة على المبادىء المسيحية : وفى هذا المؤتمر سلم الكاثوليك باباحة « تحديد النسل » فى نطاق ضيق ، كما سلم بهذا المبدأ جميع الطوائف المسيحية بنسب متفاوته فى مقدار الاباحة ٠

وأحب أن أقول للسيدة الكاتبة ولمن يشاركونها الرأى — أنه ليس فى الانجيل ولا فى التوراة ، نص صريح على المنع من « تحديد النسل » فضلا عن القرآن الكريم طبعا ، ولم يصر على منع تحديد النسل» الا اليهود وحدهم ولعل ذلك راجع الى ظروفهم التاريخية ٠

٢ — وبعد فحسبنا من القول — فى ابطال مقال السيدة الكاتبة ، ما ذكرنا — ولنقصد الآن بالقارىء الفاضل الى شرح الموضوع من حيث ذاته كما وجد فى الفقه الاسلامى ٠

نقول : ليس فى القرآن الكريم نص صريح فى هذه المسألة وانما مصدرها السنة الصحيحة — وأصل مورد السنة — مسألة أخرى تسمى « العزل » : والعزل هو أن يقصد الزوج فى العملية الجنسية الى الانزال خارجا ، منعا لوصول الحيوانات المنوية الى الرحم ، فلا يحصل الحمل ٠

وكان « العزل » هو الوسيلة المعروفة عندهم لمنع النسل ، وقد ورد فى اباحة « العزل » جملة أحاديث صحيحة :

١ — روى البخاوى ومسلم عن جابر قال : **« كنا نعزل على عهد رسول الله ، والقرآن ينزل » ٠**

وفى لفظ لمسلم : كنا نعزل على عهد رسول الله فبلغه ذلك فلم ينهنا » ٠

٢ — وروى أحمد ومسلم وأبو داود — عن جابر أيضا : « **أن رجلا أتى النبى — صلى الله عليه وسلم — فقال ان لى جارية هى خادمتنا وساقيتنا فى النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل فقال « اعزل عنها ان شئت فانه سيأتيها ما قدر لها » ٠**

٣ — وروى أحمد وأبو داود عن أبى سعيد قال : قالت اليهود العزل الموءودة الصغرى — فقال النبى — صلى الله عليه وسلم — كذبت اليهود لو أراد الله أن يخلق شيئا لم يستطع أحد أن يصرفه » ٠

هذه جملة الأحاديث القاضية باباحة «العزل» المؤدى لمنع النسل أو « تحديد النسل » : وبتحليل هذه الأحاديث — نجد فى الحديث الأول — ان مسألة « العزل » هذه أو «تحديد النسل » كان أمرا معروفا فى عهد النبى — صلى الله عليه وسلم — وقت نزول القرآن فلو كان « العزل » محظورا — والله يعلم ما يفعلون — لنزل قرآن بالنهى عن فعله— ولقد نقل — الشيخ الزبيدى المرتضى — شارح الأحياء لفظ حديث مصرح بهذا المعنى — من رواية « مسلم » قال « كنا نعزل على عهد رسول الله والقرآن ينزل — لو كان شيئا ينهى عنه لنهانا عنه القرآن » ٠

وفى لفظ جابر الآخر : من الحديث الأول : التصريح بأن النبى — صلى الله عليه وسلم — بلغه أنهم « يعزلون » عن نسائهم فأقرهم على فعلهم — وذلك حجة تامة فى اباحة « العزل » ٠

وفى الحديث الثانى — نجد فكرة هامة ذات بال — وهى أن السائل الذى سأل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عن حكم «العزل» كان يقصد بالسؤال التخلص من أن تحمل جاريته ولدا غير مرغوب فيه لخسة نسبه من جهة أمه ، أو لاحتمال سوء تربيته ، أو لاحتمال عدم ظفره بقسط من جمال الجسم ، أو لاحتمال استيفاء قدرة الجارية على الخدمة بما

أن الحمل يعوق قدرتها - فأقر النبى - صلى الله عليه وسلم - على هذه الاحتمالات كلها وأذن لهذا السائل « بالعزل » للتخلص منها جميعا ، ولم يستفصل منه - صلى الله عليه وسلم - عن سبب معين لكراهته الحمل من الجارية - ففهمنا أنه حيث يحتمل أن يؤدى الحمل من المرأة الى ولد غير مرغوب فيه لسبب من الأسباب الصحيحة فقد جاز الامتناع عن « الانسال » : وانما قلنا لسبب من الأسباب الصحيحة ولم نطلق القول اطلاقا ، لأن لفظ السائل يتضمن التنبيه الى هذا الاعتبار ، وهو أن مجيء الولد من الجوارى يقترن بخسة النسب وترجيح سوء النشأة .

هذه فكرة ، وتجد الى جانبها فكرة أخرى لا تقل عنها أهمية وهى الحاصلة من قوله - صلى الله عليه وسلم - : « **فانه سيأتيها ما قدر لها** » : فان هذا النص يدل صراحة على أن « تحديد النسل » لا يصادم قدرة الله ولا يمنعه وأن احتياط المرء لنفسه ، ولأولاده ولمستقبله ، فى عالم الأسباب والمسببات - جائز بنص الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأن تعطيل عالم الأسباب، والمسببات. ارتكانا الى حكم القدر جهل بحقيقة الاسلام ، ومصادمة لأحكامه

وفى الحديث الثالث نجد أن الأصل فى التشنيع على مبدأ تحديد النسل » انما هو من عمل اليهود - فهم الذين كانوا يسمون « تحديد النسل » وأدا ، أى قتلا - كما يقول بعض السطحيين اليوم - وقد رد النبى عليهم مقالاتهم وكذبهم تكذيبا صريحا مبينا أن عمل الانسان لا يرد قدر الله - وأن الله لو أراد أن يخلق شيئا لم يستطع أحد أن يصرفه ، وهو بيان للفصل بين عالم الأسباب والمسببات وعالم القدر ، أو بين احكام الله التكليفية ، وأحكامه القدرية . كما بيناه فى أول المقال .

ألقينا بعض الضوء على فكرة « تحديد النسل » كما نرى فى أصلها الفقهى الاسلامى ولم نوف البحث حقه اذ كانت هناك أحاديث مضادة - لم يتسع المقام لذكرها وابطال الدلالة منها - كما فعل ذلك الأئمة السابقون - وانما نؤثر أن نسجل هنا رأينا الخاص فى المسألة فنقول :

ان ما انتهينا اليه من دراسة هذه المسألة عدة مرات - بعيدا عن المؤثرات الخارجية : هو أن « تحديد النسل » لا يجوز الحكم بمنعه على الاطلاق، ولا يجوز الحكم باباحته على الاطلاق ، فمن أطلق القول بمنعه فقد أخطأ ، ومن أطلق الحكم باباحته فقد أخطأ ، وانما هو من قبيل الرخصة الشرعية التى يباح استعمالها للضرورة القاضية بذلك ، ومن أظهر الضرورات قضاء العوامل الاقتصادية وظروف المعيشة : أما من لم تكن عنده ضرورة ملجئة الى «تحديد النسل» من حرج الظروف المعيشية ، أو الدواعى المتعلقة بصحة الأم ، أو صحة الجنين أو صحة الولد السابق على الحمل . فلا يباح له استعمال رخصة « تحديد النسل » ويكون فى نظرنا آثما اذا أقدم على « تحديد النسل » .

وقد سبقنا الى القول باباحة « تحديد النسل » أكثر العلماء المتقدمين ، وكان أكثرهم فى الاباحة توسعا . الامام الغزالى - رضى الله عنه - فلقد أباح « تحديد النسل » بباعث محافظة المرأة على جمالها - وان كنا نحن نؤثر القصد فى حكم الاباحة ، ولا نوافقه على هذه المسألة كما أباح « التحديد » - وهو ما يعنينا كل العناية ، بباعث حرج الظروف المعاشية قال فى « الاحياء » .

« النيات الباعثة على العزل خمس.. الثانية استبقاء جمال المرأة وسمنها لدوام التمتع واستبقاء حياتها خوفا من خطر الطلق ، وهذا أيضا ليس منهيا عنه ، **الثالثة الخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة الأولاد ، والاحتراز من الحاجة الى التعب فى الكسب ودخول مداخل السوء وهذا أيضا غير منهى عنه فأن قلة الحرج معين على الدين** » .

ولعل الذين يقولون ان كفالة الله للرزق تنافى « تحديد النسل » يقرءون هذه الجملة عدة مرات .

من وحي الميثاق " فلسطين "

قَسَمُ العَوْدَة

الشاعر محمد حليم حامد غالى

الولد: أَبتى . . لماذا نحن فى هذى البقاع نُبعْثَرُ ؟
نبقى مع الخيمات تذرونا الرياح . . وتنثرُ
نحيا على ظل الفتات . . أأَرضنا لا تُثْمر ؟
لم وجْهُنا فى الناس مخجول كسيف . . أَصفر ؟
وسعال جارتنا . . وأَيتام تجوع . . وتضْمرُ
لم هذه الثكلى تنوح . . وقلبها يتفطَّر ؟

* * *

الأَرض كل الأَرض هل ليست بسندسها لنا ؟
والنهر . . هل نسيتْ مياه النَّهر دوحةَ زرعنا ؟
والتل ملهانا الكبير متى يجمِّع شملنا ؟
والمنحنى . . والعُرس . . والدنيا تصفِّق حولنا
والكرم منسدِلُ القطوف متَى نجمِّع كرمنا
لمن الحياة إذا . . ونحن من المعيشة فى ضنى ؟

* * *

الأَب: ولدى وهبتك للكفاح غدا فكن لى فى غدى
تلك الديار سليبة ضاعت زمانا من يدى
هذى « فلسطين » الجريحة . . فى انتظار الموعد
الأَمر فيها صار للوغد الدخيل . . المرعد
أشقى . . . وشتَّت لا يبالى كيف كان تشردى
هى قصة من قبل جيلك فى ديارك تبتدى
قصص الخيانة والسلاح الفاسد . . المستورد

* * *

يافا . . وحيفا وِجْهتاك . . فلا تنم عن سؤْددى
أَقسمت يا ولدى الوحيد . . ويا ابتسامة مقصدى
أَقسمت باسمك يا صغيرى أَن نعود لمعهدى
للحى . . للوديان . . للكرم النضير . . لموردى
لمرابعى . . للأَهل للأَمل الكبير . . لمولدى
لأَقول للدنيا ثأَرتُ . . أزلتُ عارى . . بيدى
وأَضمّ جرح عروبتى . . ويكون يوم توحدى

اليقين

الأستاذ محمود متولى بيومى

لا تكون الفضيلة فضيلة الا اذا بينت فى قلب له غاية سامية ومبادىء نبيلة ، لأنه بهذا يظهر أثرها . ولا خير فى فضيلة الا اذا كان لها أثر تعرف به وتدرك وتحس ، وكل فضيلة لا أثر لها كانت كالذهب فى باطن الأرض لا ينتفع به قال تعالى عن أهل الجحيم « وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير » أى يقولون اذ ذاك ياويلنا لو كنا نصغى الى أقوال المحققين وأولى الألباب بآذان واعية أو لو كنا نسترشد بعقولنا ونختبر الدين بطرق معقولة لما كنا اليوم فى عذاب السعير .

والفضائل دائما تدعو الى سمو الغايات ، وكلما سمت الغايات كانت أدعى الى تعشق الفضائل والسعى فى سبيل اكتسابها ، كما دلت على نبل صاحبها ونضوج فكره وعلو همته . **وغايات الحياة كثيرة : منها المادى** وهو من انصرف الى مصالحه الشخصية التى تنحصر فى المأكل والمشرب وحاجات الجسد والسيطرة التى تتجلى فى الحيوان الأعجم لا يفكر فى مبدئه ، ولا منتهاه ولا يبحث عن حقيقة الحياة التى جاء اليها أو جاءت اليه فهو فى عداد الغافلين . **ومنها المعنوى** الذى فكر فى مبدئه ومعاده وحكمة وجوده وموته ، الذى دل على نفسه بجمال جوهره وحسن مخبره وصدق معناه وغاية الغايات فى هذه الدنيا معرفة الله — سبحانه وتعالى — فلا يصل اليها الا كل مقدام أثبتت التجارب له صدق عزيمته ونقاء سريرته وقوة قريحته لأنه أدرك أن الانسان خلق فى الحياة لغاية نبيلة هى الوصول الى معرفة الله — سبحانه وتعالى — عن طريق العبادات والطاعات والتحلى بمكارم الأخلاق واليقين به وبما أنزل وبما حدث . قال الله — سبحانه وتعالى — « **آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير ..** ».

والانسان خليفة الله الأكبر فى أرضه، ومخلوق الرب لذاته وضيف الكريم فى جناته لابد وأن يكون معترفا بفضله وعلى يقين تام بما أنزل وبما حدث وبما أمر وحرم وحلل ، فصلة المؤمن بربه جل وعلا صلة روحية وسابقة على وجوده فى هذه الدنيا ، وهى حقيقة ما كنا لنعلمها لولا أن الله نبأنا عن أخبارها فقال — سبحانه وتعالى — **(واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى)** وهذا اقرار بربوبيته — تعالى —

وتوحيده . والايمان والتصديق واليقين وصف الانسان المركب من روح وجسد أو قلب غلافه الجسد . قال الله – سبحانه وتعالى – لنبيه – صلى الله عليه وسلم – **(واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)** وحكمه سكون النفس بالمتيقن الى حركتها الى المستيقن أو لم يحصل فى الوقت كقوله **((أتى أمر الله))** وان كان لم يأت بعد ولكن تقطع النفس المؤمنة باتيانه فلا فرق عندها بين حصوله وبين عدم حصوله وهو قول من قال : **((لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا))** ، مع أن المتيقن ما حصل فى الوجود العينى ، فقال الله لنبيه ولكل عبد يكون بمثابته . اعبد ربك حتى يأتيك اليقين . فاذا أتاك اليقين علمت من العابد والمعبود ومن العامل ومن المعمول به ، وعلمت ما أثر الظاهر فى المظاهر ، وما أعطت المظاهر فى الظاهر . وأشار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن حقيقة محبة الله ومعرفة لذة اليقين على العقل ثم على القلب والنفس .

وقد قسم الله اليقين الى ثلاث درجات : علم اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين ، قال الله تعالى (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون علم اليقين . لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) أى أنه قد شغلكم عن ابتغاء الحياة الأبدية حب الاستكثار مع متاع الحياة الدنيا ولم تزالوا به حتى وافتكم المنون وواراكم التراب . فاياكم وهوى الدنيا فانه لا خير فى هواها . اياكم ثم اياكم فان هوى الدنيا ليس بخير ولو انكم علمتم علم اليقين لرأيتم الجحيم فى حياتكم هذه . على أنكم بعد حين ترونها رؤية اليقين فى عالم البرزخ ، وثم أنكم يوم النشور تعلمونها حق اليقين – لا بالمشاهدة فقط – بل بالحال الواقع اذ تؤاخذون أشد المؤاخذة ويغشاكم العذاب كاملا . لقد أخبر الله تعالى فى هذه الآيات أن الحياة الجهنمية الكامنة للفجار فى دنياهم هذه فلو انهم فكروا لأبصروها ههنا . –

وقد يكون يقينا ما ليس بعلم ولا عين ولاحق ويقطع به من حصل عنده وهو صاحب يقين لا صاحب علم يقين ، واختلف العلماء فى اليقين هل يصح أن يكون يقين أتم من يقين أو أن اليقين مرتبة واحدة ، فلو كان علم اليقين وعينه وحقه نفس اليقين ما صحت الاضافة لان الشىء الواحد لايضاف الى نفسه لان الاضافة لاتكون الا بين مضاف ومضاف اليه . ومنهم من قال ان العلم هو اليقين ، وقد ورد بكتاب الله مضافا ، فاحتاج الى طلب وجه فى ذلك تصح له به الاضافة ،ليؤمن بما جاء من عند الله فقال: قد يكون المعنى واحدا ويدل عليه لفظان مختلفان فيضاف أحد اللفظين الى الآخر فانهما من غير شك اتفقا فى أحدية المعنى ولفظة العلم ما هى لفظة اليقين فأضيف العلم الى اليقين لهذا التغاير فصحت الاضافة فى الالفاظ لا فى المعنى . وهذا قول غير مرغوب . فان مدلول لفظة العلم غير مدلول لفظة اليقين واذا تقرر هذا فقد علمت معنى علم اليقين وعينه وحقه ولو أن اليقين هو المطلوب . ولهذا أضيفت هذه الثلاثة اليه وكان مدارها عليه ، فمن ثبت له القرار عند الله وفى الله وبالله ومع الله فلابد من علامة على ذلك تضاف الى اليقين لانها مخصوصة به ولا تكون اشارة الا عليه فذلك هو علم اليقين ولابد من شهود تلك العلامة وتعلقها باليقين واختصاصها به فذلك هو عين اليقين . ولابد من وجوب حكمه فى هذه العين وفى هذا العلم فلا يتصرف العلم الا فيما يجب له التصرف فيه ، ولا تنظر العين الا فيما يجب لها النظر اليه وفيه ، فذلك هو حق اليقين الذى أوجب على العلم والعين ، وأما اليقين فهو كل ماثبت واستقر ولم يتزلزل من أى نوع كان . فاذا رأى انسان دخانا كثيفا عن بعد فينتقل ذهنه من الدخان المتصاعد الى النار المستعرة ويستيقن وجودها هنالك قياسا على ما يوجد بينهما من تلازم تام وعلاقة غير منفكة ، اذ لابد أن تكون النار حيث الدخان موجود . فالعلم الحاصل من هذا الاستدلال المنطقى هو علم يقين . وان آنس من ورائه شهابا قبسا ، كان العلم الحاصل بالرؤية عين اليقين . واذا أصلى نفسه فى النار كان علمه بها عندئذ حق اليقين . وبناء على ذلك فان الجحيم يمكن للانسان أن يعلم عنها علم اليقين فى هذه الدنيا كما أنه سيعلمها عين اليقين فى عالم البرزخ وحق اليقين فى عالم المحشر .

فكأن الله أخبرنا على وجود ثلاثة عوالم ، **العالم الاول هذه الدنيا** التى تسمى دار الكسب والنشأة الاولى حتى يكتسب الانسان الخير والشر . **والعالم الثاني البرزخ :** ومعنـــاه فى اللسان العربى ، ما حجز بين الشيئين ، وسمى العالم الثانى بالبرزخ لوقوعه بين النشأة الاولى وبين عالم النشور ـ لذلك فالاسم المذكـــور يضمر شهادة صامتة على وجود العالم المتوسط **والعالم الثالث هو عالم البعث** فيعرف الانسان ربه حق العرفان .

وان وسيلة القسم الأول من أقسام العرفان المذكورة أى وسيلة علم اليقين هى العقـــل والمنقولات كمقام السماع المجمع عليه ، فـــاذا قلنا ان فى العالم بيتا يسمى الكعبة ببلدة تسمى مكة لا يتمكن لاحد الجهل بهذا ولا أن يدخله شبهة ولا يقدح فى دليله دخل فاستقر العلم بذلك فأضيف الى اليقين ، الذى هو الاستقرار أن لله بيتا يسمى الكعبة بمدينة تسمى مكة تحج الناس اليه فى كل سنة ويطوفون به . فعلم اليقين هو ما أعطاه الدليل الذى لا يحتمل الشبه الواردة فى الخاطر وهو قبول ما ظهر من الحق وما غاب للحق والوقــوف على ما قام بالحق .

ووسيلة القسم الثانى من العـــرفان وهى الدرجة الثانية وتسمى عين اليقين والمراد بها الايقان الذى لا يتـــوسط بينه وبين الشىء الموقن به من واسطة ما ، فمثال ما نشمه من رائحة زكية أو كريهة بواسطة القوة الشامة ، أو ما نذوقه من الحلو أو المالح بواسطة القوة الذائقة أو مانحسه من الحرارة والبـــرودة بالقوة الحاسة . فكل هذه المعلومات هى من قبيل ـ علم اليقين ـ هذا وعين اليقين هـــو ما أعطته المشاهدة والكشف ابتداء بعد علم اليقين ، وهو الغنى بالاستدراك عن الاستدلال وعن الخبر بالعيان وخرق الشـهود حجـــاب العلم .

وذكر أن لله تعالى نورين نورا يهـــدى به ونورا يهدى اليه ، وله فى القلب عينـــان عين بصيرة وهو علم اليقين والعين الاخـــرى عين اليقين ، فعين البصيرة تنظر بالنور الذى يهدى به وعين اليقين تنظر بالنور الذى يهدى اليه . قال الله تعالى **(يهدى الله لنوره من يشـــاء)** وهو نور اليقين . وقال فى النـــور الآخـــر **(ويجعل لكم نورا تمشون به)** فاذا اتصـــل النور الذى يهدى به بالنور الذى يهدى اليه ، عاين الانسان ملكوت السموات والارض ولاحظ سر القدر وهو قوله تعالى **(نور على نور)** .

ووسيلة القسم الثالث من العـــرفان وهى الدرجة الثالثـــة وتسمى حق اليقين ، وهى الشدائد والمحن والمصائب التى تنال النبيـــين والصديقين من أيدى الاعداء أو تفاجئهم بحكم القضاء والقدر كقوله ـ تعالى ـ **(ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأمـــوال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) . فحق اليقين هو ما حصل من العلم بالعلة بعد عين اليقين أى اسفار صبح الكشف ثم الخلاص من كلفة اليقين ثم الفناء فى حق اليقين .**

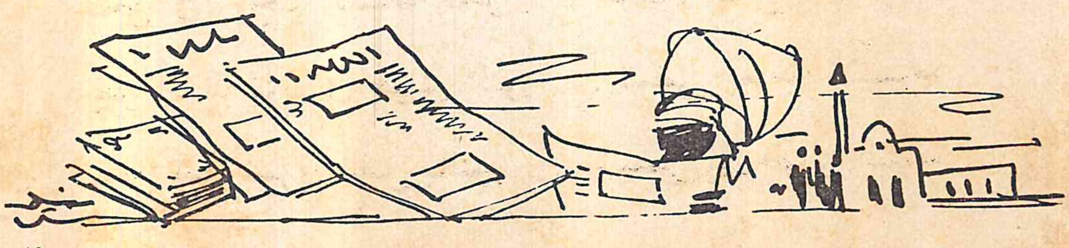

الإسلام والميثاق

الشاعر محمد عادل سليمان

أنا فى عالم تموت به الروح . . ويحيا على ضفاف الفناء
أنا فى عالم الظلام ضمير صب فيه الإسلام كل الضياء
أسكب الحب والسلام لدنيا . . مزقوها بالحرب والبغضاء
عمّقوا الطين فى النفوس . فَراحوا يتهاوون فى حضيض العماء
ينسجون الدمار للناس ثوبا عارى الجمجمات وَالأَشلاء
والخراب الكبير يبتلع الدنيا . . ويمضى بعالم الأَحياء
توشك الحرب أن تعذب روح الأَرض فى ذلة الردى السوداء
أَطبق الليل والخراب . . ولكن فى ظلال الإسلام كل الرجاء
إنه النور فى ظلام الليالى . . عبقرى الانداء والأَضواء
قطرة الله رشت الأَرض بالنور . . فكانت على صراط سواء
أَحيت الروح بالسنا . . ثم راحت تتحدى نوازع الأَهواء

* * *

نحن فى روحنا انبثاقة فجر . . غزلته أَنامل الصحراء
غير أنا لما نزل فى طريق النور . . نمضى بعزمة الأَنبياء
نحن قمنا نمزق الليل بالنور . . ونمضى إلى طريق البناء

ورفعنا عن العيون غشاءً . . طالما لفها ظلام الغشاء
وسئمنا على الثرى مستقر الطين بين القواقع الصماء
إن يكن صبرنا – مع الحق – للباطل . . فالظلم قاتل للرجاء
من وراء الأسوار كان عذاب السوط يدمى لهيبه أشلائى
كلما فاض بى الحنين إلى الحق . . وأطلقت بالحنين ندائى
يكتم الظلم صرختى وحنينى . . فأصب الحنين فى أحشائى
وهنا حطم القيود أخو القيد . . وهز القضبان بالأصداء
طالما كبل التراب خطاه . . طالما شد خطوه للوراء
ثار فوق التراب حين أفاقت روحه . . روحه لنهر الضياء

* * *

نحن فى الأرض قوة الله فى الأرض . . وبعث الهدى وجيش السماء
إنما الدين صيحة الحق للدنيا . . ولحن الإلهام والكبرياء
مالهذا العملاق يجثم فى الأرض ويمشى على ثرى الضعفاء ؟
آن للمارد الكبير انتفاض أبدى فى عالم الأقوياء

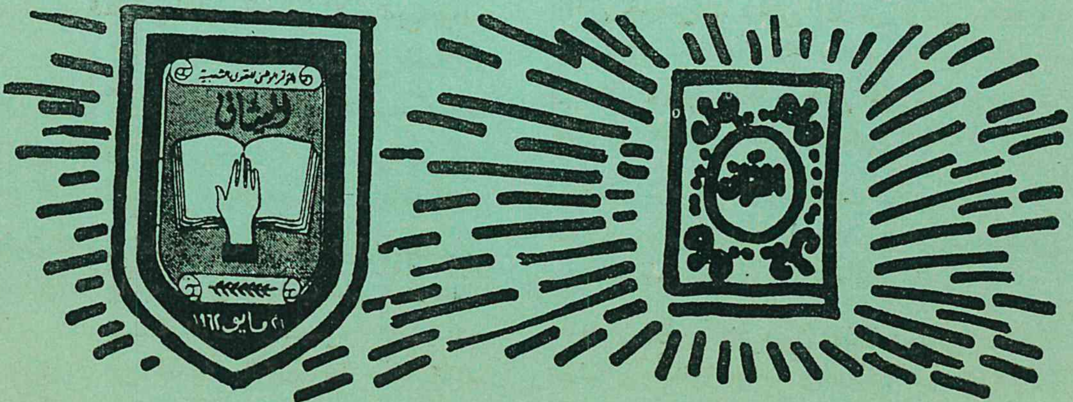

https://t.me/megallat

في رحاب القرآن الكريم

الأستاذ عبد العزيز العلي

تتمة للآيات الأربع الماضية من سورة الرحمن نعرض للآية الخامسة وما بعدها – باذن الله – « الشمس والقمر بحسبان » وهذا فيما يظهر من تفسير البيان الذى علمه الله للانسان أن الشمس والقمر وغيرهما قائمة على حسابات دقيقة فى المقاييس والمكاييل والوقت والأبعاد الأخرى .

ومما جاء تأييدا لذلك من كتاب الله الآيتان الخامسة والسادسة من سورة يونس « **هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا ، وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، ماخلق الله ذلك الا بالحق ، يفصل الآيات لقوم يعلمون** » فالذى يظهر من الآية الخامسة من سورة يونس أن فى المنازل تحديدا للأبعاد وضبطا للوقت ، ومن الآية نفسها أن الله خلق ذلك بالحق . والحق هو العدل والوضوح – وفى ذلك تفصيل لقوم يعلمون، كما جاء فى الآية السادسة « **ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والأرض لآيات لقوم يتقون** » **والذى يظهر من ختام الآية الخامسة « يفصل الآيات لقوم يعلمون »** أن لطاعة الله ونيل ثوابه جانبين متكاملين ، جانب تقوى وجانب علم ، فجانب التقوى ، لتخلية الوعاء وتطهيره واعداده والجانب الثانى لملئه بالخير بعد ذلك ، اذ يستعين الانسان بالتقوى لاصلاح النفس واعدادها للجانب الأهم وهو الجانب العلمى ، مصداقا لقوله جل سبحانه « **قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون** ، ولو استعرضنا آيات كتاب الله لوجدنا أن أكثرها جاء فى الحث على التفكير فى العلم وهو الهدى والنور للمؤمنين المتقين أذكر منها على سبيل المثال قوله عز وجل :

« **ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » . (آل عمران) .**

« **ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون » وفى الأثر « لغدوة أو أو روحة فى سبيل العلم تعدل عبادة أربعين خريفا)) وفى الأثر أيضا ((أن الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرض وحتى الحيتان فى البحر ليصلون على معلم الناس الخير ، وحديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – غنى فى تفضيل العلم والدعوة اليه .**

ولقد جاء فى الآية الثامنة والتاسعة من سورة يونس تهديد ووعيد لمن تهاون وتغافل عن الجانبين معا :

((ان الذين لايرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ، والذين هم عن آياتنا غافلون . أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون »

أما وقد بينت هذه الآيات الحساب بكامله وهو فى الأبعاد والمقاييس والمكاييل كما تقدم فلم يبق لاستكمال القواعد الرياضية والقوانين العلمية الا الوزن الذى سنعرض له وتبينه الآيات الآتية :

لقد جاء فى الآية السادسة من سورة الرحمن « **والنجم والشجر يسجدان** » وهذه قاعدة علمية من البيان الذى وعدنا الله به وهو أن النجم ـ وهو ما نجم عن الأرض ـ والشجر ـ وهو ماله ساق يسجدان ، ومن معانى السجود تدلى أغصان الأشجار الى جهة الأرض ، وسقوط الثمر والورق لأى سبب من الأسباب ، وتلك قاعدة معروفة ، ولقد جاء فى لسان العرب نخلة ساجدة اذا أمالها حملها وسجدت النخلة اذا مالت ونخل سواجد أى مائلة وسجد الرجل اذا انحنى وتطامن الى الأرض ، وأنشد أبوعبيد ـ وقلن له **اسجد** لليلى فاسجدا ـ يعنى يعيره لأنه طأطأ ، رأسه لتركب ، ومنه سجود الصلاة وهو وضع الجبهة على الأرض .

وهذا ما انتبه اليه نيوتن عندما رأى تفاحة تسقط من شجرتها على الأرض .

أما الآية السابعة فانها تبين لنا السبب والقاعدة فى سقوط الثمار على الأرض بقوله جل وعلا « **والسماء رفعها ووضع الميزان** » لأن سنة الكون أن يتجه الى الأرض كل ماكان وزنه أثقل من وزن الهواء ويرتفع الى السماء ماكان وزنه أقل من وزن الهواء .

الوزن :

وقبل البدء فى الحديث عن الوزن الذى يؤمن به العلم وتقره البديهة لابد من تعريفه **والوزن وزنان : معنوى** : من ذلك العدالة والاعتدال ، والقيم المعنوية وهذا مالا يحتاج الى تعريف ، على أننى أرى من الصعوبة تعريف الوزن الآخر على ضوء نظرية تقول : ان سبب سجود الأثقال أو سقوطها هو الجاذبية ،

وعلى ضوء ما لمسه الخارجون من نطاق الغلاف الأرضى . وهو أن الوزن منعدم هناك، الا أن السبيل لتعريف هذا النوع من الوزن معروف بالبداءة والبداهة ، فمن المعلوم الواضح أنه كلما زاد الفراغ فى ذرة أو كتلة قل وزنها وكلما قل الفراغ فيها زاد الوزن ، فالكتلة التى يكون فى مجموع حجمها فراغ أقل من الفراغ الموجود فى مقدار الحجم المماثل من الجو الذى تلقى فيه فانها تتجه الى أسفل ولا ترتفع ثانية الا بأحد أمور أربعة :

أولا ـ الاستعانة على النهوض والارتفاع بالطيران الطبيعى أو الصناعى .

ثانيا : اطلاق القذيفة بقوة من أسفل الى أعلا .

ثالثا ـ الاضافة الى حجم الجسم الراسب عناصر أو مواد خفيفة تزيد فى مجموع فراغ هذا الجسم عن مقدار حجمه من الجو الذى كان راسبا فيه .

رابعا ـ أن يسحب من الجسم الراسب مواد أو عناصر ثقيلة أى عكس الاضافة .

أما الجسم الذى يكون فيه فراغ أكثر فانه على العكس يرتفع الى أعلى حتى يصل الى الجو المماثل له فى مقدار الفراغ ولا يهبط ثانية الا بأحد أمور أربعة معاكسة للأمور الأربعة التى ذكرناها آنفا وهى:

أولا ـ الغوص الطبيعى أو الصناعى كما يحدث بالنسبة للغواصة أو الانسان والأحياء المائية السابحة .

ثانيا ـ اطلاق الجسم الطافى بقوة الى أسفل .

ثالثا ـ بالاضافة الى الجسم الطافى عناصر أو مواد ثقيلة تقلل من مقدار نسبة الفراغ حتى تجعل مجموع الفراغ فى هذا الجسم أقل من مقدار حجمه فى الجو الذى كان طافيا فيه من قبل ، وكثيرا مايستعين الانسان نفسه بأثقال للوصول الى قاع البحر بسرعة أكبر ، وكما يستعمل فى خزن الغازات الخفيفة أنابيب حديدية ثقيلة . كما يلزم لاستقرار أحياء قاع البحر أن تقرن بقواقع تثقلها عن مقدار حجمها من الماء .

رابعا – أن يسحب من الجسم عناصر أو مواد خفيفة تقلل من مجموع الفراغ فى الجسم الطافى وهناك أمر يتعلق بتكثيف وتخفيف الجو نفسه ، وقد يكون هذا الأمر خاصا اذ أنه لابد من الاشارة اليه وهو ماشاهدته لدى بعض منتجى الجبنة البيضاء فى عيار الملح المضاف لصفائح الجبنة وذلك بوضع بيضة صحيحة فى الماء قبل الملح ثم يذاب فيه الملح حتى تطفو البيضة ومعلوم مما تقدم أسباب رسوب البيضة قبل تكثيف الماء بالملح وطفوها بعده .

وهذه أمور ظاهرة معروفة فيها تدعيم وتعميم لقانون أرشميدس فى الأجسام الطافية كما تشير الى اعادة النظر فى نظرية نيوتن بتعليله سقوط الثمار الى الأرض ، على أن النظرية مهما كان لصاحبها من الأتباع والمريدين والتلاميذ الذين تغذوا هذه النظرية مع لبن الأم فدافعوا عنها بما أوتوه من حول وطول ، فانها لا تثبت أمام القوانين الثابتة والقواعد الراسخة ، وكفى العالم انتظارا حيث أن النظرية تقبل قبولا مبدئيا تحت محك النظر والبحث حتى تستقر فى النفوس كقاعدة ثابتة أو يتم الوصول الى قاعدة أخرى تحل محلها ، على أنه بتطبيق قاعدة أرشميدس على الجو الهوائى يكون قانونه سابقا لنظرية نيوتن وتكون نظرية نيوتن مسبوقة بقانون أرشميدس .

على أن نيوتن نفسه لم يطلب قبول نظريته كقانون واجب الأخذ به انما طرحها كنظرية يتأمل فيها المتأملون فتقبل أو ترد .

وعلينا الآن أن نقارن موضوع الفراغ الذى نوهنا عنه فى البحرين المائى والهوائى على تفاحة نيوتن نفسها ، ومن المعلوم أن مجموع الفراغ فى التفاحة التى رآها نيوتن وهى تهوى الى الأرض أقل من الفراغ الموجود فى مقدار حجمها من الهواء لذلك اتجهت الى الأرض ، ولكن الفراغ فى التفاحة نفسها أكثر من الفراغ الموجود فى حجمها من الماء ، ولو صادفت اناء فيه ماء أو حوضا أو بركة فى أسفل الشجرة لطفت عليه ، ومثل ذلك تماما لو غرسنا شجرة من حديد فى قاع البحر وعلقنا فيها ثمرا من حديد ليس فيه فراغ مصطنع كالتجويف مثلا ، ثم سقطت كتلة من هذه الكتل المعلقة فى الشجرة لرسبت فى القاع حيث أنها تمثل دور التفاحة الحقيقية فى الهواء ، لأن مقدار الفراغ الموجود فى الكتلة الحديدية أقل من مقدار الفراغ الموجود فى مقدار حجمها من الماء ، على أنه لو صادفت الكتلة الحديدية اناء به زئبق فى أسفل الشجرة لطفت عليه لأن الفراغ فى الكتلة الحديدية أقل من الفراغ الموجود فى مثل حجمها من الزئبق ، لهذا كان ماينطبق على البحر الهوائى ينطبق على البحر المائى تماما ، وما ينطبق على الكتلة ينطبق على الذرة .

ولنضرب مثلا من ناحية الوزن بذرتى اليورانيوم والهيدروجين ، فالمعروف أن فى ذرة الهيدروجين فراغا، أكثر من الفراغ الموجود فى ذرة اليورانوم ، الأمر الذى جعل نسبة وزن ذرة اليورانيوم الى ذرة الهيدروجين ٢٠٧ : ١ وجعل ذرة الهيدروجين ترتفع وذرة اليورانيوم تسقط الى القاع ولقد جاء فى الآيتين الثامنة والتاسعة « **ألا تطغوا فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان** » وفى ذلك تأييد لاتقان الوزن العلمى بدون زيادة أو نقصان .

ويظهر مما تقدم أن الله عز وجل أبدع الكون وجعل كل أمر فيه خاضعا لقوانين ثابتة فى الحساب والوزن ، وبديع قدرته فى دقة انتظام هذه القوانين ودوامها وثبوتها ولهذا دعانا وحثنا الى التأمل فى نظامها وسر وجودها وانتظامها ، ولو أرادنا سبحانه أن نكل هذا الابداع الى ارادته وقدرته اللانهائية دون البحث وراءها ما دعانا الى التأمل ولا وجه اللوم الينا على الغفلة ، ومن المشاهد أن كل ما حققه الانسان من حضارة وتقدم لهو ثمرة تأمله ، وعلى هذه القاعدة لابد للانسان من التأمل والتفكير فى أن يعزو استقرار الأرض الى قانون ثابت.

ترقبوا ..

في منتصف شهر ربيع الأول

سلسلتي

وحي من النور
عبد الله شمس الدين

التعريف بالإسلام
عبد الرزاق نوفل

كتب إسلامية
الثمن ٢ قرشان

دراسات في الإسلام
الثمن ٥ قروش

تضمن الحصول على
مكتبة إسلامية جامعة
بأقلام
أساتذة متخصصين

يصدرها :
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
بوزارة الأوقاف

مطابع شركة الاعلانات الشرقية

وانى أعتقد أنه لا يكفى ولا يقبل الله منا أن نقول أن الأرض معلقة بقدرة الله فى الفضاء دون البحث وراء الأسباب ، والقرآن العظيم خير معين لكل متأمل فى آيات الله ، مصداقا لقوله جل سبحانه :

« ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » (١١١ من سورة يوسف)

« ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » (٨٩ من سورة النحل)

« هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون » (٢٠ من صورة الأعراف) .

«هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين» (١٣٨ من سورة آعمران)

« أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الأرض كيف سطحت » من الآية ١٧ الى ٢٠ من سورة الغاشية) .

بل ان الأرض كتلة ككل الكتل خاضعة للنظام العام فى الحساب والوزن ، وهذا مايظهر من الآية العاشرة وهى قوله جل سبحانه « **والأرض وضعها للأنام** » أى أن الأرض نفسها خاضعة لنظام الوزن ، اذ لو بقيت كتلة هيدروجينية كما بدأها رب الخلق لما بقيت موضوعة للأنام كما تقدم فى تعريف الوزن ، على أن السبب فى ثبوتها فيما يظهر هو ما أضيف اليها من أثقال كالقشرة الترابية والجبال والمياه وغير ذلك مما احتوته الأرض من ثقال كرواس لهذه السفينة .

ومادمنا قد شبهنا الأرض بالسفينة ورواسيها وأنها موضوعة بالوزن للأنام ، فعلينا أن نفكر ونتأمل فى الجو الذى تمخره هذه السفينة وترسو فيه ، على أنى أميل الى وجود جو فى الجنوب أثقل من الأجواء المعروفة التى هى الماء والهواء وطبقات الأثير القريبة والبعيدة بحيث يكون الوزن الكامل لكتلة الأرض رغم هذه الأثقال أقل من وزن مقدار حيزها من ذلك الجو وأكثر فراغا منه وتكون الأرض بدورتيها اليومية والسنوية أشبه ما تكون بالزورق الطائر الكامل البروز ماعدا جزء غاطس فى هذا الجو قبيل المؤخرة فى الجنوب ومن المعلوم أنه كلما زاد بروز السفينة فى الجو الأعلى الأخف زادت سرعتها انطلاقا .

ودليلى على ذلك :

أولا ــ شكل الأرض الذى يشبه السفينة فلها طرفان وبطن وللأرض طرفان وبطن كذلك .

ثانيا ــ قاعدة الوزن الذى تقدم فيها الحديث ، ويقال ان القمر كان جزءا من الأرض فانفصل عنها قبل أن تتحكم فيها الأثقال التى حفظت باقى أجزاء الارض من التطاير ، وليس ذلك ببعيد حيث أن قاعدة الوزن والفراغ لا تتعارض مع ذلك .

ثالثا ــ ميلان الأرض الذى يشبه ميلان الزورق الطائر ،والرياضيون هم أولى بتحديد مقدار الجزء المختفى من الأرض والبارز منها من هذا الميلان .

ومما تجب الاشارة اليه أنه قد ظهر لى هذا الميلان من اتجاه مياه الأنهار قبل معرفتى اياه جغرافيا حيث أن مجاى الأنهار تتجه فى الغالب من الشمال الى الجنوب ، وهذا ممايثبت ميلان الأرض ، اذ لو كانت الأرض مضطجعة تمام الاضطجاع كالسفينة العادية لاتجهت مجارى الأنهار الى الشمال حيث تكون الجهة الشمالية المنخفضة بالنسبة لارتفاع احديداب الأرض تدريجيا باتجاه خط الاستواء .

ولو كانت الأرض غير مائلة أى مستقيمة فى جلوسها كالعلامة العوامة التى تبقى رأسية فى البحر ولها طرفان وبطن ، طرف أعلى وطرف فى الماء وتستمر ثابتة على الوضع اذا احتفظت بوزن معين أو شدت بحبل من أسفل ،ولو كانت الأرض كذلك لما اتجهت مياه النيل وهو النابع من أماكن مرتفعة عند خط الاستواء الى اتجاه عكسى ولانحدر الى الجنوب لأن جنوب خط

الاستواء أكثر انخفاضا وقابلية لانحدار الماء ، ومن هذين الاتجاهين المتعاكسين شمالا وجنوبا يظهر مقدار ميلان الأرض فيما أعتقد.

ولقد تقدم أن الجبال هى رواسى لهذه السفينة ويترتب عليهاثبوت هذا الوضع حيث لابد لكل سفينة من وزن معين يتناسب مع الجو الذى تمخره ، أو ترسو فيه ، ولو نقص الوزن لماد الزورق وتغيرت مجارى الأنهار .

ومما يؤيد هذا المعنى الآيات الكريمة التالية :

« أمن جعل الأرض قرارا ، وجعل خلالها أنهارا » (٦١ من سورة النمل)

« وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم وأنهارا وسبلا » (١٥ من سورة النحل)

« وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهارا » (٣ الرعد)

« والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل شىء موزون » (١٩ من سورة الحجر)

« والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها » (٣٢ من سورة النازعات) .

« وجعلنا فيها رواسى شامخات وأسقيناكم ماء فراتا » (٢٧ من سورة المرسلات)

على أن استرداد ما أضيف للارض من وزن واقع لا محالة ، وهناك تبرز الأرض ويظهر امتدادها المختفى ، وتنفلت من حبسها وتنطلق من عقالها ، وأذكر بعض الآيات الكريمة المؤيدة لذلك :

« ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا » (٤٧ من سورة الكهف)

« اذا رجت الأرض رجا ، وبست الجبال بسا ، فكانت هباء منبثا » (٤ من سورة الواقعة)

« اذا زلزلت الأرض زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها « وقال الانسان مالها » (١ و٢ و ٣ من سورة الزلزلة)

« يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا » (١٤ من سورة المزمل).

« واذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت » (الانشقاق)

« وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب » (٣٩ من سورة الزمر)

رابعا ـ أن الطرف الشمالى للأرض عرف تقريبا واستطاعت الطائرات أن تدور حول محيطه ، وبينما لم يعرف جزء من الجانب الجنوبى ولم يستطع الانسان بوسائله المختلفة أن يلف حوله كماحدث فى الشمال .

خامسا ـ أن الأجرام الصناعية التى اخترقت غلاف الأرض ولفت حوله تبتعد عن ناحية من هذا الجزء الجنوبى .

سادسا ـ أن النجم « سهيل » الجنوبى المعروف يستغرق شروقه وغروبه فى بعض الفصول ساعة واحدة تقريبا ، والساعة الواحدة بالنسبة لشروق الشمس وغروبها فى أربع وعشرين ساعة تعادل ألفا وأربعين ميلا من مساحة محيط الأرض البالغة خمسة وعشرين ألف ميل ، على أن الأرض المعروفة جغرافيا لاينزل محيطها بعد خط الاستواء شمالا أو جنوبا الى هذا المقدار . ومن ذلك يظهر لى أن للأرض نتوءا أو ذيلا أو جزءا غاطسا وممتدا أخفى هذا النجم حال غيابه .

وقد شاهدت هذه الحالة قبيل الفجر ، وربما لولا هذا النتوء أو الذيل أو الجزء الغاطس لظل النجم ظاهرا فى الجنوب دون شروق أو غروب كنجمة القطب فى الشمال التى نسميها « الجدى » وقد ظهر لى هذا المنظر منذ مدة طويلة ، وتحدثت عنه فى حينه ثم كررت حديثى فىعدة مناسبات وقبل ثلاث سنوات تقريبا اتصل بى جماعة فى بيروت سألونى عما سمعوه بشأن هذا الحديث وكان

معهم جماعة من وكالة أنباء الشرق الأوسط بقصد نشر الحديث ، ولكنى امتنعت عن اجابة طلبهم فى النشر الا اذا أقره عالم فلكى معروف فاقترحوا مراجعة مدير مرصد الجامعة الامريكية فى بيروت الذى ارتاح لهذا الحديث وأخبرهم بأنه اذا لم يقبل المتحدث النشر فانشروا ذلك باسمى وعلى مسئوليتى ، فقلت للجماعة اذن تنشر القصة كما حدثت ، وفعلا طلعت الصحف اللبنانية ناشرة ذلك الحديث بحذافيره .

وقد سمع منى ذلك اخوان كرام فى بعثة الحج الرسمية للجمهورية العربية المتحدة وكان ذلك قبل ثلاث سنوات تقريبا .

سابعا - يظهر لى من رفع السماء ووضع الأرض أن الأرض فى الزاوية السفلى من الكرة السماوية ، يؤيد ذلك ماجاء فى كثير من آيات القرآن الكريم ، أن كل ما وصل الى الأرض فهو نزول وهبوط وكل ما خرج منها فهو عروج وصعود ، وكما جاء الوضع للأرض جاء الرفع للسماء كقوله جل سبحانه :

« وجعلنا السماء سقفا محفوظا ، وهم عن آياتها معرضون » (٣٢ من سورة الانبياء)

« الله الذى رفع السماء بغير عمد ترونها» (٢ الرعد)

« أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها » (٢٨ من سورة النازعات)

ويظهر من قوله جل سبحانه « وجعل فيها رواسى من فوقها » (١٠ سورة فصلت)

أن للأرض فوقا وتحتا ، وأن جهة الفوق هى جهة الشمال حيث أن جهة الشمال مختلفة عن جهة الجنوب لأن اليابسة متجمعة فى الشمال محيطة بماء فى المتجمد الشمالى ، والجبال على هذه اليابسة ، أما الجهة الجنوبية فانها على العكس مياه محيطة بيابسة .

ولقد مر فى كتاب ترجمة الأستاذ أحمد الكردانى للكاتب الانجليزى جيمس جينز «النجوم فى مسالكها » أن المجموعة الشمسية مستعمرة في زاوية منعزلة من زوايا العالم » .

على أنه ليس من البعيد كذلك أن تكون هناك عوامل أخرى لاستقرار الأرض غير هذا الجو الثقيل الذى أميل الى احتمال وجوده ، مع بيان ما دعانى الى هذا الميل ، وهو أن السير والانطلاق ضد الوزن ، ثم أن الجاذبية بين أجرام الفضاء هى ضد الوزن أيضا ، لأن الوزن والجاذبية قوتان مختلفتان .

وهناك مسألة أخرى ضد الوزن كذلك ، هى الميلان للجرم ، اذ أن لكل جرم ست جهات أصلية والوزن ينصب الى جهة واحدة من الجهات الست ، فاذا أحكم الميلان بين جهة الوزن السفلى وجهة اللاوزن العليا فان الوزن ينعدم أيضا ، ومثال ذلك لو أدرنا مقلاعا منتهيا بثقل فى الهواء لوجدنا أننا لانحس بوزن أثناء الدوران ، ومعروف أيضا أننا لو ربطنا بحبل دلوا فيه ماء أو رمل أو غير ذلك وأدرناه بشدة لما سقط منه شىء على الأرض لانعدام الوزن ، وهذا ما سنعرض له فى مقال قادم عندما نأتى بما يثبت الوزن خارج الغلاف الأرضى ان شاء الله .

ومما يظهر فى الآيتين الحادية عشرة والثانية عشرة من سورة الرحمن « يقول جل سبحانه « **فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام ، والحب ذو العصف والريحان** » .

ولعل فى هاتين الآيتين تفصيل لما جاء فى الآية الخامسة من قوله تعالى « **والنجم والشجر يسجدان** » .

وفى الآية الثالثة عشرة خطاب موجه للجن والانس ويظهر من تكرار ذلك واحدا وثلاثين مرة فى كل مناسبة علمية جديدة أن ذلك جاء كفاصلة للتأمل ، حيث أن للتأمل الصادق قيمته فى قبول هذا التوجيه من :

« **الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان** » لأن الغالب على الطباع هو النفور من كل جديد لم تألفه ، ويظهر من تكرار الاستفهام التحذيرى من التكذيب بنعم الله المتوالية توجيه الى النظرة الصادقة فى آلاء الله .

« **فبأى آلاء ربكما تكذبان** » .

مواقيت الصلاة

الأيام	ربيع الأول	أغسطس	فجر د	فجر س	شروق د	شروق س	ظهر د	ظهر س	عصر د	عصر س	مغرب د	مغرب س	عشاء د	عشاء س
الأربعاء	١	١	٣٥	٤	١٣	٦	٠١	١	٣٨	٤	٤٩	٧	١٦	٩
الخميس	٢	٢	٣٦	٤	١٤	٦	٠١	١	٣٨	٤	٤٨	٧	١٥	٩
الجمعة	٣	٣	٣٦	٤	١٥	٦	٠١	١	٣٨	٤	٤٧	٧	١٤	٩
السبت	٤	٤	٣٧	٤	١٥	٦	٠١	١	٣٨	٤	٤٧	٧	١٣	٩
الأحد	٥	٥	٣٨	٤	١٦	٦	٠١	١	٣٨	٤	٤٦	٧	١٢	٩
الإثنين	٦	٦	٣٩	٤	١٦	٦	٠١	١	٣٨	٤	٤٥	٧	١١	٩
الثلاثاء	٧	٧	٤٠	٤	١٧	٦	٠١	١	٣٧	٤	٤٤	٧	٠٩	٩
الأربعاء	٨	٨	٤١	٤	١٧	٦	٠١	١	٣٧	٤	٤٣	٧	٠٨	٩
الخميس	٩	٩	٤٢	٤	١٨	٦	٠١	١	٣٧	٤	٤٢	٧	٠٧	٩
الجمعة	١٠	١٠	٤٣	٤	١٩	٦	٠٠	١	٣٧	٤	٤١	٧	٠٦	٩
السبت	١١	١١	٤٤	٤	١٩	٦	٠٠	١	٣٧	٤	٤١	٧	٠٥	٩
الأحد	١٢	١٢	٤٥	٤	٢٠	٦	٠٠	١	٣٧	٤	٤٠	٧	٠٤	٩
الإثنين	١٣	١٣	٤٦	٤	٢٠	٦	٠٠	١	٣٦	٤	٣٩	٧	٠٣	٩
الثلاثاء	١٤	١٤	٤٧	٤	٢١	٦	٠٠	١	٣٦	٤	٣٨	٧	٠١	٩
الأربعاء	١٥	١٥	٤٨	٤	٢٢	٦	٠٠	١	٣٦	٤	٣٧	٧	٠٠	٩
الخميس	١٦	١٦	٤٩	٤	٢٢	٦	٥٩	١٢	٣٦	٤	٣٦	٧	٥٩	٨
الجمعة	١٧	١٧	٥٠	٤	٢٣	٦	٥٩	١٢	٣٥	٤	٣٥	٧	٥٨	٨
السبت	١٨	١٨	٥١	٤	٢٣	٦	٥٩	١٢	٣٥	٤	٣٤	٧	٥٧	٨
الأحد	١٩	١٩	٥١	٤	٢٤	٦	٥٩	١٢	٣٥	٤	٣٣	٧	٥٥	٨
الإثنين	٢٠	٢٠	٥٢	٤	٢٥	٦	٥٩	١٢	٣٤	٤	٣٢	٧	٥٤	٨
الثلاثاء	٢١	٢١	٥٢	٤	٢٥	٦	٥٨	١٢	٣٤	٤	٣١	٧	٥٣	٨
الأربعاء	٢٢	٢٢	٥٣	٤	٢٦	٦	٥٨	١٢	٣٤	٤	٣٠	٧	٥٢	٨
الخميس	٢٣	٢٣	٥٤	٤	٢٦	٦	٥٨	١٢	٣٣	٤	٢٩	٧	٥١	٨
الجمعة	٢٤	٢٤	٥٥	٤	٢٧	٦	٥٨	١٢	٣٣	٤	٢٧	٧	٤٩	٨
السبت	٢٥	٢٥	٥٥	٤	٢٧	٦	٥٧	١٢	٣٢	٤	٢٦	٧	٤٨	٨
الأحد	٢٦	٢٦	٥٦	٤	٢٨	٦	٥٧	١٢	٣٢	٤	٢٥	٧	٤٦	٨
الإثنين	٢٧	٢٧	٥٧	٤	٢٩	٦	٥٧	١٢	٣١	٤	٢٤	٧	٤٥	٨
الثلاثاء	٢٨	٢٨	٥٨	٤	٢٩	٦	٥٦	١٢	٣١	٤	٢٣	٧	٤٤	٨
الأربعاء	٢٩	٢٩	٥٩	٤	٣٠	٦	٥٦	١٢	٣٠	٤	٢٢	٧	٤٢	٨
الخميس	٣٠	٣٠	٥٩	٤	٣٠	٦	٥٦	١٢	٣٠	٤	٢١	٧	٤١	٨

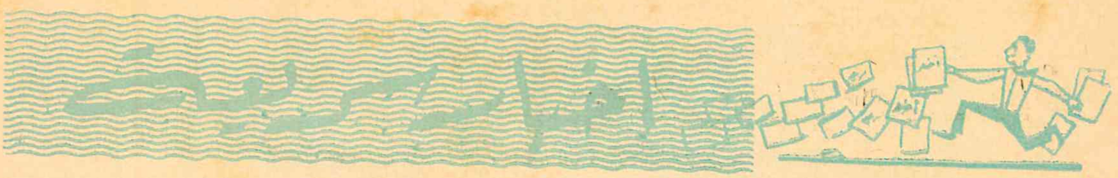

المصاحف توزع على أعضاء مؤتمر السلام

عقد مؤتمر السلام خلال شهر يوليو الماضى بمدينة موسكو

وقد أمر السيد نائب الرئيس ووزير الأوقاف بأن يوزع على أعضاء الوفود المشتركة بالمؤتمر بعض النسخ من المصحف المرتل ، والمصحف الفاخر ومجموعة مجلد المساجد تذكارا لهذه المناسبة .

معهد دينى للفتيات المسلمات من البلاد الأجنبية

تقرر انشاء معهد جديد يدرس فيه العلوم الاسلامية للفتيات المسلمات الوافدات من جميع أنحاء العالم ..

سيبدأ العمل بالمعهد فى العام الدراسى القادم ..

وسيقوم بالتدريس فيه علماء من الأزهر وأساتذة يجيدون اللغات الأجنبية .

التخفيف عن مستأجرى أراضى الأوقاف

١٨٠ ألف مستأجر من مستأجرى أراضى الأوقاف سيستفيدون من القرار الذى أصدره السيد حسين الشافعى نائب الرئيس ووزير الاوقاف بسبب الظروف التى أحاطت بمحصول القطن فى العام الماضى

يقضى القرار بتأجيل تحصيل المتأخرات الزراعية لعام ١٩٦١ بالنسبة لمستأجرى أراضى الأوقاف وتحصيلها مع القسط الأخير لسنة ١٩٦٢ .. ستؤجل الاجراءات التى اتخذت ضد المستأجرين تبعا لذلك الى نهاية اكتوبر القادم

تفضيل المعدمين من أسر الواقفين

تقرر تفضيل المعدمين من أسر الواقفين عند توزيع أراضى أجدادهم عليهم .. سيقوم الاصلاح الزراعى بتوزيع ٢٥ ألف فدان من الأراضى التى ستسلمها اليه وزارة الأوقاف فى نوفمبر المقبل على المعدمين من أسر الواقفين تحقيقا للعدالة وحتى يكون لهم نصيب فى الأرض التى وقفها أجدادهم على أعمال الخير .

الدكتوراه الفخرية لرئيس وزراء نيجيريا

زار القاهرة السيد احمدو بللو رئيس وزراء نيجريا بدعوة من حكومة الجمهورية العربية المتحدة لمدة ثلاثة أيام اعتبارا من ٢١ يوليو الماضى ..

وقد أهديت الدكتوراه الفخرية من الأزهر للضيف الكريم فى احتفال كبير أقيم بالجامع الأزهر صباح ٢٢ يوليو

مدينة جديدة للأزهر

يبدأ هذا العام انشاء المدينة الجديدة للأزهر .. وقد وقع الاختيار على منطقة الدراسة لانشائها بها ..

ستضم المدينة مبانى ٩ كليات وادارة للجامعة ومستشفى وثكنة للتدريب العسكرى، وادارة للجامع الأزهر ومبنى لمجمع البحوث الاسلامية .

اشتراكيتنا والإسلام

بقلم

الأستاذ عبد العال السبروت

أن الحديث عن الاشتراكية والاسلام .. حديث جديد ، وسيظل دائما جديدا مهما كتب فيه الكاتبون ، وتناوله أصحاب الأقلام والمحدثون .. ذلك أنه على الرغم من كثرة ما كتب فى هذا الموضوع ما زالت بعض الاذاعات تذيع أن اشتراكيتنا ضد الاسلام جهلا منها أو تجاهلا ، ومحافظة على الرواسب التى خلفتها عصور الظلام والرجعية ، والاستعمار .

والاسلام قد اشتمل – رغم أنف الجاهلين أو المتجاهلين – على كل المبادىء الاشتراكية .. وكيف لا يشتمل عليها ، وهو الدين الباقى ما بقيت الحياة ، الدائم ما دام الناس، الموجود ما كان الكون موجودا .

أتى الاسلام لسعادة الفرد والجماعة : لسعادة الفرد باعتباره لبنة فى بناء المجتمع ولسعادة المجتمع باعتباره مجموعة أفراد ... فكل ما يؤدى الى سعادة الفرد واستقراره أو الى صلاح الجماعة وتقدمها دعا اليه الدين وحث عليه .

وعملت الاشتراكية على سعادة الفرد والجماعة ، بوجوب اشراف الدولة على استثمار المال فى المجتمع ، وتحقيق التكافل الاجتماعى لجميع ابنائه حتى يتسنى لهم الاشتراك فى حياة تضمن كرامة الانسان واطمئنانه الى حاضره ومستقبله .

فالاسلام ليس غريبا على الاشتراكية كما أن الاشتراكية ليست غريبة عن الاسلام ، ومن تدبر الاسلام ووعى تشريعه ، لوجد انه وضع من المبادىء ما يحقق تطبيق الاشتراكية تطبيقا تاما فى اطار الاسلام ..

ولقائل أن يقول : اذا كان الاسلام مشتملا على المبادىء الاشتراكية التى منها تحديد الملكية والتأميم وسائر المبادىء التى تدعم المجتمع وتقويه ، وتصل به الى السمو والذروة فلم نجد معظم البلاد الاسلامية قد أصابها الضعف والوهن ردحا كبيرا من الزمان ؟ ونقول لهذا القائل : ان الضعف والوهن اللذين أصابا بلاد الاسلام ، ليس من الاسلام نفسه . الذى سجل تشريعاته مرونة وصلاحية لمسايرة ركب الحياة ، والوصول بالناس الى مستوى أفضل وانما كان من انحراف المسلمين فى تطبيق مبادىء الاسلام ، وهذا لا يطعن أبدا فى ذاتية الاسلام ومبادئه وانما يطعن ويطعن فقط فيمن قاموا بالتطبيق .

أسس الاشتراكية :

والاشتراكية لها أسس كثيرة تقوم عليها وتبنى، ودعائم عدة ترتكز عليها وتشيد ، نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر :

مرافق الدولة الضرورية : مرافق الحياة الضرورية كالمواصلات والبنوك والشركات والمضارب والمطاحن . انما يجب أن تكون ملكا للدولة ولا يجوز تملكها لفرد أو طائفة من الناس ، لأن الفرد أو الطبقة من الناس لو تركت فى الاستثمار بملكية مرفق من مرافق الحياة الضرورية فى الدولة لاستغلت المجموع واستعبدت الخلق وعاثت فى الأرض فسادا ، كما كان الحال عندنا قبل قوانين يوليو سنة ١٩٥٢ .

قال صلى الله عليه وسلم : الناس شركاء فى ثلاثة « الماء والكلأ والنار » .

وذكر هذه الأشياء الثلاثة انما هو على سبيل المثال لا الحصر ، فيلحق بها كل ما كان مثلها فى حاجة الناس جميعا اليها .

المجتمع وأصحاب الملايين :

قال الرئيس جمال عبد الناصر فى بيانه الى شعب الجمهورية العربية المتحدة « اكتوبر سنة ١٩٦١ » (**ان مجتمعنا ليس فيه مكان لأصحاب الملايين**) ذلك أن المجتمع الاشتراكى يمنع تضخم المال فى طائفة دون طائفة لأن هدف الاشتراكية تحقيق العدالة الاجتماعية للناس ، والعدالة الاجتماعية تقتضى عدم تداول المال بين طائفة دون طائفة لأن المال الذى هو عصب الحياة يجب تداوله بين الناس جميعا .

قال تعالى : « كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم » .. والرسول – صلى الله عليه وسلم – حينما أراد أن يوزع الأموال التى حصل عليها من بنى النضير بعد أن أتت اليه بطريق الصلح لم يوزع هذا المال على المسلمين بالتساوى، ذلك أن جماعة المهاجرين كانوا أفقر بكثير من الأنصار – لترك المهاجرين ديارهم وأموالهم وكل ما يملكون بوطنهم مكة – لذلك وزع الرسول – صلى الله عليه وسلم – المال على المهاجرين ولم يعط من الأنصار غير رجلين ينطبق عليهما هذا الشرط !

وما صنع الرسول هذا الصنيع الا لأنه يهدف الى تقارب الطبقات وازالة الفوارق الشاسعة بين الناس وما شرع الاسلام الارث ، والزكاة، وأوجب على الأغنياء الانفاق على الفقراء ، وحرم الربا وغير ذلك الا لتقريب الطبقات بين الناس وهذا يتمشى تماما مع قول **الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه فى المؤتمر التعاونى الذى عقد فى ديسمبر سنة ١٩٥٧ : « لم يكن هدفنا أن نقضى على الملكية الزراعية ، ولم يكن هدفنا أن نحرم الملكية الزراعية ، ولم يكن هدفنا أن نحول ملاك الأرض الى أجراء ، انما هدفنا أن نحول الأجراء الى ملاك وبهذا نحقق العدالة الاجتماعية ونقرب الفوارق بين الطبقات .**

الاشتراكية ورأس المال :

يحترم الاسلام الملكية الفردية ، ويكفل لها الحرية والاستثمار ، ويضمن لكل انسان السعى فى اكتساب الرزق وادخار المال طالما كان ذلك عن طريق صحيح مشروع .

قال تعالى : « للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن » وقال صلى الله عليه وسلم : « نعم المال الصالح للرجل الصالح » .

ومع هذا .. فالدولة لها أن تأخذ من أموال الأغنياء لصالح الفقراء والمحتاجين ما يسد حاجتهم ويرفع مستواهم ويصل بهم الى المستوى الانسانى الكامل ، فوق الزكاة المفروضة حين لا تفى الزكاة ..

قال صلى الله عليه وسلم : « ان فى المال حقا سوى الزكاة » .

وقال عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – : « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأخذت من الأغنياء فضول أموالهم فرددتها على الفقراء » .

فعمر بهذا يجوز للحاكم أن يأخذ من أموال الأغنياء بقدر ما يوفر المأكل والملبس والمسكن وجميع ضروريات الحياة لكل فرد من أفراد الشعب .

وهل فعل الرئيس عبد الناصر الا هذا ؟.. وهل فعل عبد الناصر هذا الا للشعب ومن أجل الشعب ؟.. من أجل الفقير الجائع

والمحروم البائس . أى وربى .. هذا ماحصل وانه لحق .

وهذا بالنسبة للأموال التى أتت للأفــراد بطرق مشروعة .. أما الأموال التى حصل عليها فرد أو طائفة من النــاس ، بطرق ملتوية غير مشروعة ، وجعلتهم يتحكمون فى رقاب الناس ويسيطرون على أرزاق الخلق ويسوقونهم سوق العبيد .. فالاسلام يأمر - الحكومة - بحماية الشعب من هذا الصنف ومصادرة أموالهــم لصالح الشعب ..

وقد صادر الرسول - صلى الله عليه وسلم - مال عامله ((ابن اللتبيه)) كما شاطر عمر بن الخطاب سعد بن أبى وقاص ماله ، وهو أحــد الستة المشهود لهم بالجنة ، وقائد جيــوش المسلمين فى فارس وخال عمر بن الخطــاب ، وكان سعد يقال له - المستجاب - لقول النبى صلى الله عليه وسلم : اتقوا دعوة سعد ، فلما شاطره عمر ماله قال له سعد : لقــد هممت ، قال له عمر . بأن تدعو على ؟ قال نعم ، قال عمر . اذا لا تجدنى بدعاء ربى شقيا .

كما شاطر عمر أيضا عمرو بن العاص ماله بأجمعه حتى بقيت نعلاه . فأخذ رسول عمر الى عمرو - محمد بن مسلمة - احداهما وترك الأخرى .

وموقف الاسلام من رأس المال الفــــردى يسايره تماما قول الرئيس عبد النــاصر .. « لم نقل اننا نريد القضاء على الفردية .. بل اننا نؤمن بالفرد وبحرية الفرد ، وبشخصية الفرد وحقه فى العمل وحقه فى الحركة ما دام هذا يتمشى مع الدستور ومع مصالح الشعب ولكننا لا نؤمن أبدا بالفردية الانتهــازية أو الفردية المستغلة والنظــــام الاشتراكى الديموقراطى التعاونى يعمــل على الحد من الفردية الانتهازية المستغلة كما يعمل عــلى تشجيع الفردية الوطنية التى تتعاون من أجل خير الشعب ومن أجل مصلحة الشعب » .

المساواة بين الناس .

يقرر الاسلام ان الناس جميعا متســاوون، وانه لافضل بينهم فى هذا الصدد الاعلى أساس كفاياتهم وما يقدمه كل منهم لنفسه وخالقــه ووطنه فلا تفاضل بين الناس تبعا لاختــلاف الأنساب والأحساب وغير ذلك من الامــور الحادثة التى لا تصلح معيارا للتفاضل .. قال تعالى :

« يأيها الناس انا خلقنــاكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » .

وقول النبى - صلى الله عليه وسلم - :

((أيها الناس ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم وليس لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل الا بالتقوى .. يا فاطمــة بنت محمد سلينى بما شئت لا أغنى عنك من اللــه شيئا » ..

فقد جعل الاسلام التقوى وحدها مقيــاس المفاضلة ، وأراح الناس من متاعب التفريق بين الطبقات .. والتقوى التى هى أســاس المفاضلة بين الناس تشمل كل شئون الحياة ومظاهرها وقد ظهرت آثارها فى حياة الرسول وحياة الناس من بعده .

تخاصم خالد بن الوليد القرشى القائد المظفر .. مع عمار بن ياسر الذى لقى فى ســبيل الدعوة الاسلامية من صنوف الذل والهــوان ما لم يلقه انسان والذى عاش مجاهدا ومات شهيدا . ثم ينسى خالد جهاد عمار وفضلــه فى نصرة الاسلام ولا يذكر لعمار غير أن أمه - سمية - كانت أمة من اماء مخزوم وأن أباه - ياسرا - كان عتيقا من عتقاء مخزوم ومعنى هذا كله فى منطق خالد أن العبيد لايحق لهم أن يرفعوا الرءوس أمام السادة ! وينطلق عمــار الى الرسول يحتكم اليه شاكيا ابن الوليد ويقبل خالد ليواجه عمارا أمام النبى : **ثم يقول النبى « من عادى عمارا فقد عادانى »** قالها محمد عبارة قصيرة موجزة فيها من التــأنيب والردع ما جعلت خالدا يشعر بالاسف والخجل ويطلب الصفح من النبى ويلتمس من عمار العفو . !

ويقص علينا التاريخ ـ وما أكثر ما يروى لنا التاريخ ـ من أنباء عمر بن الخطاب .

يقص علينا أن عمر كان قد حدد يوما ليوزع فيه الغنائم على المسلمين ، وحين أقبل اليوم المنتظر تجمع الناس من حوله حتى لم يبق مكان لقدم ، ونظر عمر الى رجل يدفع الناس بمنكبيه ويشق طريقه بعنف حتى وصل مكانه من المقدمة .. وكان هذا الرجل هو سعد بن أبى وقاص فلم يكن من عمر الا أن علاه بالدرة وهو يصرخ فى وجهه .

« لم تهب سلطان الله فى الأرض فأردت أن أعلمك أن سلطان الله لا يهابك » .

وهذا على بن أبى طالب ـ يوم صار الى الحكم خليفة بعد عثمان بن عفان ـ لم يغره الملك ولم تبهجه الخلافة ولم تعرف المحاباة أو الملق طريقا الى نفسه التى هذبها القرآن والذى ارتفعت عنده المثل الأخلاقية العليا فوق القرابة والرحم .

أراد عقيل بن أبى طالب ان يستغل اخوته ويأخذ من مال المسلمين فوق حقه وجاء أخاه « عليا » يطلب منه عطاء فوق عطائه فقال له على : ائتنى عشية لأدفع لك شيئا فجاء يقوده ولده ـ وكان قد ضعف بصره ـ فأمر على أن يبتعد ولده ثم قال : ألا فدونك .. فهوى على ما أمامه يحسبها صرة ، فوقعت يده على حديدة تلتهب نارا فلما قبضها تركها وخار كما يخور الثور بين يدى جازره ثم قال على : ثكلتك أمك .. أكل هذا من حديدة أوقدت لها نار الدنيا !.. فكيف بى وبك غدا ان سلكنا فى سلاسل جهنم ، ثم تلا قول الله :

« اذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون » ثم قال له ليس لك عندى فوق حقك الذى فرضه الله لك الا ما ترى فانصرف الى أهلك ..

وهكذا لا يكون صلاح أمور الناس وتقدمها الا بتحرى الحق واحقاقه ووضع الامور فى نصابها ، والمساواة بين الناس بدون محاباة لأحد ، لا للغنى خوفا منه ولا للفقير رحمة به ، وبهذا يتم التعاون بين الناس وتعم الألفة والمحبة بينهم ويسود الجميع الهدوء والاستقرار ويقبل كل على عمله بنفس راضية بيومها مطمئنة لغدها .

وبعد هذا العرض الموجز لبعض دعائم الاشتراكية المستمدة من المنبع المتألق الوضاء من الحديقة الوارفة الظلال « حديقة الرسول وصحبه » .

يتضح انها من الاسلام وان المجتمع الآخذ بها خير مجتمع وأفضله لأنه يحقق التكافل الاجتماعى بين أبنائه ويسعى لتقارب الطبقات بينهم « ويضمن لهم حياة رفيعة سامية قائمة على العزة والكرامة .

ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون .

خوف فى غير موضعه!

الأستاذ عبد السلام داود

الأصوات التى ترتفع بين وقت وآخر لتنال أو تشكك فى المحاولة الجادة المخلصة لاعادة النظر فى آيات القرآن على ضوء العلم - هذه الأصوات لا تشكك فى الدعوة الجديدة ولا تنال منها بقدر ما تنال وتشكك فى القرآن نفسه !!

فلا خلاف فى أن المسلم غير العربى لا يستطيع أن يتذوق معجزة القرآن البلاغية قبل أن يتفقه فى اللغة العربية ، أو أن المسلم العربى نفسه قادر على الاحساس بهذه البلاغة ما لم يتفقه بدوره فى آداب اللغة !

ووضع هذه العقبة فى طريق الدعوة أمر لا يصدقه عقل .. لأنه لا يعقل أن يكون هدف الاسلام الأول هو أن يتفقه الناس فى اللغة العربية .

كذلك لا يمكن أن تكون معجزة القرآن البلاغية هى كل أسلحة القرآن لغزو عقول الناس مهما تعددت ألسنتهم ، وارتفعت مداركهم على طول التاريخ !!

والمعجزة البلاغية ليست فقط أعجز من أن تصل بالدعوة الى عقول وقلوب الملايين التى لا تتحدث العربية ، بل هى أعجز أيضا عن أن تبلغ بهذا التأثير مداه ، فيمن يؤثرون العربية - أنفسهم - حتى ولو تفقهوا فيها . لأن اللغات مثلها مثل كل شىء فى حياتنا تموت وتتجدد، وتتساقط ألفاظها على الأيام كأوراق الخريف ، لتنبت غيرها ألفاظا جديدة ومعان جديدة .

المعجزة البلاغية اذن قد استنفذت أغراضها فى فجر الدعوة ، وكانت اذ ذاك أمضى أسلحتها .

ثم بدأ المسلمون - تلقائيا - مع تطور ظروفهم يستجلون ما وراء هذه البلاغة اللفظية من معان وتشريعات ونظريات .

فكان اهتمامهم الشديد بكنوز الفقه ، والفلسفة ، والمنطق التى حفل بها القرآن العظيم .

ثم بدا - لفترة - وكأن البحث قد توقف وأن المسلمين قد قنعوا بما وصلوا اليه ، حتى حدث أخيرا - تمشيا مع تطور المدارك ، والاهتمامات ، أن بدأ الغواصون المسلمون يغوصون من جديد فى أعماق كتابهم الكريم بحثا عن معان ومعجزات جديدة تتمشى مع ما تفتحت عيون الناس وعقولهم عليه فى عصر العلم ..

وكان هذا الاتجاه ايذانا بمولد فجر جديد للدعوة ، أو بمعنى آخر كان دليلا على أن الحياة لا تزال تنبض فى أوصالها ، تتجدد مع الأيام ومقتضيات الظروف .

ولكن هذا الاتجاه لا يرضى البعض ، بل ويتوجسون منه خيفة أن تغرى المحاولة المجتهدين بتحميل آيات الكتاب فوق ما تحتمل، أو ينحرفوا بها عن أغراضها الحقيقية ومعانيها الأصلية ، فى محاولة تطويعها للنظريات العلمية الحديثة .

وهؤلاء يضعون الحرص فى غير موضعه لأن العلم يرفض الدجل ، وأى تطفل عليه أو على القرآن سوف يسقط تلقائيا ما لم يستند الى دعائم قوية !

ولا بأس أن نخطىء وأن نصيب فى محاولتنا هذه .. بل اننى لأشعر بكثير من الحسرة عندما أجد أن هذه الدعوة الجديدة تقوم على أكتاف نفر قليل من المثقفين ، كذلك أشعر بالأسف لأنها انحصرت حتى الآن فى ميدان واحد هو ميدان العلم .

ذلك أن انحصار البحث داخل هذا النطاق وحده لا يكفى ، بل يجب أن يتعداه للبحث فى غيره من الميادين التى حفل بها القرآن .

ان الله لم يطلب منا أن نتأمل فى بلاغة القرآن أو أحكام الدين فحسب ، ولكنه دعانا وبالحاح كبير الى التأمل فيما حولنا .. فى السماء .. فى الأرض .. فى النبات .. فى اختلاف الليل والنهار .. فى حركة الرياح والسحب.. فى أنفسنا ، فى تاريخ من سبقونا فيما نراه وفيما لا نراه .. من آيات !!

ولا يعقل أن تكون هذه دعوة القرآن .. ثم تقصر آياته عن الاحاطة بها !

صفحات من التاريخ

جمال الدين و محمد عبده

الأستاذ عبد المنعم حماده

عرف العالم الاسلامى فى عصره الحديث رجلين عظيمين ، كان لكل منهما أثره البعيد فى حياة الأمة الاسلامية عامة ، وفى نهضة الشرق العربى خاصة .. واذا كان كل منهما قد نشأ فى بلد غير البلد الذى نشأ فيه الآخر ، واذا كانت المسافات قد باعدت بين وطن كل من الرجلين ، فان الأحداث السياسية التى كانت تحيط بكل من هذين البلدين قد تشابهت الى حد كبير .. فالاستعمار البغيض الكالح الوجه كان يلعب دوره الخطير فى محاولة السيطرة على هذا الشرق العربى الذى تفيض جنباته بشتى ألوان الخيرات ، وكانت الدسائس والمؤامرات تحاك للايقاع بزعماء هذا الشرق والتأثير عليهم بمختلف الحيل وألاعيب الخداع تمشيا مع منطق التفرقة للسيادة ، وكان ظلم الاقطاع والرأسمالية الخداع يجثم على صدور الناس فى كل مكان ، وكان يحاول أن يكتم فيهم أنفاس الحرية .. حرية العيش .. وحرية المسكن .. وحرية العمل .. وحرية القول .. وحتى حرية الحياة .

واذا كان كل من الرجلين قد ظهر فى مكان يبعد عن مكان صاحبه بآلاف الأميال، ويختلف فى ظروف حياته بعض الشىء ، فقد جمعت بينهما عقيدة واحدة ، واحساس واحد ، ورأى واحد ، وأمل واحد ، وفى سبيل هذا الأمل الذى داعب خيال كل منهما تحمل كل نصيبه

من الجهاد المتشابه ، فقد أوذى كل من الرجلين فى وطنه ، وقيدت حريته ، وحكم عليه فترة من الوقت بالعزلة عن الناس ، واضطهد ونفى الى بلد غير بلده .. وحارب كل منهما بلسانه ، وحارب بقلمه ، عقد الندوات ، وخطب فى الناس ، وفسر وعلم ، وسافر الى الشرق والى الغرب يدعو الى الحق والى الخير .. يدعو الى الله بايمان الواثق المطمئن ، ويدعو الى دين الله الذى ارتضاه - سبحانه - للناس كافة دعاء الخاشع الممتلئ قلبه بالقوة والعزم ، ويدعو الى الشرق العربى الاسلامى دعاء يرجو أن يتحقق فيتحقق المجد القديم والعزة التى وعد الله بها المؤمنين المخلصين من عباده .

ومن الغريب أن يتشابه الرجلان منذ اللحظة الأولى التى تنسم فيها كل منهما أولى نسمات الحياة وفتح عينيه على أنوار الوجود .. فقد اختلف المؤرخون فى العام الذى ولد فيه « جمال الدين الأفغانى » ، واختلفوا فى تحديد مسقط رأسه ، وان كانوا قد رجحوا عام١٨٣٨ ميلادية تاريخا لمولده ، وقرية « أسعد أباد » من قرى كنر من أعمال كابل عاصمة أفغانستان مسقط رأسه .. وكذلك اختلف المؤرخون فى العام الذى جاء فيه « **الامام محمد عبده** » ، كما اختلفوا فى تحديد البلد الذى ولد فيه ، وان كانت الأغلبية من المؤرخين قد رجحت عام ١٨٤٩ ميلادية تاريخا لمولده ، كما رجحوا أن مولده كان قرية محلة نصر من قرى مركز شبراخيت بمحافظة البحيرة .

وهكذا نجد أن المقادير قد جمعت بينهما فى كثير من الأشياء الى أن تقابلا وجها لوجه ، وعرف كل منهما الآخر عن قرب ، وتضامنا فى الرأى ، وفى الأمل ، وفى الجهاد ، من أجل هذا الرأى وهذا الأمل ..

فقد كان جمال الدين الأفغانى ، فيلسوف الشرق والاسلام ، قد سافر الى الهند عام ١٨٦٩ م ، ثم أجبرته الحكومة الانجليزية على الرحيل على باخرة ماضية فى طريقها الى السويس حتى لا يرتفع فى ربوع تلك البلاد صوت يدعو الى الحرية ، والى العزة والى الكرامة .. ووصل جمال الدين الى مصر ولكنه لم يمكث بها أكثر من أربعين يوما ، غير أنه عاد اليها مرة ثانية عام ١٨٧١ حيث لقى من المصريين ما حبب اليه الاقامة والعيش فى ربوع النيل .

وعلم محمد عبده بوصول حكيم الشرق وفيلسوفه العظيم الى مصر لأول مرة من أحد « المجاورين » برواق الشوام .. وأحس محمد عبده فى نفسه رغبة شديدة الى مقابلة ذلك الوافد من الشرق يحمل غضب الانجليز ، كما يحمل العلم والمعرفة .. وذهب يصحبه الشيخ « حسن الطويل » لزيارته ، والتعرف به .. وتحدث الوافد الجديد الى ضيفيه فى تفسير القرآن ، ثم تدرج فى الحديث الى التصوف ورجاله وأثره فى التفاسير .. وكان جمال الدين صوفيا من كبار الصوفيين ملما بكثير من أحوالهم ومعارفهم ، مدركا لكثير من خفايا تعاليمهم ، وكان جمال الدين الى جانب ذلك نافذ البصر ، قوى الملاحظة ، لا تخفى عليه خافية ، ولذلك لم تغب عنه ما كانت تنم عليه نظرات محمد عبده وحيرته عند التحدث عن التصوف وأهله ، كما أدرك بفطنته النزعة القوية التى كانت تتنازع فى نفس ذلك الشاب الجالس أمامه ، والذى كان يتشوق الى المعرفة الصحيحة .. لم يخف على جمال الدين شئ من هذا كله ، ولذلك حدث محمد عبده بأسلوبه الصافى الجميل المشبع بالثقة والايمان حتى اطمأن اليه ، ووثق به ، وتعلق بأوصاله ، وسافر الأفغانى ومحمد عبده يرنو اليه ببصره ، ويسبح اليه بخياله ، ويهيم فى بحور من التفكير الذى يتطلع الى شاطئ أمن يرسو اليه ..

ولما عاد جمال الدين الى مصر للمرة الثانية عام ١٨٧١ م ، ووجد من المصريين ما دفعه الى الاقامة بين أهل هذا الوطن المحبب الى نفس كل عربى ، أسرع اليه محمد عبده ليشبع رغبته فى مزيد من العلم ومعرفة كنوز الفلسفة ، ولازمه منذ ذلك الوقت لا يفارقه ، بل أخذ يدعو أصدقاءه ومعارفه الى غشيان مجلسه ، والحضور عليه ، وتفهم أحاديثه ، والاصغاء لصوته العذب وهو يفسر ويشرح .

ونهج جمال الدين فى القاء دروسه منهاجا جديدا لا علم للمصريين به، واستطاع بطريقته الأخاذة الساحرة أن يدرب تلاميذه على انشاء المقالات الأدبية والاجتماعية والسياسية ، وأن يمرنهم على الخطابة ، وأن يخرج منهم بعد ذلك زعماء الأمة وقادتها والعاملين على رقيهـا والنهوض بها الى حيث تحتل مكانها اللائق بين الأمم ٠٠ ويكفى أن تعرف أن محمد عبده ٠٠ وسعد زغلول ، وقاسم أمين ، وحسن عاصم ، وحسن عبد الرازق وعبد الله النديم وغيرهم ، كانوا من تلاميذه ٠٠ يكفى أن نعرف ذلك حتى ندرك ما كانت عليه نفس هذا الفيلسوف من حب السمو الخلقى ، والجهاد فى سبيل الخير ، ولتكوين خلفاء له ينقذون مصر الاسلامية ، بل والشرق كله من ظلم المستعمرين واضطهادهم ٠

ولو أردنا أن نحصر الخدمات التى قدمها جمال الدين لتلميذه محمد عبـده لوجدناها كثيرة قيمة نذكر بعضها فيما يلى :

*** كان أول ما قدمه جمال الدين لمحمد عبده انتشال التلميذ الناشىء من الاستغراق فى التصوف ٠**

*** ترغيبه فى الاطـلاع على ما فى الكتب الحديثة التى ترجمت الى مختلف اللغات ٠٠ وقد استطاع محمد عبده أن يجد فى هـذه الكتب لذة أخرى جديدة لم يكن يجدهـا أو يحسها فيما كان يقرأ من الكتب القديمـة ، واستطاع أن يجد عالما جديدا أطال التحديق فى آفاقه ٠٠ ذلك هو عـالم الفكر الغربى وما وصل اليه من علم حديث ٠**

*** مهد جمال الدين لمحمد عبده طريـق الصحافة منذ دربه على الكتابة والانشاء ، وكان لهذا التمهيد أثر قوى فى حيـاته ، بل كان لاشتغاله بالصحافة والتحرير فيما بعد أثر قوى ظاهر فى حياة الأمة كلها ٠٠ واستطاع محمد عبده بما بذله أستاذه أن يكون خطيبا بليغا ، قوى الحجة ، طلق اللسان ، بل واستطاع أن يبز أستاذه فى هذا المضمار لخلو لهجتـه من العجمة التى لازمت جمـال الدين طـوال حياته ٠**

وكتب محمد عبده فى هذا الوقت عـدة مقالات نشرت بجريدة الأهرام ٠٠ من هـذه المقالات اثنتان أخذهما عن أستاذه جمال الدين الاولى فى فلسفة التربية ، وازن فيهـا بين سلامة الحياة الخلقية وصحة التركيب الجسمانى فى حياة النبات والحيوان ، وقد بين فيهـا أن صحة التركيب البدنى انما تأتى من تجمع أصول متضاربة ، ان تغلب احد ها ، كان فى هذه الغلبة فساد التركيب ٠٠ وكذلك الكمال الانسانى لا يأتى الا حيث توجد أخلاق متضادة وملكات متخـالفة يكون من وراء تضـادها واختلافها حقيقة الفضيلة المعتدلة ٠

وأما المقال الثانى الذى نقله عن أسـتاذه وصديقه جمال الدين فيبحث فى فلسـفة الصناعة ، وهو يتناول الأدوار العقليـة التى مرت بالانسان ، كما يتناول تطوره الاجتماعى وقيمة الصناعات المختلفة بالنسبة للجماعـة ، ثم ضرورتها للأفراد ، ومقدار ما تؤديه للجماعة وللأفراد من نفع وخير ٠

وأما المقالات الأخرى وعددها خمس فهى : تقريظ لجريدة الأهرام ، الكتابة والقلـم ، المدبر الانسانى والمدبر العقلى الروحانى، العلوم الكلامية والدعوة الى العلوم العصرية ، التحفة الأدبية ٠٠

وقد دعا محمد عبده فى هذه المقـالات الى انهاض الشباب ، كما دعا الأمة الى الحـذر من تدخل الأجانب فى شئون البلاد ، والتخلص من أنظمة التعليـم العتيقة ، والأخذ بالنظم الحديثة ، والتبحر فى دراسة العلوم ٠

واذا نحن أمعنا النظر فى تلك المقالات التى كتبها محمد عبده أثناء التحـاقه بالأزهر ، استطعنا أن ندرك أنه بدأ يشتغل بالاصـلاح منذ بكورة شبابه ، وانه كان مهتـديا فى ذلك بهدى جمال الدين ، واستطعنا أن ندرك كذلك كيف تقدم تفكيره عما كان عليـه فى تلك السنوات التى كان فيهـا غارقا فى تأملات التصوف وخيالاته وأخيرا اسـتطعنا أن ندرك أن هذه المقالات كانت السـبب الأول فى أن يطلق الناس عليه فيما بعد لفظ الزعيم المجدد، والمصلح الاجتماعى ٠

واستمرت صلة الامام محمد عبده بالأزهـر على ما ذكرته كتب التاريخ من حضور الدروس

التى كان يرغب فى حضورها ، والاستماع الى الأساتذة الذين كان يثق فى مقدرتهم العلمية .. ومن الاطلاع خارج الأزهر على ما كان يرى نفسه نزاعة اليه من العلوم والمعارف ، ثم الاختلاف الى جمال الدين والأخذ عنه طوال المدة التى قضاها فى مصر .. فلما كان عام ١٨٧٧ م ، تقدم الى امتحان العالمية ، ولكنه وجد وجوه الممتحنين عابثة ، وأحس نفوسهم منه نافرة ، ورأى فى الأسئلة الموجهة اليه صعوبة وشدة رغبة فى احراجه ، وتشوقا الى تعجيزه .. ولم يكن من الصعب على محمد عبده معرفة أسباب ذلك كله .. فقد كان مكروها من شيوخ الأزهر الذين اشتدت حفيظتهم عليه لأسباب كثيرة ..

يقول الدكتور تشارلز آدمس : « وبعض هذه الموجدة يرجع الى كراهيتهم لدروس الفلسفة التى كان جمال الدين يبعثها من جديد ، وبعضها الى نزعته التجديدية على وجه عام ، على انه يبدو أنه كان للغيرة أيضا شأن كبير ، فان محمد عبده وغيره من الطلاب كانوا على الأرجح يهملون دروسهم فى الأزهر ويتغيبون عنها ليقرأوا على جمال الدين » .

وخرج جمال الدين من مصر ، فقد أمر الخديوى توفيق بابعاده لأن مساعيه السياسية أوغرت عليه صدر المستر فيفيان قنصل انجلترا العام ، ولأن تعاليمه الفلسفيه هيجت عليه الجامدين من رجال الدين فجاءه الكيد من هنا ومن هناك .. وعندما همت الباخرة بالاقلاع به فى طريقها الى الهند قال لتلاميذه الذين وفدوا الى السويس لتوديعه : « انى خرجت من الديار وما ألفت كتابا ، ولكن تركت لكم أثرا يغنى عن جميع الكتب وهو محمد عبده وكفى به لمصر عالما » .

وفى الهند حرض المسلمين على القيام بثورة داخلية حتى تشغل انجلترا عن ثورة مصر التى قامت على يدى عرابى ، غير أن الانجليز شددوا عليه الرقابة ، ثم أبعدوه الى كلكتا وأحاطوه بالجواسيس .. وأخيرا اضطر الى الرحيل عن الهند ، فسافر الى لندن التى قابلته بشىء من العبوس وعدم الرضى ، وترك لندن الى باريس غير مكترث بما فيها من حضارة ، ومن فيها من رجال السياسة .

وما هو غير قليل من رحيل السيد جمال الدين عن مصر حتى نفى محمد عبده الى بيروت حيث استطاع بمساعدة رجال الأمة النابهين وعلمائها الأفاضل أن يرعى النهضة العلمية الاسلامية التى كانت قد بدأت تشرق فى تلك الربوع .

ومن باريس ، ومن بيروت تراسل الرجلان العظيمان جمال الدين ومحمد عبده .. ودعا جمال الدين تلميذه .. وفى باريس تقابل الرجلان العظيمان من جديد ، وتعاهدا على الجهاد جنبا الى جنب ، فاما أن تحقق الآمال ويعاد للاسلام مجده وللدين قوته واحترامه ، واما أن يستشهدا فى سبيل الوحدة الاسلامية وعزة الدين وكرامته .

وفى باريس ، كون جمال الدين « جمعية العروة الوثقى » التى لا انفصام لها ، والتى أخذت تسعى فى قوة الواثق من حقه ، المطمئن الى عدالة قضيته ، الى اعادة سيرة السلف فى ادارة دفة شئون البلاد الاسلامية ، والدعوة الى أن يكون الحكم على أساس الدين الذى يوصى بالعزة والكرامة ، ثم تطهير الدين نفسه من البدع والخرافات ، واعادته نقيا سمحا طاهرا كسالف عهده ، وذلك كله الى جانب الآمال الغريبة من انقاذ المسلمين وغيرهم من الشرقيين من ذل الاستعمار ومصائبه ، وانقاذ مصر والسودان من سيطرة الانجليز ، والعمل على جلائهم تحقيقا لوعودهم التى قطعوها على أنفسهم فى أحاديثهم الرسمية وغير الرسمية .

وفى باريس أنشأ الحكيمان مجلة « العروة الوثقى » لتكون لسان الجمعية ، المعبر عن خوالج نفوس الأعضاء المجاهدين ، وقد تكفل جمال الدين بادارة سياسة الجريدة ، كما تكفل محمد عبده برئاسة التحرير ، وكان أستاذه يغذيه بأفكاره فيصيغها هو فى أسلوبه العربى الفصيح ، ويفيض عليها من ايمانه قوة تحببها الى القراء ، وتثير فى قلوبهم مكامن الغيرة الدينية والكرامة الوطنية .

وتعطلت الجريدة فى أواخر عام ١٨٨٤ م ، على أثر ما حاق بها من اضطهاد ، وعلى أثر

الاجراءات التى اتخذتها انجلترا لمنعها من دخول البلاد التى تشرف عليها أو تربطها بها صلة ..

وسافر محمد عبده الى تونس ، ثم غادرها متنكرا الى بلاد كثيرة ، ومر فى طريقه بمصر استعدادا للسفر الى السودان لتنظيم قوات المهدى ، واتخاذ الثورة التى قام بها وما قد تؤدى اليه - من نتائج - وسيلة لتحرير الوطن المصرى من ذل الاحتلال .. ولما فشلت الخطة التى كان قد رسمها هو وجمال الدين ولم يستطع السفر الى السودان عاد الى بيروت ليواصل الجهاد بين من عرفهم وعرفوه .

وبقى جمال الدين فترة متنقلا بين لندن وباريس كاتبا فى المجلات والصحف ، ومناديا الفضيلة ، مستغيثا بالعدل ، مظهرا للرأى العام تصرفات الانجليز فى الشرق ، وأخيرا سافر الى فارس بدعوة من ناصر الدين شاه ، ثم الى روسيا حيث أقنع القيصر بحسن معاملة المسلمين ، والاذن لهم بطبع المصحف الشريف وبعض الكتب الدينية .. وعاد الى باريس ليشاهد المعرض الذى افتتح عام ١٨٨٩ م ، وفى ميونيخ تقابل هو والشاه ناصر الدين الذى دعاه الى مرافقته وألح عليه فى العودة معه ، وسافر الى البصرة حيث أخذ يهاجم مشروع احتكار التنباك ، وعاد الى لندن للمرة الثانية ليجعل منها مقرا للطعن فى تصرفات الشاه ، وتحقير أمره فى أعين من يناصرونه ، ويستعدونه على الشعب الايرانى ومصالحه .

وأخيرا يصل جمال الدين الى الاستانة بدعوة من « الهمايونى » .. ولم يكن فى عزمه أن يمكث طويلا ، غير أن ما قوبل به أول الأمر من الحفاوة البالغة كان له أثر عظيم فى نفسه ، فعزم على البقاء فى الاستانة أملا فى أن يرشد السلطان الى ما فيه خير الدولة العثمانية والبلاد الاسلامية ، ورفعة المسلمين ، وتخليصهم من أيدى الولاة الظالمين .. وأقبلت عليه الأيام مرة ، وأدبرت عنه مرات حتى مرض واشتد عليه المرض ، الى أن وافته المنية فى ١١ مارس من عام ١٨٩٧ م .

وأما محمد عبده فقد عاد الى مصر عام ١٨٨٨ م بعد جهاد طويل أثبت انه كان مثلا عاليا فى قوة الايمان الذى لا تزعزه الكوارث والنكبات ، عاد ليواصل الجهاد فى أرض الوطن ، لأن نفسه البالية أقسمت لتجاهدن حتى النهاية ، فاما أن تبلغ الأمل ، واما أن تموت فى الجهاد راضية عن نفسها مرضية .. وقد مد الله فى حياته سنوات تزعم فيها الحركة الدينية ، وأتم فيها كثيرا من الاصلاحات العظيمة التى كان لها أثر قوى فى توجيه النهضة على أقوم الطرق، وعرف الأستاذ منذ ذلك الوقت بالربان الماهر ، والمصلح الحازم فى رأيه وتنفيذه ، وكان جديرا منذ ذلك الوقت بلقب « الامام » .. ولكن القدر الذى جعل الرجلين يتشابهان منذ نشأتهما الأولى - فى نظر المؤرخين - ويتشابهان فى الآلام والآمال ، وفى الجهاد والتضحية ، فقد جعلهما يتشابهان حتى فى نفس المصير .. فقد شعر فى يناير من عام ١٩٠٥ م بأول بوادر المرض الذى أخذ يشتد عليه بعد عودته، ويقوى يوما بعد يوم حتى لم يجد مندوحة من عرض نفسه على كثير من الأطباء الذين نصحوه بالسفر الى الخارج وزيارة أطباء أوربا المشهورين لعل الله يكتب على أيديهم الشفاء .

وفى الاسكندرية ، وهو يستعد لركوب الباخرة اشتدت وطأة المرض على الامام ، وأخذت تشتد حتى وافاه الأجل فى ١١ يوليو من عام ١٩٠٥ م .

وهكذا جاء الى الدنيا رجلان .. عاش كل منهما حياته الأولى فى ظروف متشابهة ، نضال وجهاد من أجل أمته وشعب بلاده ، فلما تقابلا كان جهادهما معا فى سبيل الاسلام والمسلمين .. وفى سبيل المستضعفين فى الأرض ، فلما وافاهما الأجل الذى لا حيلة فى دفعه وافاهما فى ظروف متشابهة لتكون النهاية كالبداية .

وهكذا جاء الى الدنيا رجلان ، ولكنهما لم يرحلا عنها كما يرحل كل الناس فان آثار جهادهما لا تزال باقية حتى اليوم ، وذكرهما لا يزال وسوف يبقى عاطرا مشرفا فى سجل التاريخ .

الأخلاق ..

بين المتدينين والملحدين

الأستاذ محمود لطفى عبد الكريم

لقد رسمت الأديان – وخصوصا الاسلام – صورة ثابتة للأخلاق ، لا يمكن أن تتغير أبدا ، مهما تغير الزمان ، ولا يمكن أن تنحرف عن اتجاهها المستقيم ، مهما انحرفت أوضاع المجتمعات

فالأخلاق فى نظر الدين هى مجموعة الفضائل ، التى تقود الناس نحو الكمال والمثالية ، وتجعلهم جديرين بوصف الانسانية

وتحديد مفاهيم الفضائل ليس من وضع البشر ، ولا ينبغى أن يكون هذا أبدا ، لاختلاف معاييرها عندهم باختلاف العقول والأمزجة ، فما هو فضيلة عند البعض يعتبر رذيلة عند غيرهم .

فالشجاعة مثلا اذا قيست بمعايير الدين كانت من أعظم الفضائل ، وعلى العكس من هذا اذا قيست بموازين الناس ، حيث يراها بعضهم فضيلة ، ويراها غيرهم تهورا أو استهتارا

وقل : مثل هذا فى سائر الفضائل والرذائل ، ومن ذلك ندرك قيمة التوجيه الدينى ، وأثره العظيم فى تصرفات الناس

ولكن بعض الناس يرى أن الأخلاق هى خلاصة الانعكاسات ، التى توجدها ظروف اجتماعية ، وسياسية ، واقتصادية ، ومعنى هذا ، أنه لا قيمة للتوجيه ولا للارشاد فى تهذيب الأخلاق ، وانه لا أثر للوعد بالجنة ، والتخويف من النار فى حمل الناس على الطريق المستقيم ، لأن الأخلاق فى نظر هؤلاء تابعة لحالة الأمم ، ومقدار مستواها الاجتماعى والسياسى والاقتصادى

ويرى غيرهم – ممن هم على شاكلتهم – أن الادراك الصحيح للواجب والحق لا يأتى الا من الثقافة والتعليم ، ومعنى هذا ، أن العلم وحده هو أساس الأخلاق ، ويكفى – فى نظر هؤلاء – أن نملأ أذهان النشىء بالنظريات العلمية فقط ، ولا حاجة بعد هذا الى تلقينهم مبادىء الأخلاق ، فالعلم وحده كفيل بهذا ؛ ويزعم هذا الفريق أن أسلوب الدين فى الوعد بالجنة ، والتهديد بالنار ليس كافيا لتهذيب الأخلاق .

وانه – لكى ندرك زيف هذا الكلام وبطلانه ؛ وأن هدف أصحابه هو اقصاء الدين عن حياتنا – علينا أن نستعرض حالة المجتمع الاسلامى ، قديما وحديثا ، ونقارن بين أخلاق أهل العصور الأولى للاسلام ، وأخلاق أهل العصر الحاضر .

وبدهى أن المجتمع الاسلامى الأول كان مجتمعا مثاليا ، وكانت جميع تصرفاته فى الذروة من الكمال ، صدق ، وبر ، وحب ، وايثار ، واجتناب لجميع الرذائل ، فما هى عوامل هذه المثالية ؟

أهى مستواه الاجتماعى والسياسى والاقتصادى الذى كان عليه ؟ أم أنها التوجيه

الدينى ، والانقياد التام للأوامر الألهيـة ؟ . والرغبة فى الجنة ، والخوف من النار ؟

لا شك أن مرد ذلك الى التوجيه الدينى ، والخوف من الله جل جلاله

لقد طالب سبحانه المسلمين بالاقتصاص من القاتل ، فهل القصاص وحده هو الذى كان يرعب القاتل ، ويمنعه من القتل ؟

كلا ، فان من الناس من يستهين بحياته فى سبيل اطفاء جذوة غيظه ، وانما الذى كان يمنع الناس من ارتكاب هذه الجريمة البشعة هو قول الله تعالى :

ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما ، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : **من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة لقى الله عز وجل مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله »**

وطالب سبحانه المسلمين برجم الزانى المحصن ، فهل هذه العقوبة الشديدة هى التى كانت تمنع المسلمين قديما من الزنا ؟

لو كان الأمر كذلك لما جاءت الغامدية الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وأقرت على نفسها بالزنا عدة مرات ، ولما اعترفت بأنها حبلى من الزنا حينما حاول عليه الصلاة والسلام أن يثنيها عن عزمها ، وهى تعلم ما وراء هذا الاعتراف والاقرار من الموت فى أبشع صوره ؟ ولكنها أرادت أن تتخلص من غضب الله ، وأن تفر من عقوبة أشد وأنكى .

ان بين عينيها قول الله تعالى : « ولا تقربوا الزنا أنه كان فاحشة وساء سبيلا » ، أنه يدوى فى أذنيها قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن »

وأمرنا سبحانه بجلد القاذف اذا ثبت كذبه حيث قال : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون » ، فهل هذه العقوبة المؤلمة هى التى كانت تحول بين الناس والخوض فى أعراض بعضهم ؟ ، كلا ، وانما الذى كان يمنعهم هو قول الله تعالى : **« ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ، يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون »**

وأما مجتمع هذا العصر فقد انعكست المفاهيم الأسلامية فى اذهانهم ،نتيجة التوجيه الخاطىء ، الذى يقوم به أعداء الاسلام وتلاميذهم ، فقد صارت القيادة الفكرية الآن لنفر من الكتاب ، لا يؤمنون الا بما يصدر عن الغرب من أفكار ومعتقدات ، ولذلك فانهم يعملون جاهدين لتشويه المفاهيم الاسلامية الصحيحة فى أذهان الناس ، بما استحدثوه من نظريات غريبة عن المسلمين ، تكاد ـ من كثرة تكريرهم لها ـ أن تكون من البدهيات المسلمة

روجوا للاختلاط بين الجنسين ، بدعوى أنه يهذب الطباع ، ويسمو بالعواطف ، حتى نسى المسلمون قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ « مااجتمع رجل وامرأة الا كان الشيطان ثالثهما » ، فكان من أثر هذا ايقاظ الغرائز ، وانتشار الفساد بين الناس ، وانشاء العلاقات الآثمة بين كثير من ابناء وبنات المجتمع

ملأوا اذهان الناس بأنه لا حرج عليهم ان خرجت نساؤهم الى الطرقات باديات الزينة، عاريات ، الا من ثياب قصيرة تحكى أجسادهن ولا تحجب ما يجب أن يبقى مستورا منهن ، بدعوى أن هذا هو أسلوب الغرب المتحضر ، فكان من أثر هذا انحراف الشباب ، وفتنته ، واندفاعه فى طريق الرذيلة والفساد

علموا المسلمين انه لا حرج عليهم ان تعاملوا بالربا ، بحجة أن الاقتصاد لا يقوم الا على هذا الأساس ، فكان من أثر هذا ضياع المروءة ، وانعدام النجدة ، وشيوع الأثرة والأنانية بين الناس .

ومما يؤلم ويحزن ان يرى هؤلاء ، الموجهون ـ وهم يزينون الفضائل والرذائل ـ

أن اخفاء المعصية جبن ونفاق ، وأن المجاهرة بها هو الشجاعة .

ومع عدم ايمانهم بالقرآن ، فانهم يتشبثون به فيما يظنونه مؤيدا لباطلهم **فيحاجون المستخفين بقول الله تعالى « يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم »**

ولو علموا معنى هذه الآية ، ولأى شيء نزلت لما كان هذا موقفهم ، ان سبب نزول هذه الآية الكريمة أن أحد المسلمين سرق درعا وأخفاه عند رجل من اليهود ، وكان هذا الدرع موضوعا فى جراب دقيق ، فلما انطلق به السارق أخذ الدقيق العالق بالدرع يتساقط منه على الأرض ، حتى ترك أثرا فى الطريق من بيت صاحبه الى بيت اليهودى ، وتبع صاحب الدرع أثر الدقيق ، حتى انتهى به الى بيت اليهودى ، فوجده عنده ، فرفع أمره الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، وأخذ كل من المسلم السارق ، واليهودى الذى وجد عنده الدرع يتنصل من التهمة ويلصقها بالآخر ، وخشى المسلمون أن تثبت التهمة على المسلم فتقطع يده ، وتكون فضيحة للمسلمين أمام اليهود ، فطلبوا من النبى — صلى الله عليه وسلم — أن يقيم الحد على اليهودى ما دام أن الدرع قد وجد فى بيته ، تجنبا لفضيحة أحد المسلمين ، ولعلهم ظنوا أن اليهودى لا حرمة له بجانب المسلم ، وكاد — صلوات الله عليه — يوافق على هذا الاقتراح لولا أن تداركه الله تعالى بقوله : « **انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما ، واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما ، ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ان الله لايحب من كان خوانا أثيما ، يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهم معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أمن يكون عليهم وكيلا ، ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ، ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما .. الخ »**

فالله تعالى يعاتب النبى عليه السلام وأصحابه على ما هموا به من ظلم اليهودى ، ويطالبهم باقامة العدل بين الجميع ، مسلمين وغير مسلمين

والاستخفاء المقصود هنا هو التدبير والتآمر خفية لنصر الباطل ، الذى ظنه المتآمرون حقا ، وليس من موضوعنا فى شيء

ثم كيف يكون اخفاء المعصية جبنا ونفاقا ، مع أن من الأمور المسلمة فى هذا الدين أن المجاهرة بالمعصية معصية أخرى ؟

وكيف يكون ارتكاب الفاحشة على استحياء جبنا ونفاقا والأثر يقول « اذا بليتم فاستتروا » .

ان اخفاء المعصية عن الناس احساس بالمسئولية ، وادراك للخطأ ، وهو كذلك أدب رفيع ، واحترام لشعور الناس ، واما المجاهرة بها فاستهتار واستهانة بالآداب العامة ، وتهوين من شأن الموبقات ، وتحريض سافر على فعلها ، فأى مصير ينتظر مجتمعا تسوده تلك الروح ؟

جاهلية إسلامية

الأستاذ أحمد محمد بريري

لست أدرى من الصحابى الجليل ، الذى كان يقول كثيرا : لست أبالى ، بعد أن أسلمت، من تزوجت ؟ والى من أصهرت ؟ .

وهو انما يريد ، أن الانسانية وحدها كفاءة بين المسلمين ، أن يتزاوجوا فيما بينهم ، فليس لقرشى أن يزهو على عنزى ، ولا لعنزى أن يزهو على باهلى ، بل ليس لعربى أن يزهو على عجمى ، فكل سواء فيما شرع الله .

ولكن هذا المنطق الاسلامى الانسانى السليم، ما كان ليستقيم وجفاء بعض العرب ، ممن بقى مربوطا بأمجاد ما قبل الاسلام . فليس غير العربى كفاء العربى ، بل ان العرب أنفسهم يختلفون ، فليسوا كلهم مخلصين ، وان منهم لمزلجين . والتزليج عندهم هو خسة الأصل ، أو شوب الأعراق بما ينتقص من عراقتها .

ولقد كان عقيل بن علفة ، يقول لخلفاء بنى أمية : جنبونى هجناءكم ، اذا هم ارادوه على أن يزوج بناته من بنيهم فهذه احدى شعبتى التزليج : الهجنة وهى أن يكون عربى الأب غير عربى الأم ،لتكن أمه بنت كسرى ، أو قيصر ، أو النجاشى ، أو من شاء الله من بنات حواء ، وآدم ، غير العرب ، فهو على كل حال هجين . واذا قال عنترة :

انى امرؤ من خير عبس منصبا
شطرى وأحمى سائرى بالمنصل

فهو انما يحاول على قدر الامكان ، ان يتخفف من أثقال تلك الهجنة : أن شطره من خير عبس منصبا ، يعنى آباءه ، وشطره الآخر طواه لم يذكره ، وذكر بديله أو عوضه . فهو يحمى حمى عبس بسيفه ، لعل هذه الحماية تغشى أبصارهم ، فلا يملئونها من سواد خؤولته . بل ان تلك العقدة النفسية سمت بعنترة من حيث الخلق ، فكان يعف عن الكثير مما لا يمتنع عنه أضرابه من شباب الجاهلية .. ان الرجل ليريد أن يعوض نقصه .

على أن ثم بلية أدهى ، وأمر من الهجنة ، الا انها لا تكاد تجد لها مثيلا من الواقع ، وهى ما يسمونه الاقراف : ذلك بأن تكون أمه عربية كريمة ، وأبوه غير عربى . فالمقرف انما يعتوره النقص من حيث أبوه ، على خلاف الهجين الذى يعتوره من حيث أمه .. بيد أن عقيل ابن علفة ما كان ليحتاط ، فيقول لخاطبى بناته : جنبونى مقرفيكم . فهى حال تكاد تكون نظرية بحتة ، لا تتحقق فى الحياة الواقعية واذا تحققت فانه لم يكن من الممكن عملا أن يتطاول مقرف ، فيتطلع الى هذا الشرف الرفيع .

قال عمر بن عبد العزيز لعقيل : انك تأبى أن تزوج بناتك الا الأكفاء ، وأنت غيور . وانك مع هذا لدائم الحل ، والترحال ، تسافر وتترك بناتك فى الصحراء ، لا كالىء لهن .

قال : فانى أسافر ، وأكلهن الى كالئين لا أخشى معهما شيئا .. « انى استعين عليهن بخلتين تكلآنهن ، واستغنى عن سواهما . قال وما هما ؟ . قال : العرى ، والجوع » .

ويدخل عقيل بن علفة على يحيى بن الحكم، وهو يومئذ أمير المدينة . فيقول له يحيى : أنكح ابن خالى بنتك فلانة . فما يكون جواب عقيل ، الا أن يقول : ان ابن خالك ليرضى منى بما هو دون ذلك . قال : وما هو ؟ قال : أن أكف عنه سنن الخيل اذا غشيت سوامه . فقال يحيى لحرسيين بين يديه : اخرجاه ،

فأخرجاه . فقال عقيل : مالك تكرنى اكرار الناضج ـ هو الدابة يستقى عليها الماء ـ قال: أما والله انى لأكرك أعرج جافيا . فقال عقيل: كذلك قلت :

تعجبت أن أرت رأسى تجللـه
من الروائع شيب ليس من كبر
ومن أديم تولي بعد جدته
والجفن يخلو فيه الصارم الذكر

فقال يحيى : أنشدنى قصيدتك هذه كلها. قال : ما انتهيت الا الى ما سمعت . فقال : أما والله انك لتقول فتقصر فقال : انما يكفى من القلادة ما احاط بالرقبة . قال : فأنكحنى انا احدى بناتك . قال : أما أنت فنعم . قال : أما والله لأملأنك مالا وشرفا . قال : أما الشرف ، فقد حملت ركائبى منه ما اطاقت .. وكلفتها تجشم ما لم تطق . ولكن عليك بهذا المال ، فان فيه صلاح الأيم ، ورضا الأبى .. فزوجه ، ثم خُرج فهداها اليه .. فلما كان يوم زفافها ، بعث يحيى بمولاة له اليها تراها ، وتخبره خبرها .

والظاهر أن الجارية ارادت أن تتفحصها تفحصا ، تستطيع معه أن تصفها لسيدها ، وصفا صادقا . ولكن بنت عقيل تأنف أن تتبسط معها الجارية ، وتنكر مسلكها هذا فتدق انفها . وترجع الجارية الى يحيى قائلة : لقد بعثت بى الى أعرابية مجنونة ، صنعت بى ما ترى .

وينهض يحيى ، ويدخل على عروسه ، ويسألها ما بالها صنعت بالجارية ما صنعت ؟ فتقول . ولماذا تبعث الى بأمة تنظر الى ..؟ وانما أردت بما فعلت ، ان تكون أنت أول ناظر الى . فان رأيت حسنا كنت قد سبقت الى بهجته ، وان رأيت قبيحا كنت أحق من ستره .

ويسر يحيى بما يسمع ، ويرى ، وتحظى عنده بنت عقيل .

انها أم عمرو التى تزوجها على التوالى ثلاثة من بنى الحكم ابن ابى العاصى : يحيى هذا والحارث وخالد . انهم اكفاؤه الرجال الأكارم كما قال :

لعمرى لئن زوجت من أجل ماله
هجينا لقد حبت الى الدراهم
أأنكح عبدا بعد يحيى وخالد
أولئك أكفائى الرجال الأكارم
أبى لى أن أرضى الدنيـة أننى
أمد عنانا لم تخنه الشكائم

فايست ولاية المدينة ، بذات بال فى ذاتها ، الا أن الوالى كان مصادفة كفئا كريما ، على خلاف وال آخر للمدينة ، انسته الولاية خسته بالقياس الى عقيل ، فخطب بنته فسخر منه عقيل أشد السخرية .

يروى ابن الأعرابى عن الفضل أنه دخل عقيل بن علفة على عثمان بن حيان ، وهو يومئذ على المدينة . فقال له عثمان : زوجنى ابنتك. فقال عقيل : ابكرة من أبلى تعنى ..؟ فقال له عثمان : ويلك أمجنون انت ..؟ قال : اى شىء قلت لى ؟ قال : قلت لك : زوجنى ابنتك . أفعل ان كنت عنيت بكرة من ابلى .. ويحنق عثمان بطبيعة الحال أشد الحنق ، ويأمر بأن توجأ عنق عقيل .. فيخرج وهو يقول :

كنا بنى غيظ الرجال فأصبحت
بنو مالك غيظا وصرنا كمالك
لحا الله دهرا ذعذع المال كله
وسود أشباه الاماء العوارك

الأمة العارك : هى الأمة الحائض ، وأية مهانة أهون من حال الرجل يشبه الأمة الحائض ؟. لقد كانت الأمور مستقرة ، وكان كل شىء فى موضعه أيام الجاهلية . كان رأس المال دولة بين الأغنياء وحدهم ، وكانوا هم السادة لا يطمع بنو غبراء ـ الفقراء ـ فى أكثر من احسانهم . ولكن الدهر يضرب من ضربانه ، ويبعث الاسلام الدنيا ، فيبدد رأس المال ـ يذعذعه على حد تعبير عقيل ـ ويرفع الفقراء ـ أشباه الاماء على حد تعبيره أيضا ـ الى مكان الصدارة أفلم يقل سبحانه وتعالى فى محكم التنزيل : ((**ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ، ونجعلهم أئمة، ونجعلهم الوارثين**)) .

((انه لأمر بل حنظل مر، وزفت أوقطران فيما يرى سادة البوادى والحواضر من أمثال ابن علفة وابن مقبل وغيرهما من الاسلاميين الجاهليين .. بيد أنه سبحانه وتعالى يحق الحق ويبطل الباطل ولو كره شيوخ العرب الجاهليون الاسلاميون .

دور المرأة الجزائرية فى الثورة

لقد شاركت المرأة الجزائرية مشاركة فعالة واسعة النطاق فى الثورة التى نشبت يوم أول نوفمبر ١٩٥٤ .. وتثبت هذه المشاركة شهادات حية قيمة ، منها قرار حل جمعية النساء المسلمات الجزائريات من طرف الادارة الاستعمارية وابعاد رئيستها واعتقال ثلاث طالبات بدعوى أنهن ممرضات فى جيش التحرير ، وأن المجندين الفرنسيين قد شاهدوا النساء الجزائريات مرتديات البدلة العسكرية وهن يقاتلن بجانب رجال جيش التحرير الوطنى فى أثناء المعارك التى جرت فى الجنوب الوهرانى .

وتلك التى التحق زوجها بصفوف الأحرار فى الجبال وأصبحت تتحمل أوزارا جديدة من مسئوليات البيت ببسالة تساوى ما يبديه الأبطال فى الميدان، ان الآمانة التى عهد اليها بها زوجها ثقيلة جدا . لكنها بالرغم من ذلك تؤديها وذلك وجه مشاركتها فى الكفاح بقدر مسئولياتها وبقدر استطاعتها . وتلك التى أهلتها مداركها الثقافية والسياسية لمباشرة النشاط السرى بجانب الاخوان . فهى تشاركهم محنهم وآمالهم ، وهى تسدى خدمات عظيمة فى جميع الميادين المناسبة لاستعمال معلوماتها وايضاح ارادتها وعواطفها .

وتلك التى تحمل السلاح فى وحدات الجهاد حيث تقوم الفتاة الفدائية بالمهمات الخطيرة فى كل مكان وفى كل وقت . ان مساعدتها لا تعوض فهى تعالج الجرحى وتنفذ أخطر المأموريات بحزم ووفاء ، وتباشر المواصلات (نقل الأخبار والمعلومات بين وحدات الفدائيين) بالرغم من المهالك الكثيرة ، وتقوم بالمراقبة والاستعلامات وتهيىء الطعام .

كل هؤلاء الجزائريات - اللاتى لم يكن يصلحن قبل الثورة فى نظر المستعمرين الا لكنس بيوتهن - تطوعن منذ ابتداء الثورة لأخذ قسط وافر من الكفاح فى سبيل الاستقلال . والتحقن كلهن بصفوف جبهة التحرير الوطنى وجيش التحرير الوطنى المظفر .

ولتتأكد النساء الجزائريات، أنهن لن يعشن بعد اليوم أبدا ذلك العهد البغيض الذى مضى منذ أمد قريب ، غداة كانت حياتهن حياة ذل وهوان .. غداة تقابلهن معلمة المدرسة الفرنسية بالغضب والاحتقار ، وتغلق أبواب المدارس فى وجوه أبنائهن ويحتقرهن الأجانب فى المحلات والسيارات العمومية ويساق أبناؤهن الى العسكرية الاجبارية فى صفوف العدو .

وقد أصبح تحرير التراب الوطنى الجزائرى وتحقيق الاستقلال يبشرهن بالمستقبل الزاهر والدور الذى خصص لهن فى مجتمع الغد ، والمكانة الأساسية التى سيتبوأنها بجانب اخوانهن فى مهمة النهوض بالوطن الجزائرى وجعله بلدا حرا آمنا سعيدا .

وهذه صورة حية نابضة بالبسالة وناطقة ببطولة المرأة المسلمة .. يؤيد هذا ما قاله « الجنرال ماسو » قائد سلاح الطيران الفرنسى فى الجزائر فى أواخر سنة ١٩٥٧ فى المناضلات الجزائريات حيث قال :

« ان فى هؤلاء الفتيات تتمثل قوة الروح الثورية للمقاومة الجزائرية »

جميلة بوباشا

* جميلة بوباشا فتـــاة عربية جزائرية مناضلة فى صفوف الثورة الجزائرية .

* قبض عليها فى ١٧ يونيو ١٩٥٩ .

* عذبت عذابا مبرحا لانتزاع اعترافات مزيفة ضدها .

* استمر تعذيبها لمدة ٣٣ يوما متواصلة بكل أنواع التعذيب .

* قدمت شـكوى ضـد الذين عذبوها وأسماءهم ..

وفيما يلى .. سرد لقصة جميلة بوباشا كما وردت فى شكواها التى تقدمت بها محاميتهـا الى المسئولين الفرنسيين فى باريس .

« اذا كان الرأى العام العالمى قد عرف شيئا عن قصة « جميلة بوحيرد » وشيئا عن قصة جميلة بوعزة وزهـرة الضيف وياسمينة .. فانه لا محالة يدرك أن بطولة أولئك الفتيات ليست الا رمزا لبطولة آلاف الجـزائريات اللاتى يعملن فى صفوف الثورة ويؤدين ضريبة الفداء الى جانب الرجل على قدم المساواة .

وها هو نموذج آخر لبطولة فتياتنا الجزائريات يتمثل فى « جميلة بوباشا » .

فى شهر سبتمبر ١٩٥٩ عثر البوليس الفرنسى على قنبلة فى « مقهى كليات الجزائر » وبعد مضى خمسة أشهر من وقوع الحادث ألقى القبض على جميلة بوباشا التى قدمت الى المحاكمة يوم ١٧ يونيو .. وبالرغم من هذه المدة الطويلة التى قضاها البوليس الفرنسى فى البحث والتحقيق فانه لم يعثر على أى دليل ضد جميلة بوباشا ، ولم يجد أى شاهد يمكن أن يدلى بأقوال تدينها أو تلقى عليها شبهة معينة .

ولما كان الشىء الذى يهم البوليس الفرنسى هو أن يعثر على أى ضحية يصب عليها نقمته مهما كانت ضحيته بريئة ، لأنه يعتبر الشعب الجزائرى كله عدوا له بلا استثناء . فقد راح يبحث عن كل وسيلة ممكنة لاثبات التهمة ضد جميلة بوباشا وحين أعيته الحيل لجأ الى وسيلته التقليدية المعروفة ، وهى انتزاع الاعترافات المزيفة بواسطة التعذيب .

ان التعذيب الذى سلطه البوليس والجيش الفرنسى على جميلة بوباشا ، ثابت بأدلة مادية لا يمكن انكارها وقد قدمت جميلة بوباشا شكوى ضد معذبيها تصف فيها بالتدقيق طرق تعذيبها ، والظروف التى عذبت فيها وتذكر فيها أسماء عدد كبير من الشهود المستعدين لاثبات وقائع تعذيبها كما ذكرتها فى شكواها . وقد طالبت المحامية «جيزيل حليمى» التى تولت الدفاع فى هذه القضية باجراء تحقيق رسمى عن تعذيب جميلة بوباشا قبل بدء المحاكمة . وهذا موجز للوقائع التى ذكرتها جميلة فى شكواها :

« فى الليلة ما بين ١٠ و ١١ فبراير جاء خمسون من الحراس ورجال الشرطة ومفتش البوليس الى المنزل الذى تقطن فيه جميلة مع أهلها . وقد أوسعوها ضربا كما ضربوا أباها وزوج أختها وأخذوهم جميعا الى مركز « البيار » . وهناك بدأ العسكريون الفرنسيون ومعهم ضابط برتبة « كابيتان » من رجال المظلات يضربون جميلة ويدوسونها بأقدامهم حتى كسروا لها احدى ضلوعها . وبعد خمسة أيام من التعذيب المستمر بمركز « البيار » نقلت الى مركز « حسين داى » حيث بدأت المرحلة الثانية من التعذيب . فعذبت بالكهرباء وكان الحراس الفرنسيون يضعون الورق الملتصق « سكوتش » على صدرها وساقيها ووجهها وعلى الأجزاء الحساسة من جسمها .. ثم يبدأون فى ارسال التيار الكهربائى على تلك الأجزاء . وكانوا يقضون الأوقات التى تتخلل فترات التعذيب بالكهرباء فى توجيه اللكمات القوية اليها وفى حرق جسمها بواسطة السجائر المشتعلة . ولم يقف الجلادون المجرمون عند هذا الحد بل كانوا يتدرجون بضحيتهم الى أنواع من العذاب أشد وأفظع من التى سبقتها . وهكذا أعقب التعذيب بالكهرباء نوع آخر من التعذيب . فعلقت جميلة بوباشا على عمود خشبى فوق حوض به ماء ، وبدأ الجلادون الفرنسيون يغطسون رأسها فى الماء على فترات متوالية حتى كادت تختنق . وكان هؤلاء المجرمون الذين يقومون بتعذيبها يضيفون الى التعذيب الجسمانى شتائمهم المقذعة وتعليقاتهم الساخرة على فتاة عزلاء وحيدة تتحدى فى اباء وصمود رائعين جلاديها الانذال الذين رأوا أن ينتقلوا بها الى نوع آخر من العذاب وصفته جميلة فى شكواها كما يلى :

« ثم عذبونى بواسطة (القارورة) .. وهى أفظع أنواع التعذيب وأشدها ألما . فبعد أن قيدونى فى وضع خاص أدخلوا عنق القارورة فى بطنى .. وكنت أصيح بكل قواى . ثم أغمى على مدة يومين على ما أظن . »

وتذكر جميلة أسماء بعض الشهود الذين رأوها فى مركز «حسين داى» مغمى عليها والدم يسيل من جميع أجزائها ، وحراسها المجرمون دون أن تؤثر فيهم حالتها الفاجعة . وأراد هؤلاء الجلادون أن يؤثروا على معنويات أبيها الذى يبلغ من العمر سبعين عاما فأخذوا اليه ابنته وعرضوها أمامه وهى على هذه الحالة .

ثم أعادوا تعذيبه بطريقة وحشية نقل على أثرها بسرعة الى المستشفى .

وبعد أن عرض الجلادون الفرنسيون جميلة بوباشا أمام أبيها أحضروها عند صهرها « عبدلى أحمد » الذى كان هو ايضا يحمل آثار الضرب والتعذيب والذى نقل الى سجن الجزائر . وهكذا شهد كل واحد من الثلاثة عذاب قريبيه وهذا مادفع بالجلادين الفرنسيين الى تفريقهم فى سجون مختلفة رغم انهم اعتقلوا فى يوم واحد ووجهت اليهم نفس التهمة . ولكن السلطات الاستعمارية خشيت من تقديمهم معا الى المحاكمة ان يعرضوا تجربتهم المشتركة فى التعذيب ويقارنوا بين أنواع العذاب التى تعرض لها كل واحد منهم ويفضحوا معا أساليب الاستعمار الدنيئة .

وقد كان العذاب الرئيسى مسلطا على جميلة بوباشا التى اعتقلت يوم ١٠ من فبراير ولكن التهمة لم توجه اليها الا يوم ١٥ مارس وقضت ٣٣ يوما فى مراكز التعذيب التى يطلق عليها الجيش الفرنسى اسم (مراكز التنقية) . وخلال هذه المدة الطويلة بقيت جميلة بوباشا تواجه العذاب والآلام التى يسلطها عليها الجلادون الذين لا يجدون مجالا لاثبات شجاعتهم فى غير النساء العزل والشيوخ الآمنين .

ان قصة جميلة بوباشا هى تكرار كامل لقصة جميلة بوحيرد التى أثارت استنكار العالم أجمع ضد وحشية الاستعمار وجرائمه البشعة . وفى هذه المرة أيضا تعمد السلطات الاستعمارية الى خرق القوانين التى وضعتها بنفسها والتى عدلتها أخيرا لتكون أكثر فاعلية وعنفا فى اضطهاد الشعب الجزائرى . فقد وضعت محكمة الجزائر كل العراقيل الممكنة فى طريق الدفاع عن جميلة بوباشا لمنعه من القيام بمهمته القانونية .

وحينما حدد أجل المحاكمة بيوم ١٨ مايو لم يسمح للمحامية « جيزيل حليمى » التى تولت الدفاع عن جميلة بوباشا بالبقاء فى مدينة الجزائر الا خلال المدة الواقعة بين ١٦ و ١٩ مايو .

وهكذا لم يكن أمام المحامية لمراجعة ملف القضية واعداد مرافعتها سوى ثلاثين ساعة . ولما قدمت جميلة بوباشا شكواها ضد التعذيب وطالبت بفتح تحقيق ضد معذبيها أصبح الأمر يتطلب أن تؤجل القضية الى أجل بعيد ولكن المحكمة الاستعمارية الفرنسية حددت يوم ١٧ يونيو موعدا للمحاكمة بحيث جعلت المدة عن قصد غير كافية لاتمام التحقيق الذى تطالب جميلة باجرائه حول تعذيبها .

وقد عرضت جميلة على طبيب استعمارى اعترف بوجود آثار التعذيب على جسمها ولكنه قال انه لايستطيع تحديد مصيرها لكى يمكن السلطات الاستعمارية من الزعم بأن الاعترافات التى انتزعت من جميلة بوباشا لم تكن بواسطة التعذيب .

ورغم أن كل الأدلة والوثائق الرسمية المرفقة بملف القضية تثبت أن جميلة بوباشا قد تعرضت لكل أنواع التعذيب المتقدمة طوال ٣٣ يوما وان جلاديها هم الذين لفقوا لها تلك الاعترافات ليثبتوا عليها تهمة كاذبة لم يجدوا عليها أى دليل

ان جميلة بوباشا وكل عائلتها التى لم ينج أفرادها من العذاب سواء كانوا فى السجن أم فى المنزل . فأبوها وأخوها وزوج أختها عذبوا معها فى السجن وأمها تعرضت لتهديدات الجنود الفرنسيين الذين كرروا مرارا عديدة الاعتداء على حرمة منزلها وحطموا الأبواب والنوافذ والأثاث ووجهوا الى هذه الأم المعذبة مختلف الشتائم والتهديدات .

ان هذه الوقائع الرهيبة من صور التعذيب التى ذكرتها جميلة بوباشا فى شكواها تعرض لها جميع المناضلات والمناضلين الجزائريين من طرف زبانية الاستعمار الفرنسى فى الجزائر منذ قيام الثورة الى يوم وقف اطلاق النار . وهى كلها تكشف عن الثمن الباهظ الذى دفعه الشعب الجزائرى فى معركة الحرية والاستقلال .

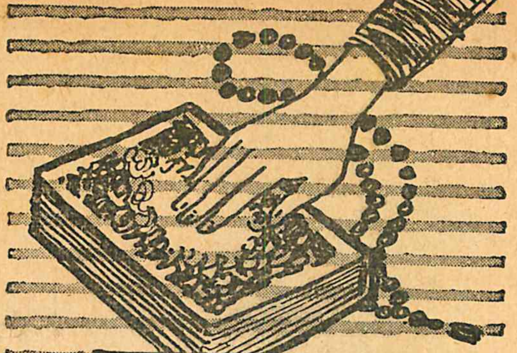

لماذا أسلمت ..

واجنـــرم الذى أصبح فيصل محمد

اذا غمرت الهداية قلب انسان ملأت صدره بالنور ، وملأت فؤاده باليقين ، وألبسته ثوبا قشيبا ، وخلعت عنه رداء الشك والظـــلام ، فينساب فى روض مشرق من التأملات الوردية الشـيقة ، ويسبح فى عالم الفكر والاستنتاج ليجد نفسه أخيرا على شاطىء الأمان والسلام ، فيخر ساجدا لتلك القدرة الخارقة ٠٠ قـدرة الخالق العظيم التى تتحدى جميع القوى وتهيمن على سائر المخلوقات ٠ وعندئذ يصبح معترفا لا اله الا أنت سبحانك انك على كل شىء قدير ٠٠ وهذه القصة التى بين أيدينا خير شاهـد وأعظم دليل على ذلك ٠٠

انه أخ مسلم أشهر اسلامه فى ديســـمبر سنة ١٩٥٢ بعد دراسة مستفيضة شغلت كل وقته وتفكيره ، ولكنه اجتاز التجربة بنجاح ووصل الى الحقيقة بعد أن أعيــــاه البحث والتنقيب ٠٠

فاذا استمعنا الى قصة اسلامه نجده يقول :
كانت هناك عدة أسباب جعلتنى أقرر اعتناق الاسلام ، فقد كنت فى حالة ذهنية مضطربة وكانت هذه الحالة تسود معظم الشـباب فى أوروبا الغربية ٠٠ وكنت حينئذ عضـوا فى كنيسة الكاثوليك ٠٠ وفى هذا الوقت لم تكن عندى الشجاعه الكافية لكى أدعو نفسى مسيحيا حقيقيا فقد كنت أعانى صراعا دائما من جراء تفكيرى التقدمى وايمانى بالعقائد المســـيحية التى يجب أن يتقبلها الانسان المسيحى ، ولكن كثرة مصالحى المتعددة وبحثى الدائب عن الدين الحق وتطلعى الى حياة أفضل ٠٠ كل هـــذا أدى بى الى انفعالى بالأدب الاسلامى وتأثرى بالقرآن الكريم فما أعظم قوله تعالى « وان من أمة الا خلا فيها نذير » فقد تركت هذه الآية أثرا بالغا فى نفسى لأن فيها دليلا على ذلك الطابع العالمى الذى يتميز به الاسلام فضلا عما يمتاز به من النظم والتشاريع الأخرى ٠٠ فهل هناك أقوى وأصدق من تلك التعاليم المتحررة التى توصينا باحترام ماجاء على لسان جميع الرسل والايمان ؟ لاشك ان الدين الاسلامى دين الحق والصدق والبرهان ومما هو جدير بالذكر الاتجاه العلمى الذى جاء على لســـان الرسول صلوات الله وسلامه عليه حيث يقول: « اطلبوا العلم ولو بالصين » فهذا اتجاه فريد يصعب وجوده فى تاريخ الكنائس المسيحية ٠

ولهذا تجدنى وصلت من خلال هذه الدراسات الاسلامية ـ ومما قرأته فى كتاب الله تعالى الذى حوى كل صغيرة وكبيرة والذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ـ الى ما أبغيه لنفسى من الاستقرار والأمان ٠

ومن منا يسمع تلك الآيات البينات التى جاءت لتبين الأحكام وتشرح القوانين وتضع الأسس الكاملة لطريق الخير والرحمة ثم يعرض عنها ولا يؤمن بها ؟ لاينكر ذلك الا كل مكابر معاند أعمته الضلالة وتخبط فى ظلام الشرك ٠٠

هل هناك أهدى من ذلك الـــكتاب ؟ الذى يشتمل على كل مشاكل الحياة بما فيها من نظم دينية واجتماعية واقتصادية وسياسية ٠٠

ان من يقف على تلك التعاليم السامية يجزم بأنها روح الحياة ونعيمها وأنها هى بعينهـــا الحقيقة التى لامواربة فيها ولا التواء ولهـــذا جاء اقتناعى بهذا الدين بعد الدراسة والبحث والتأمل والتفكير فأشهرت اسلامى على يد عالم جليل كان يزور هولنده فى ديسمبر سنة

١٩٥٢ ثم قررت أن أزور القاهرة لأرى الأزهر الشريف .. كعبة العلم وشعاع الأمل الذي يخرج منه عبير الاسلام قويا ليهدى الحيارى ويسكب فى قلوبهم رحيق الحياة ومع هذا فأنا دائم الاطلاع على الكتب الاسلامية منذ أن اشهرت اسلامى بل اننى قمت بتأليف بعض الكتب ردا على هؤلاء المكابرين الذين افتروا على الاسلام فنسبوا اليه وألصقوا به أشياء هو منها براء وليس هذا فقط .. فقد ألقيت محاضرة قيمة فى مزايا الاسلام هناك فى المسجد الكبير فى هولنده ..

هذه هى قصتى أو على الأصح قصة اسلامى التى أعتبرها بداية طيبة لحياتى الجديدة . تلك الحياة الصحيحة البعيـــــدة عن الزيف والخيال .

ان هذه القصة تحمل فى طياتها أنبل المعانى وأنصع البراهين وفيها نبضة حية من نبضات الايمان الكامل فهل هناك من يتخرص اويفترى على ذلك الدين القويم ؟ دين العدالة والرحمة والاخاء ..

دين الحق والحرية والمساواة ؟ « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين »

أنت تسأل ؟ .. والمفتي يجيب !

فضيلة الشيخ حسن مأمون

س : ورد كتاب من السيد/محمد السيد الفضبان – خطيب مسجد المتولى بمحلة أبو على قنطرة يتضمن طلب اعادة النظر فى الجواب عن السؤال الثانى المنشور بعدد ذى الحجة سنة ١٣٨١ ونص الجواب : ((اذا صح ما جاء بالسؤال فان المتوفى يكون قد توفى عن زوجتين فى عصمته وأخت شقيقه وابن عم شقيق وابن أخت شقيقة فقط . وعليه يكون للزوجين الربع فرضا لعدم وجود فرع وارث للمتوفى ، يقسم الربع بينهما نصفين – وللأخت الشقيقة النصف فرضا ، ولابن العم الشقيق الباقى بعد الربع والنصف تعصيبا ، لعدم وجود عاصب أقرب منه ، ولا شىء لابن الأخت ميراثا فى تركة خاله المتوفى لأنه من ذوى الأرحام المؤخرين فى الارث عن أصحاب الفروض والعصبات .

ثم يقول سيادته : انه يفهم من السؤال أن المتوفى مات عن زوجتين وأخ شقيق وابن عم شقيق وابن أخت شقيقة فقط .

ج : ونقول ردا على الكتاب : اننا أعدنا قراءة السؤال ، ووجدنا أنه يفهم منه أن المتوفى خال السائل ، توفى عن زوجتين فى عصمته ، وخال السائل شقيق المتوفى وابن عم المتوفى الشقيق ، وابن أخت شقيقة للمتوفى ، هى والدة السائل التى توفيت قبل المتوفى بسنتين وعليه يكون الميراث كالآتى :

للزوجتين الربع فرضا مناصفة بينهما لعدم وجود فرع وارث للمتوفى ، ولأخ المتوفى الشقيق « خال السائل » الباقى تعصيبا ، ولا شىء لابن الأخت الشقيقة « السائل » لأنه من ذوى الأرحام المؤخرين فى الارث عن أصحاب الفروض والعصبات ، ولا شىء لابن العم الشقيق لأنه محجوب بالأخ الشقيق العاصب الأقرب منه . والله أعلم .

من السيد/عبد الرحمن السعيد من ميت غمر :

س : أرجو الافادة عن حل هذه المسألة التى تقلقنى كثيرا ، واختلفت اجابات من طلبت الحل عندهم فيها ، ومشكلتى هى كما يلى :

ابن شقيقتى التى تكبرنى يريد الزواج من ابنتى ، مع العلم بأنه رضع من والدتى ((جدته لأمه)) مع أختى الصغرى ، فهل هذا الزواج جائز شرعا ؟.

أرجو أن تنشروا فتواكم بالمجلة .

ج : والجواب أنه برضاع ابن شقيقة السائل من والدته التى هى جدة ابن الشقيقة لأمه يكون خاله من الرضاع ، وعما من الرضاع لبنت السائل التى يريد الزواج منها ، فلا تحل له كما لا تحل بنت الأخ من النسب، وعليه اذا ثبت أنه رضع مرة أو مرتين حرم الزواج على مذهب الامام أبى حنيفة ، ولا يثبت التحريم عند الامام الشافعى ، وفى احدى روايتين عن الامام أحمد ، الا اذا رضع خمس رضعات مشبعات ، فلا يثبت التحريم عندهما اذا رضع أقل من ذلك . والله أعلم .

من السيد طلحة حسن من عزبة منيس

س : بنت ماتت بعد وفاة أبيها وتركت عشرة قراريط ، وتركت أخا لها من أبيها ، وتركت أمها ، وتركت أخا وأختا من الأم، علما بأن الأم توفيت بعد البنت بعامين . فما نصيب كل منهم من هذه التركة ومن يستحق ومن لا يستحق ؟ أرجو افادتنا سريعا خوفا من وقوع ما لا يحمد عقباه بين الورثة ، والسلام عليكم ..

ج : لأم المتوفاة من تركتها السدس فرضا لوجود عدد من الاخوة ، وللأخ والأخت لأم الثلث فرضا بالسوية بينهما ، وللأخ لأب الباقى تعصيبا ، ونظرا لأن الأم توفيت بعد ابنتها المتوفاة بعامين فان نصيبها من الارث من بنتها يقسم على ورثتها الشرعيين الموجودين وقت وفاتها . والله أعلم .

مع القراء

عزيزى القارىء :

ان سيل الرسائل الذى يصلنا منك تباعا يكشف عن تأصل ذلك الوعى الاسلامى فى نفسك .. ويدل دلالة قاطعة على مسايرتك لركب النهضة التقدمية البناءة ، وبالتالى يترجم عن شعورك الصادق فى اسهامك معنا من أجل الخير والكمال .

تسجيل التفسير :

السيد/مصطفى سيد احمد عيسى

رئيس أمناء بمنطقة وسط القاهرة التعليمية

اقتراحك الذى يدور حول تسجيل تفسير اجمالى للمصحف المرتل واذاعة هذا التفسير قبل البدء فى التلاوة اقتراح جدير بالنظر .. ولهذا فقد أحلناه على المختصين للبحث .

حول أحداث المحرم :

السيد/مصطفى السيد جواد

البحرين ـ ص.ب ٢٢٨

ما نشر تحت عنوان (أحداث المحرم) لم يكن يقصد به الاساءة الى طائفة من الطوائف كما تبادر الى ذهنك وانما جاءت الأمثلة بقصد التدليل على المبالغة فى حب آل البيت الهاشمى مما قد يترتب عليه تفسير ذلك تفسيرا شائنا من بعض المغرضين وكاتب المقال لا يبغى من ذلك الا الخير للاسلام والمسلمين .

بث المثل العليا :

السيد/محمد أحمد فرج

مزارع ومن العلماء

سيدى سالم (ص.ب) أبو بسيونى

مجلة منبر الاسلام لا تدخر وسعا فى بث المثل العليا وتقديم الأمثلة الحية الصادقة لعلاج مشكلات الحياة كما أنها تحارب فهم الشباب الخاطىء للاسلام بما تقدمه لهم من ثروة روحية متنوعة بأقلام كبار العلماء والأدباء والكتاب ، ونحن نشكرك على ثنائك تجاه ما نقوم به من أعمال .

المسابقة الاولى :

السيد/عبد المنعم حسن صالح

كلية الآداب ـ جامعة القاهرة

لقد أحلنا خطابك على لجنة التعريف بالاسلام وسيصلك الرد فى خطاب خاص وستعرف منه كل ما يتعلق ببحثك الذى كتبته عن (أبى بكر الصديق) واشتركت به فى المسابقة الاولى لطلاب الجامعات والمعاهد العليا .

مرحبا ياخير داع :

السيد/عبد الرحمن نجا

الموظف القضائى بمحكمة طنطا

نشيدك الذى استوحيته من نشيد استقبال سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمدينة يعتبر بداية طيبة لها ما بعدها اذا أكثرت من القراءة فى دواوين الشعر وهى ـ بلا شك ـ محاولة طيبة جديرة بالشكر والتقدير .

تفسير القرآن :

الأستاذ الميهوب بشر

برقة ـ ليبيا ـ البيغاء ـ المدرسة القرآنية

أكثر الموضوعات التى تنشر فى مجلة (منبر الاسلام) بل كلها حافلة بالآيات القرآنية المفسرة بأقلام كتابها فى مواطن الاستشهاد والاستدلال .. وفى هذا ما يحقق الغاية المرجوة ويأتى بالغرض المطلوب .

بريد التعارف

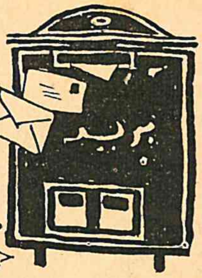

الاسم : سالم احمدابراهيم الزامك
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٧ سنة
المهنة : موظف بشركةالنصر للغزل والنسيج ببورسعيد (بورتكس)
الهواية : قراءة القصص والكتب الدينية ومراسلة الشباب العربى
العنوان : بورفؤاد شارعى ١١ ، ١٦ رقم ٥٣

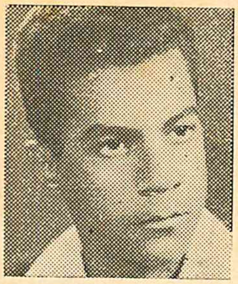

الاسم : محمود عبدالسميع مشعل
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٦ سنة
المهنة : طالب بالثانوية العامة (شعبةعلوم)
الهواية : مراسلة الشباب والرحلات
العنوان : الباجور ـ منوفية ـ مدرسة الباجور الثانوية

الاسم : عبد الرشيدشريف
البلد : الفيلبين
السن : ٢٣ سنة
المهنة : طالب بمعهدالبعوث الاسلامية
الهواية : مراسلة الشباب المسلم والبحوث الاسلامية والقراءة والرحلات
العنوان : ٢٣ مدينة البعوث الاسلامية بالعباسية

الاسم : المصرى محمود احمد
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٩ سنة
المهنة : مدرس
الهواية : دراسة التاريخ والادب العربى والمراسلات
العنوان : وحدة ابو شوشة المجمعة

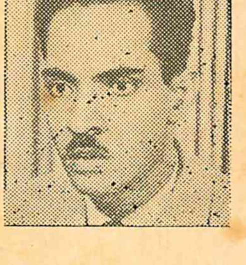

الاسم : على محمودالفضالى
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ٢٥ سنة
المهنة : طالب با لجامعة الازهرية
الهواية : قراءة الكتب والمجلات الأدبية والدينية ومراسلة الشباب العربى
العنوان : فوه ش بورسعيد

الاسم : ابراهيم عبدالعظيم البيه
البلد : الجمهورية العربية المتحدة
السن : ١٢ سنة
المهنة : طالب بمدرسة أبو الهول الإعدادية
الهواية : السباحة والاطلاع وجمع طوابع البريد
العنوان : الجيزة ـ العمرانية شارع ١ منزل ١

اقرأ فى هذا العدد :

معالم الطريق ٣
زعماء العالم الاسلامى فى القاهرة ١٠
خطاب من القاهرة ١٢
حديث مع سفير أفغانستان ١٥
الشرف ... ... الاستاذ الكبير أحمد لطفى السيد ١٧
السليقة العربية ... ... الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد ١٨
من نفحات الذكرى العطرة ... ... فضيلة الشيخ محمد محمد المدنى ٢١
قاسم أمين ... ... الدكتور عثمان امين ٢٧
وظيفة الدين فى الحياة الاجتماعية ... الدكتور على عبد الواحد وافى ... ٣٠
الصلاة والمصلون ... ... فضيلة الشيخ عبد اللطيف السبكى ٣٤
المرأة الحديثة هل أنصفت نفسها ؟ ... الاستاذ البهى الخولى ٣٨
القيم الاسلامية ... ... الدكتور أحمد فؤاد الاهوانى ... ٤٤
الكويت الحديثة ... ... الدكتور عبد الحليم منتصر ... ٤٨
بل شجع الاسلام الشعر ... ... الدكتور أحمد الحوفى ٥١
أجمع وأشمل آية فى القرآن ... ... الاستاذ حسنى عبد المجيد ... ٥٥
اليزيديون عبدة الشيطان ... ... الدكتور محمد سلام مدكور ... ٥٩
الاسلام وتعدد الزوجات ... ... الاستاذ محمد زكريا البرديسى ... ٦٢
مدبر الكائنات ... ... الاستاذ محمود أبو الفيض المنوفى ... ٦٥
الرسول سبق الطب الحديث ... ... الاستاذ عبد الرزاق نوفل ٦٨
شهر الذكريات ... ... الدكتور محمد محمد ابو شهبة ... ٧٠
لوحات تعبيرية فى القرآن الكريم ... الاستاذ عبد المجيد وافى ٧٣
خواطر مستشار ... ... المستشار على على منصور ٧٦
« وجعلنا من الماء كل شىء حى » ... الدكتور عفيفى محمود ٧٩
الاسلام وآيات الله فى الكون ... ... الاستاذ عبد الله المشد ٨١
احياء المفاهيم الاسلامية ... ... الدكتور عبد الحليم محمود ... ٨٤
رجال ومواقف ... ... فضيلة الشيخ منصور رجب ... ٨٦
من وحى الليلة المباركة ... ... الاستاذ سليمان نجا الابيارى ... ٩٠
مولد الذكرى الطاهرة ... ... الدكتور عبد السلام سرحان ... ٩٣
بطولات اسلامية ... ... الاستاذ محمد فرج ٩٨
محمد صلى الله عليه وسلم ... ... الاستاذ ابراهيم ابو الخشب ١٠١
ممالك اسلامية قديمة ... ... الاستاذ عبده بدوى ١٠٥
الرجل الذى هزم امبراطوريتين ... ... الاستاذ عبد العزيز الاسلامبولى ... ١٠٩
مولد النور « قصيدة » ... ... الدكتور حسن جاد ١١٣
يا أحب أحباء الله ... ... الدكتور محمد مصطفى حلمى ... ١١٦
رد على مقال تحديد النسل ... ... الدكتور محمد سعاد جلال ١٢٠
من وحى الميثاق « فلسطين — قصيدة » ... الشاعر محمد حليم غالى ١٢٥
اليقين ... ... الاستاذ محمود متولى بيومى ١٢٧
الاسلام والميثاق « قصيدة » ... ... الشاعر محمد عادل سليمان ١٣٠
فى رحاب القرآن الكريم ... ... الاستاذ عبد العزيز العلى ١٣٢
مواقيت الصلاة ١٣٨
أخبار سريعة ١٣٩
اشتراكيتنا والاسلام ... ... الاستاذ عبد العال السبروت ١٤٠
خوف فى غير موضعه ... ... الاستاذ عبد السلام داود ١٤٤
جمال الدين ومحمد عبده ... ... الاستاذ عبد المنعم حمادة ١٤٥
الاخلاق ... ... الاستاذ محمود لطفى عبد الكريم... ١٥٠
جاهلية اسلامية ... ... الاستاذ أحمد محمد بريرى ١٥٣
المرأة المسلمة ١٥٥
لماذا أسلمت ١٥٩
أنت تسأل والمفتى يجيب ... ... فضيلة الشيخ حسن مأمون ١٦١
مع القراء ١٦٢
بريد التعارف ١٦٣